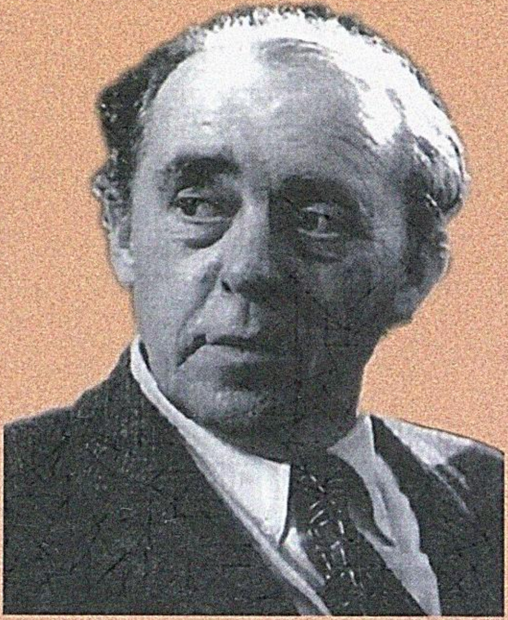
١٩٧٢

مكتبة نوبل

هاينريش بول

نساء أمام طبيعة نهرية



علي مولا

ترجمة: صلاح حاتم

نساء أمام طبيعة نهرية

مكتبة نوبل

اسم المؤلف : هاينريش بول
عنوان الكتاب : نساء أمام طبيعة نهرية
المترجم : صلاح حاتم
الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
الطبعة الاولى : سنة ٢٠٠٣

Author:Heinrich Böll
Title:Frauen Vor Flusslandschaft
Translator:Salah Hatem
Al- Mada P.C.
First Edition :year 2003

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

E-mail:al-madahouse@net.sy

بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧

E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

١٩٧٢

مكتبة نوبل

هاينريش بول

نساء أمام طبيعة نهرية

ترجمة

صلاح حاتم

طمأنينة الجوّال
لا يشكونّ أحدُ
من الوضاعة ؛
إذ إنها هيّ القوة
مهما قيل لك .
في الشر تسود
من أجل المنفعة الكبرى ،
وفي السداد تتحكّم
على كيفها وهواها .

غوته ، الديوان الشرقي الغربي

إلى أصحابي في كل الأمكنة ،
وحيثما يمكن أن يكونوا دائماً .

بما أنّ كلّ شيء في هذه الرواية متخيّل ،
إلاّ المكان الذي وضع فيه التخيّل ،
فلا حاجة إلى صيغة من صيغ الحماية المعهودة .
فالمكان بريء ولا يمكن أن يشعر بأنّه مداهم .

هـ.ب.

مقدمة

بقلم المترجم

" على السياسيين ألا يغتموا أو يشتكوا. من المفروض أن يسألوا أنفسهم لماذا ليس هناك رواية واحدة بعد الحرب تجد ألمانيا الاتحادية نفسها فيها وقد صورت بلداً زاهراً طيباً. فالسؤال المشهور: أين الايجابي؟- الذي ليس بسؤال غبي إلى هذا الحد - لم يتمّ طرحه على نحو خاطىء فحسب، بل وجه إلى المزيفين المخلصين: ما السبب في أنه ما من أحد كتب رواية مرحة عن هذا البلد المزدهر؟ ما من مانع يحول دون ذلك. الظاهر أنّ هناك عوائق ترجع إلى أعمق مما يظنه الاستياء السياسي السطحي. بلد حزين من دون حزن."(هاينريش بول: محاضرات فرنكفورت. دار الجيب الألمانية. ميونيخ ١٩٦٨، ص ٥٨).

لم يتردد هاينريش بول لحظة في اتخاذ موقف مما يجري على الساح في بلد يسمونه جمهورية ألمانيا الاتحادية.

في المقابلات والمقالات والأحاديث والخطب أكد دائماً وأبداً دور الكاتب في المجتمع ومسؤوليته عن وعي عصره. عرف عنه "المشاكس" فيما كان يكتبه على صفحات المجلات والصحف مبدياً رأيه في ما يجري حوله من أحداث سياسية محلية وعالمية؛ ولم تهمه انتقادات الآخرين في أنّ

أرباب القلم يجب أن ينصرفوا إلى الأدب ويتركوا السياسة لأربابها.

لم يكن خافياً على بول أنّ ألمانيا بلد لا يستطيع الكاتب أن يؤثر في سياستها إلا بطريقة غير مباشرة إذا ما أراد أن يتدخل في الحدث السياسي اليومي؛ ومع هذا كان حريصاً على أن يوظف هذا التأثير غير المباشر لأنه كان على يقين أنّ وراء كل كلمة يسطرها القلم عالماً؛ والكاتب يحرك عوالم ويحرركائنات بما يكتبه، فما يمكن أن يواسي شخصاً يمكن أن يجرح آخر جرحاً وأيّ جرح.

فلا الوعظ مهمة الكاتب ولا ممارسة السياسة ديدنه. يقول بول:" لست قساً، ولم أرغب في أن أكون قساً. لست سياسياً ولم أرغب في أن أكون سياسياً. أنا كاتب، وأردت أن أكون دائماً كاتبا". "

(هاينريش بول: مقالات- نقد- خطب ج١. دار الجيب الألمانية. ميونيخ ١٩٦٧، ص ١٢٠).

كلما أيقن الكاتب أنه صار أكثر التزاماً اشتدت به الرغبة في أن يبحث عن تعبير. فالالتزام إذاً يدفع بالكاتب إلى إيجاد التعبير المناسب(انظر:محاضرات فرنكفورت، ص ١٠٨)؛ ذلك لأنّ الشيء الممتع والجدير بالاهتمام هو الكيفية التي يكتب بها الكاتب. فماذا عن روايتنا" نساء أمام طبيعة نهرية"؟

هذه الرواية هي آخر روايات هاينريش بول التي أنهى الأديب الراحل كتابتها قبيل وفاته في السادس عشر من تموز عام ١٩٨٥.

الرواية من حيث الشكل أشبه بعمل مسرحي اتخذت مدينة بون مسرحاً لها، والممثلون الذين يظهرون على خشبة المسرح هم سياسيون ومعهم نساؤهم.

هذا النوع من السرد يوحي للقارىء أنّ بول لا يشارك فيما يجري من حوار أو جدل: الحق أنّ مثله مثل كاتب السيناريو أو المخرج المسرحي الذي يوجه الممثلين ويراقب حركاتهم وأقوالهم وردود أفعالهم ويعلق على المواقف.

فما هو مبثوث في ثنايا هذا العمل الأدبي وما يتناوله شخوص هذه الرواية من موضوعات وما يتخذونه من مواقف يذكرنا بأشياء كثيرة تطرق إليها بول: أشياء كتب عنها وناقش فيها وجادل: السلطة والكنيسة، الحرية والديمقراطية، الجيرة والسكن، الحب والزواج وما إلى هنالك من موضوعات وقضايا انسانيةأخرى. ورب قائل يقول متسائلاً عما إذا كانت هذه الرواية تمثل عملاً كبيراً لكاتب كبير حصد جائزة نوبل عام ١٩٧٢؛ على أننا لن نجافي الصواب إذا قلنا إننا نلتقي على صفحات هذا العمل الروائي بكاتب جديد لجأ إلى تقنية جديدة في السرد اقتضتها طبيعة الموضوع والتي تنهض على عنصرين أساسيين هما الحوار والمونولوج، حديث النفس مع النفس الذي يرمي إلى تحليل النفس من جهة وإلى الكشف عن مكنونات النفس والطبيعة البشرية من جهة أخرى. فالشيء السياسي الذي يصعب التعبير عنه يتخذ بهذه الخدعة الفنية القائمة على الحوار طابع العلنية، ولو أنها علنية خيالية، وهذا ما دفع أحد نقاد الأدب الألمان الكبار إلى أن يصف هذا العمل الروائي بأنه "قطعة رائعة من أدب اللامعقول."

تتألف الرواية من اثني عشر فصلاً، على عدد شهور السنة، والطبيعة النهرية هي طبيعة الراين الذي يشكل عنصراً أساسياً في لبنة المبنى الروائي؛ ولئن كان الراين أقذر أنهار أوروبا إلا أنّ هذه القذارة لا

تفقده جلاله. أما شخصيات الرواية من رجال ونساء فتتوزع على هذه الفصول في مشاهد، ومن خلال الحوار والمونولوج تتكشف أدق التفاصيل في الحياة الخاصة والعامة التي يحياها هؤلاء الناس بكل ما فيها من مكايد وشكوك. وعنوان الرواية مؤلف من شقين: نساء وطبيعة نهرية. فالنساء لهنّ الدور الأول، لا دور التابع، وأهميتهن في الرواية لا ترجع إلى ناحية جنسية شهوانية، بل إلى حقيقة الأمر أنهن كيان ووجود وأنّ لهن من الحساسية ورقة المشاعر ما يجعل كيان الرجل باهتاً وسخيفاً أمامهن فيظهر الرجل وكأنه يستظل بظل المرأة وليس له إلا دور التابع.

كثيراً ما صرّح بول أنه لايستطيع أن يعطي معلومات دقيقة عن بلد غير دقيق اسمه ألمانيا الاتحادية؛ فما من شيء تغير، فالألماني الآن هو نفسه الألماني في عام ١٩٣٣، لا شيء يميز الناس إلا وضعهم الاقتصادي. وحين طرح عليه السؤال: هل يوجد نازيون في هذه البلاد ؟ أجاب: طبعاً، وهل من المتوقع أنّ الثامن من أيار عام ١٩٤٥ قد غير الناس. (أنظر: هنا في هذه البلاد. في: هاينريش بول: قصص و تمثيليات إذاعية ومقالات. دار نشر كيبنهوير و فيتش. كولونيا وبرلين، ١٩٦٧، ص ٤٢٩)

الحق أن بول لم ينظر قط بعين الرضا إلى ما شهدته وتشهده جمهورية ألمانيا الاتحادية من تطور على الصعيدين الاجتماعي والسياسي. وقد دفعه هذا إلى أن يشكك في بنى هذا البلد، ذلك لأنّ الصناعيين وكبار البورجوازيين وبعض النبلاء اجتازوا الحرب من غير أن يلحق بهم أي ضرر.

في هذه الرواية محاولة للكشف عن هوية الذين صعدوا عالياً وحكموا من جديد، إذ إنه غاب عن أغلب الناس أن الكبار أطلق سراحهم وحكم على آخرين بأنهم مجرمو حرب. في هذه الرواية نماذج لهؤلاء: سفاك الدماء رقم ٤ من القتلة الذين ما زالوا أحياء، وبلاوكريمر النازي العفن الذي يعتلي سدة الوزارة. الحقيقة التي لا مراء فيها ويريد بول توكيدها أن هناك قتلة يتنقلون بحرية في هذه البلاد التي يسمونها ألمانيا، ولا أحد يستطيع أن يثبت عليهم تهمة القتل.

اريكا فويلر، زوجة هيرمان فويلر رجل الدولة الأول الذي يدير كل شيء من وراء الكواليس ويخطط لكل شيء، تخاطب هاينريش فون كرايل حين جاء يستشيرها في أمر إسناد منصب وزير إليه قائلة:إنه ليس جديداً أنّ القيمين على الجهاز الحكومي خطاة وفاسدون حتى العظم وأنهم يرتشون ويهللون للصواريخ والموت، الجديد أنهم لا يحسون بالذنب.

الذين يحكمون ويتحكمون بالسياسة غارقون حتى آذانهم في عمليات القتل والتعذيب. ويبرر بلاوكريمر ماضيه بأنه كان شاباً وكان عليه أن ينفذ الأوامر. شوندت الذي يرمزون إليه بالرقم ٤ المقدس وأطلقوا عليه اسم الاله، يعترف بأنهم قذرون، إلا أنه عمل حسابه ألا يعاب أحد على جريمة حرب.

بعد عام ١٩٤٥ لم يعترف أحد، مع أنّ الالمان كانوا آذاناً مصغية ليسمعوا أي اعتراف؛ والأنكى من ذلك أنّ الذين اقترفوا الذنب خرجوا إلى الحياة أبرياء تحت أسماء جديدة على غرار بليتش الذي طلع على الملأ حاملاً اسم بلونيوس على حين أوهموا الناس أن بليتش الحقيقي مات.

ولا يسع بول إلا أن يقول إنه يعيش في بلد معقد حيث يستطيع شخص من الأشخاص أن يصنع سياسة أويتقلد وظيفة مع أنه أو لأنه كان نازياً. بلد معقد ذو ماض متعدد الجوانب وفيه مبلّغون ومخبرون كثر. (انظر هاينريش بول: مقالات- نقد- خطب ج١. دار الجيب الألمانية. ميونيخ ١٩٦٧، ص ١٢١).

في كتابه" تقارير حول الحالة الذهنية والخلقية للأمة"(١٩٧٥) يتعرض بالغمز واللمز لجهاز الاستخبارات. وفي " نساء أمام طبيعة نهرية" يوجد أكثر من موقف يظهر فيه الخوف على نحو غير مباشر، وتكشف اللغة عن هذا الخوف من جهة وعن طبيعة هذا النظام من جهة أخرى. إنه الخوف من أجهزة التنصت التي يشار إليها بحركة في أثناء الحديث أو يلجأ المرء إلى الهمس أو خفض الصوت عندما يريد الإفصاح عن شيء مهم. إنّ مجرد ذكر الاسم يخلق جواً من الذعر، ولهذا يناشد فوبلر زوجته أريكا قائلاً:"لا أسماء، لا أسماء يا أريكا"، مما يجعلها تستبدل الاسماء بأرقام.

فهذه البلاد التي يسود مجتمعها ديمقراطية هي في الظاهر مزيفة وفي الباطن إرهاب تدفع أبناءها إما إلى الانتحار وإما إلى الهجرة. فأم كارل، زوجة هاينريش فون كرايل، جذبها نهر الراين إلى قاعه أكثر مما جذبتها ألمانيا بعد الحرب؛ مجتمع يدفع إلى الانتحار أكثر مما يدفع إلى الحياة. حتى الهجرة التي هي دليل على انتفاء الاحساس بوجود ما يسمى بالجيرة والشعور بالأمان والاستقرار وردت في سياق أحاديث بعض شخصيات رواية "نساء أمام طبيعة نهرية". الجيرة مهانة، بلد فيه مجتمع، لكن الثقة تنعدم فيه، وإن وجدت فهي منتهكة. فالألماني يسافر

ليبحث عما هو اجتماعي انساني. ومن عجب أنّ المرأة هي التي تفكر بالرحيل. ايفا بلينت وكاتارينا ريشتر يشغلهما هاجس الهجرة، واريكا فويلر لا ترغب في البقاء في المكان الذي تعيش فيه؛ أما هيلدي كرينغل ابنة المصرفي الكبير فترحل لأنها تفضل الموت في نيكاراغوا على العيش في ألمانيا مع أنه لا ينقصها شيء في ألمانيا. من هنا جاء تساؤل بول الموجه إلى السياسيين لماذا لا يكتب الكتاب الألمان رواية ذات خلفية تفاؤلية ولماذا لا يصورون بلادهم بلداً آهلاً بلغة مأهولة.

إنها في الرواية دولة تقوم على القتل والقمع وإخفاء الأدلة وطمس الحقائق، كما يتكشف من الأحاديث المتبادلة بين شخصيات الرواية. فالاحتجاج على القذارات التي تحدث في البلاد ومحاولة كشف حقائق تدين القيمين على شؤون البلاد أمران سيجران النقمة والعقاب على من سيقوم بهما، فإما أن يشككوا في سلامة عقله، وينتهي في هذه الحال في مصح للأمراض العقلية، وإما أن تلفق عليه تهمة، وفي هذه الحال يتم التخلص منه بطريقة أو بأخرى. إذ إنه عند المعارضة والاحتجاج تظهر قوة الحقد والعنف التي ينطوي عليها المجتمع الألماني، ولا تحتاج هذه القوة الرهيبة إلا لمن يشعل الفتيل حتى تنفجر. حتى الحيوانات، على حد تعبير اليزابيت بلاوكرير، لم تعد بمنجى من هذه القوة الرهيبة التي صارت تتحكم بسلوك حيوانات الغابة بحقنها بالفاليوم أو الهيروين، فكيف ببني البشر؟

يشبه بول سياسة ألمانيا بمشغل فرّ منه الرؤساء. والسياسة لا تعرف النظافة؛ وله في مارتن لوثر أسوة، إذ إنّ هذا شبه السياسة بمومس. وغروبش المتسلق رجل القانون وعالم الاجتماع والنائب في مجلس النواب

الاتحادي والمستشار والوزير وصانع السياسة يقول لهاينريش فون كرايل المقترح لمنصب وزير:" خوفي من أنني لا أستطيع أن أكتشف عيباً فيك." وفضلاً عن ذلك "فالسياسيون يكذبون حين يلقون الخطب"، على حد تعبير كارل فون كرايل الابن. هذا وإنّ البراءة، كما تقول أريكا فوبلر، شيء نفيس في عالم نتن عفن.

فوبلر، رجل الدولة الأول والمخطط لكل شيء، بريء، لكنه متورط في كل شيء من حيث لا يدري، وهذا ما أكده شوندت له. وينطبق عليه المثل الشعبي الشائع في فرنكونيا، المنطقة الواقعة بين أعلى الراين وأوسطه ، ومفاده:" هيا اغوِ طاهراً نظيفاً، ولسوف يؤدي لك خدمات أكثر من عشرة كانوا أنجاساً."

حتى الكنيسة في رواية "نساء أمام طبيعة نهرية " تعمل عمل مؤسسات الترويض والتدجين، وتحسن الدولة تسخير هذه المؤسسات بصورة دائمة. ولهذا فإنهالم تقف من الحرب موقف المعارض، ولم يبدر منها أي احتجاج، بل إنها أظهرت وتظهر تجاوباً مع النظام السياسي أكثر من الحزب الحاكم نفسه. فالحاكمون في حاجة إلى السلطة الدينية والإكليروس من أجل الجيش و التسليح والاقتصاد.

في رواية " نساء أمام طبيعة نهرية" يترك بول النساء يتكلمن على سجيتهن، فهن مصادر معلومات، فما أن تصرح زوجة سياسي بحديث حتى يصبح تصريحها مصدراً يعتمد عليه ولو كان مطابقاً لما تم نشره في الصحف، كما يقول فوبلر لايفا بلينت.

العلاقات الإنسانية من زواج وحب وصداقة عنصر أساسي في عالم بول الروائي والقصصي. فالعلاقات الزوجية من حيث إنّ رابطاً دينياً

يجمعها تظهر بأنها سليمة بالمفهوم الاجتماعي، لكنها في الحقيقة مهزوزة وشبه معطلة، وهذا ما يجعلها تتخذ منحى آخر يتجلى في علاقة غير مسوغة شرعاً. على أنّ بول لا يدين مثل هذه العلاقات، لا بل إنه يرى فيها صورة للحرية الدينية والجنسية؛ كما أنه لا يضع الحب والزواج على قدم المساواة، إذ إنّ الزوجين، كما يرى هو، قد يعيشان خمسين عاماً تحت مظلة الحب، أو قد ينتهي الحب بعد عام واحد من الزواج، ولا يبقى في هذه الحال إلا الزواج بصيغته المؤسساتية.

ماالذي سيحدث حين يصبح الزواج خلواً من الحب أو حين تتخذ علاقة غرامية شكل الزواج؟ بول يؤيد الذين يعيشون حياة مشتركة من غير زواج، ولا سيما إذا ساد التفاهم جو هذه العشرة. وقد قال ذات مرة في مقابلة أجريت معه إنه لا يستطيع أن يتصور زواجاً خلواً من السخف والسخرية. ربما كانت غايته أن ينشر بذور العصيان عند النساء.

ونجد هذا النوع من العلاقات في رواية بول " نساء أمام طبيعة نهرية "؛ علاقة الزوج بامرأة أخرى وعلاقة الزوجة برجل آخر، مسألة لا تخفى على أي من الطرفين، ولا أحد يرى في ذلك ما يشين، لكأنّ هناك عرفاً أو تفاهماً لا يمنع من أن يكون لهؤلاء الناس في مجتمع كهذا علاقاتهم الغرامية؛ ففي الحفلة التي يقيمها بلاوكريمر يلتقي كارل فون كرايل بزوجته إيفا التي يعرف أنها تعاشر رجلاً مهماً مثل غرويش ويتمنى لها أن تنجب طفلاً منه. بول من أنصار إلغاء الفرق بين الطفل الشرعي والطفل غير الشرعي. وكم من شخصية في روايته هذه كان أصلها طفلاً غير شرعي! على أنّ الشيء الذي يجب أن يوضع موضع التساؤل هو أنّ المسؤول السياسي في الرواية يتجاوز بنفوذه المجال

السياسي مخترقاً المجال الأخلاقي حيث يضع سياسيون آخرون نساءهم تحت تصرفه ويبيحون بذلك أعراضهم ويرون إهانة إذا لم يحظين بالتفاتة منه. ففي هذه الحال تصبح المرأة في هذا المجتمع وسيلة لأن يصنع السياسي مستقبله السياسي. الشفام(الاسفنجة)، الرجل الخطير جداً والذي أطلقت عليه هذه التسمية لأنه يمتص الأموال مثلما تمتص الاسفنجة الماء، يقول مخاطباً ترودي بلاوكريم، زوجة بلاوكريم الثانية: "طبيعتك الحرة الصريحة ستفيد سياسته(أي الزوج!) ومركزه." ولا يخفي بول سخريته الأدبية التي تفعل فعلها في الرواية مثلما يفعل التابل فعله في الأطعمة ، ذلك أن شخصيات ذات مركز عال، مثل شخصية الشفام تزحف ليلاً للوصول إلى مخدع زوجة بلاوكريم الثانية وتتعرض لنيران الحرس من أجل إرضاء نزوة، كما سبق للشفام أن تعرض للصفع من قبل كاتارينا الخادمة في منزل فوبلر حين حاول أن يمد يده إليها، فهي، كما تقول، لكارل، لا لأحد سواه، امرأة تعرف معنى العفة والكرامة وتأبى أن تتنازل عن ذلك أو أن تسمح لأحد أن ينتهك شرفها. حتى شوندت الذي يطارد كل امرأة يحاول النيل من الأعراض ولا يجد حرجاً من التصريح أمام بلاوكلايمر بأنه اشتهى زوجته اليزابيت التي انتحرت وأنه حاول معها، ولكن من غير طائل.

ويكشف الحوار من جهة والمونولوج من جهة أخرى عن الفضيحة تلو الفضيحة. كما أنّ الشيء التافه لا يلبث أن يصبح حديث الساعة . وحديث الساعة في الرواية أمران هما تفكيك المعازف وتحطيمها لتكون حطباً للنار ثم أخذ عجلاتها لاستعمالها في تركيب سيارات للأطفال، كما يفعل كارل فون كرايل المشتبه به الأول في هذه القضية، والأمر

الثاني هو سرقة نجمات سيارة المرسيدس الألمانية . فما الغاية من ذلك؟ ألأنّ المرسيدس العلامة المميزة لفخر الصناعة الألمانية في مجال السيارات وعنوان الرأسمالية العالمية؟ وبهذا تصبح المسألة مسألة أمن واستقرار، وما يحدث هنا يخلق بلبلة. فالتخريب والقيام بالسرقات شيء مخطط له من فوق، وما يحدث من فوضى وخوف وذعر منشؤه السلطة. "من ذا الذي سيصدقك أنك عملت بأمرهم؟" يقول هاينريش فون كرايل لابنه كارل. هذه ال- "هم" هي القوة الغامضة الخفية التي نلتقيها في كثير من قصص هاينريش بول والتي تفعل فعلها في الحياة الألمانية وكان كارل فون كرايل يتلقى منها المأمورية لسرقة نجمات المرسيدس ويتقاضى على كل واحدة يسرقها في داخل البلاد ٥٠٠ مارك و ١٥٠٠ مارك للمسروقة خارج البلاد. والسرقة لا تقع على نجمة أية سيارة كانت، بل المستهدف ليس إلا سيارات كبار رجالات الدولة والبلد، فهؤلاء وحدهم القادرون على ركوب سيارة من هذا الطراز. هل ينطوي هذا العمل على تحدّ، وكأنّ المسؤولين أنفسهم لا يستطيعون أن يتخذوا أي إجراء لإيقاف مثل هذه الأعمال التي يقصد منها المساس بفخر الصناعة الألمانية، كما أنهم عاجزون عن توفير الأمان في البلاد، ويبدو أن حاميها حراميها، إن صح التعبير.

وماذا عن تحطيم المعازف، وبصورة خاصة معازف المصرفيين ؟ ألأنّ الألمان شعب ميال بطبعه إلى الموسيقا ويريد الفاعل أن يصيب من هذا الشعب مقتلاً بذلك؟ تقول إحدى بطلات الرواية:" أعرف كيف يكون وقع الشيء حين يحطم شخص ما البيانوهات." ربما كانت الغاية من تحطيم المعازف هي تحطيم الشعور بالغطرسة والتباهي، ولا سيما حين يتبجح

بعضهم أنّ هذا المعزف أو ذاك قد عزف عليه أحد كبار الموسيقيين المشاهير من أمثال بيتهوفن أو باخ أو موتزارت.

وفضلاً عن ذلك فإن عملية تحطيم المعازف ستكون مدعاة إلى التأمين على البيانوهات، وهذا بدوره سيجر أموالاً كثيرة على أصحاب المعازف. وإذا كان أصحاب المال هم الذين يحتضنون الفن في كثير من الأحيان ويشجعون القيمين عليه فإنهم لاشك المستفيدون من ذلك.

مهما يكن من أمر فإنّ رواية "نساء أمام طبيعة نهرية" ستخاطب القارىء من غير تزلف، لأنّ اللغة التي يكتب بها هاينريش بول لا تعرف اللطف المزيف ولا الكذب المعسول، بل هي لغة تصل مباشرة إلى العقل بالسرعة نفسها التي تصل فيها إلى القلب. لغة قاسية وواقعية تبحث عن وطن آهل لتصبح بذلك لغة مأهولة. وسيجد القارىء عزاء في أن يشارك إحدى بطلات الرواية في أنه لا شيء في هذا العالم إلا الوفاء والحب، وفي هذه الحال لا يتخلى الانسان عمن يحب مهما كان مصيره. فالحب له قوته الشافية، وفي رفض التعالي واليأس عافية ونشاط حيوي. فالعنصر الانساني في عالم بول رحمة ودليل على الأصل فوق الطبيعي للإنسان. وهذا ما يبعث على الطمأنينة التي أكدها غوته واتخذها بول شعاراً لروايته " نساء أمام طبيعة نهرية:: " لا يشكونّ أحد/ من الوضاعة؛/ إذ إنها هيّ القوة / مهما قيل لك./في الشر تسود/ من أجل المنفعة الكبرى،/وفي السداد تتحكم/ على كيفها وهواها."

اللاذقية في ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٢

صلاح حاتم

تمهيد

الطبـيـعـة الداخليـة للأشـخـاص الذيـن يظهـرون، أفكـارهم ومـجـرى حيـاتهم وأعـمـالهم، هذا كله ينبـثق من حـواراتهم ومـونولوجـاتهـم التي يجرونـهـا. وقد تنشـأ تصورات خـاطئة عن طبـيـعـتـهـم الخارجيـة؛ ويبدو ضـرورياً الإفـضـاء سلفـاً ببـعض التـفـاصـيل عن ذلك. فكلا الشـخـصين المختلفين هذا الاختلاف في طبيعتهما الداخلية مثل باول شـوندت والغراف هاينريش فون كرايل لهما العمر نفسه، فكلاهما في السبعين، وكلاهما له الطول نفسه، إذ يتراوح بين ١٧٣ سم و ١٧٤ سم. وكلاهما أشيب بدون البـداية أيضـاً لصلعـة؛ وكـلاهمـا مـجـهّـز على نحـو أنيق بتجهيزات الرجال، بصدرية وهلم جراً؛ ما يسميه المرء " مظاهر معتنى بها "ينطبق عليهما. ولو رآهما المرء معاً من بعيد أو من الخلف لما ميّز أحدهما من الآخر، إذ يمكن استبدال أحدهما بالآخر تقريباً. أما إذا راقبهما المرء عن كثب فلسوف تدهشه ضآلة الشبه بينهما: كرايل نحيل العود، عليل، إنما ليس مريضاً وفق أية مقولات نفسانية أيضاً. أما شوندت فله وجه ممتلئ، إنه نموذج لما يسميه المرء عادة " حيوياً "؛ ممتلىء صحة وعافية، إن صحّ التعبير، على أنّ المرء يكتشف عنده لدى مراقبة أدقّ حساسية مفاجئة.

إنّ ظاهرة مثل "الاسفنجة"(الشفام) الذي لا يظهر إلا لوقت قصير، وبالمناسبة يفعل فعله وراء الكواليس، لم يكتسب لقبه لأنه اسفنجيّ. فهو يجاوز ١٨٠سم، مزوّد مثل شوندت وكرايل. ليس بديناً، ورغم سنّه (٦٨عاماً) ما زال رياضياً إلى حدّ ما. أصله غير معروف؛ وما من مرة رأى أحد شيئاً ما مثل " أوراقه وثبوتياته". ففي إمكانه أن يكون سويسرياً وألمانياً ونمساوياً أو مجرياً ناطقاً بالألمانية من بوهيميا. ويدين بالاسم "شفام" لحقيقة الأمر أنه يمتصّ المال ويتشرّبه. فهو دؤوب على أن ينشر الشائعة أنه من نبالة رفيعة. وعمر الزوجين فوبلر ينتج من سيرة حياتهما. والرجال المتجمعون حولهما وحول شوندت هم: هالبركام وبلاوكريمر وبينغرلي، وتتراوح أعمارهم بين الرابعة والخمسين والتاسعة والخمسين. والعالم الأدبي توخيلير الذي لا يظهر إلاّ على نحو غير مباشر، في السابعة والخمسين. وهم جميعاً مرتّبون في لباسهم ويلبسون صدرية وربطة عنق وغير ذلك، إلاّ أنهم ليسوا على شاكلة الرجال **تماماً** مثل شوندت وكرايل والشفام. وتظهر عند فوبلر وبينغرلي بدايات معينة "لتصرفات غير سليمة"، وضع ربطة العنق، الأحذية وهلمّ جراً-. والأنيق على نحو غير لافت للنظر كلياً هو المصرفي كرينغل البالغ من العمر ستة وستين عاماً، فأناقته طبيعية أكثر من أناقة شوندت والشفام وبينغرلي أيضاً، ففي لباسهم وزينتهم شيء لافت للنظر على نحو مبالغ فيه. ويوحي كل شيء عند كرينغل كأنه" مصبوب صباً"، والأحرى أن يقال: كأنه طبيعي. فهو الوحيد الذي يوحي بأنه "نبيل "، مع أنه ليس نبيلاً. ويتوسط ارنست غروبش هذه المجموعة التي تتراوح أعمارها بين منتصف العقد السادس والعقد السابع، فهو في الرابعة والأربعين ويرتدي ملابس

متوسطة الجودة، ليس هو ذلك الذي لا يعنى بمظهره، لكنّ الملاحظ أنّ اللباس لا يهمه. كارل كرايل في الثامنة والثلاثين، ذو طبيعة مغايرة لطبيعة غروبش. فالأعوام الستة التي هي فارق السن بينهما توحي وكأنها فارق جيل. كما أنّ اللباس في نظر كارل فون كرايل ثانوي، إنما على نحو أكثر إهمالاً وأكثر ثقة واعتداداً بالنفس. وفي الحفلات، وحين لا يظهر في السترة والسروال المصنوع من القماش السميك المضلع يكون لباسه تقليدياً في غير كلفة، ويوحي بطريقة ما بأنه " متنكّر ". وأصغر السادة ، المنشّط ايبيرهارد كولده، في الثلاثين؛ ويحاول أن يضفي على نفسه مظهر الطبيب، فلا يفلح. إنه شاب جميل لطيف المعشر يحاول من غير طائل أن يظهر بمظهر الجاد.

ويتم الاطلاع على لباس السيدتين فوبلر وكرايل-بلينت اطلاعاً كافياً في النص. اريكا فوبلر في الثانية والستين، ايفا كرايل-بلينت في السادسة والثلاثين، اليزابيت بلاوكريم(المدعوة" بلاوكريم الأولى") في الخامسة والخمسين؛ فهي طويلة نوعاً ما، شقراء، لا توحي بأنها غير مرتّبة ولم تعنَ بمظهرها ، إنما بطريقة ما ليست "لابسة لباساً كاملاً"، وهذا أكثر من إهمال أو تكاسل فقط، و تنسى دائماً أن تزرّر بعض الأزرار أو أن تقفل أحد سحاباتها أو الآخر قفلاً تاماً. إنها أكثر بدانة مما يوحي ظهورها، وقد يحدث أن تلبس أحذية مختلفة، الحذاء الأيسر قبل الأيمن، والأيمن قبل الأيسر. والطبيبة د. دومبلر في أواخر الثلاثين، ظاهرة لا تلفت الانتباه. وآديلهايت كابسْبيتر التي هي في مثل سن ايفا كرايل-بلينت تلبس لباساً قويماً بصورة خاصة. كاتارينا ريشتر في الثلاثين وتعمل في التدبير المنزلي من غير وزرة، وهي ذات أناقة لا يمكن

تعريفها وتمنحها شبهاً بايفا كرايل-بلينت. وكلتاهما يمكن أن تكونا مذيعتي تلفزيون. ترودي، " ثانية بلاوكريمر "، من النساء اللواتي يخطئن في صباهنّ (أو ينخدعن بمستشاريهنّ): إنها في الثانية والأربعين، إلاّ أنها تلبس لباس امرأة على أبواب الثلاثين، تستسلم لكل واحد، ولكن أيضاً لكل اتجاه عام، وبهذا توحي على نحو متكلف كاذب بأنها سوقية مبتذلة. فهي لم تدرك الفرق بين تقويرة و "فوق بدون "، وعلى هذا تظهر، وكما هي ناهضة النهدين، على نحو يوصف وصفاً صحيحاً بأنه غير لائق وفي غير موضعه. ولوري شميتس، أصغر السيدات، في العشرين، ليست على هيئة الوجوديين المتسكعين إطلاقاً، بل هي على الزي حسنة الهندام ، وفي تسريحة شعرها أيضاً. وفي إمكانها أن تكون طالبة وموظفة مصرف وبائعة. ولن توحي في أية بيئة اجتماعية أو مهنية بأنها في غير موضعها، حتى ولا عند استقبال أصحاب مقام رفيع تابعين للكنيسة.

الفصل الأول

(شرفة واسعة مسقوفة تابعة لفيلا خاصة بكبار البورجوازيين تعود إلى مستهل القرن الجديد بين بون وبادغوديسبيرغ، في وقت مبكر من صباح أواخر الصيف، إطلالة على ضفة الراين المقابلة حيث يرى المرء فيلات أكبر حجماً وراء غابات منخفضة وأدغال. مائدة الفطور مجهّزة لشخصين، إريكا فوبلر جالسة بالمعطف الصباحي إلى مائدة الفطور، إلى جانبها الجريدة، وباليد مخطوط تقرأ فيه حين تأتي كاتارينا بالقهوة. تضع كاتارينا إبريق القهوة.)

اريكا فوبلر (ترفع نظرها): شكراً، لا أريد بيضة. ماذا يفعل زوجي؟ هل نهض؟

كاتاريناريشتر: هو في حوض الاستحمام ويشرب القهوة. السيد... زوجك يرى أنّ عليّ أن أخرج لك من الصوان الطقم الرمادي وأن أكويه أيضاً ... ويرى أنّ في إمكانك أن تلبسي عليه مرجاناً.

اريكا فوبلر (تضحك): لديه ذوق وشيء أكثر. فإذا احتجت ذات مرة إلى نصيحة، أعني، في مسائل اللبس ...(وبما أنّ كاتارينا تريد الذهاب). انتظري لحظة من فضلك. اتركي الثوب في الصوان، لن أحتاج اليوم إلى ثوب.

كاتارينا ريشتر (مترددة): القداس الكبير في مونستر. أعني، احتفال بذكرى وفاة إرفتلربلوم...

اريكا (تطوي المخطوط): لن أذهب إلى القداس الكبير. لا تقولي هذا لزوجي. (تضع المخطوط). قرأت لتوّي سيرتك، ملفّك - إنه ليس في حوزتي، أعرف، لكنني طلبته ... أريد أن أعرف من هم حولي. أنت تفهمين أنه يجب اختبارك أمنياً، إذا ما عملت عندنا؟

كاتارينا: طبعاً - في هذا البيت حيث ...(تتلعثم)

اريكا: حيث يتردد ناس كثيرون وحيث يحكى الكثير الكثير. وتعرفين أيضا حق المعرفة أنّ رجال الأمن نصحونا بالتخلي عنك؟

كاتارينا: أجل. في وسعي أن أتصور هذا. أنا-(تتردد)- أود أن أشكرك أنك تبنيتني رغم هذا. وكذلك باسم كارل. أأدين له بهذا؟ أم؟

اريكا (تحدّق فيهابدقة):أجل، هو أيضاً. انما آخرون أيضا - زوجي.

كاتارينا: وحضرتك؟

اريكا:(تومئ بالإيجاب): نعم، بعض الشيء. ليس في وسعي أن أتصوّر أنّ كارل يعاشر لسنين طويلة شخصاً يمكنني أن أرتاب فيه. وبالمناسبة - (تلتقط المخطوط تضعه من جديد)- لا أجد أيّ شيء في ملفك يجعلني أسيء الظنّ بك. فأنت خادمة مطعم متدربة وعملت أيضاً خادمة في فنادق ... وحصلت في دورات مسائية على الثانوية ودرست وأنجبت طفلاً - من كارل؟

كاتارينا: نعم، من كارل. وعمره أربع سنوات وسميناه هاينريش باسم أبي كارل.

اريكا (تضحك): أجل، قرأت هذا هنا- زيّ قديم، من ذا الذي يسمي صبياً باسم هاينريش. (تقلّب المخطوط تقليباً سريعاً محدثة طقطقة). المظاهرات القليلة التي شاركت فيها.

كاتارينا: والسرقة التي اقترفتها.

اريكا (متغافلة): أجل، قرأت ذلك. كانت نقوداً ظننت أنها من حقّك. ربما كانت فعلاً من حقك.

كاتارينا: كانت من حقي. ساعات إضافية. حسابات غير متقنة.

اريكا: أنا أيضاً سرقت فيما مضى. في الحرب وحيثما استطعت. وكنت فيمابعد في العمل الإجباري لدى القوات المسلحة بائعة أحذية متدربة. أحذية، جزمات، أدوات جلدية - لم يضبطوني قط، كان يمكن أن يؤول هذا إلى الفشل: تخريب وسرقة ممتلكات جيش. كنت جائعة أنا وزوجي أيضاً حين كان في إجازة. هو أيضاً سرق. (بصوت خفيض وهي تبتسم). إياك أن تنقلي هذا. وبعد الحرب سرقت أيضاً، من عند الأمريكان في الكازينو. ووجدت أيضاً أنّ هذا كان من حقي - سجائر وشوكولا - لزوجي الذي كان يدرس وكان جائعاً - ومدمناً على السجائر. لا، شيء آخر مهم. أتتنصتين؟

كاتارينا: لا، إنّما لي أذنان أسمع بهما.

اريكا: وتتحدثين؟

كاتارينا (تتردد وفي حيرة شديدة): لا أخفي شيئاً عن كارل ... (تهزّ الرأس. اريكا تنظر إليها مذعورة). لا، لا شيء - لا شيء سياسي. على أنه متعلّق جدا بك وبالسيد فوبلر، حسبه أن يعرف كيف هي حالكم.

اريكا (تتنهد): وكيف هي حا لنا؟

كاتارينا (تبتسم): بخير، على ما أعتقد -و(تشير إلى الجريدة) ما جاء في الجريدة يقرؤه بطبيعة الحال، ونحن نتكلم عما جاء في الجريدة.

اريكا: جاء في الجريدة أنه لا يمكن أن يؤخذ أي مأخذ على زوجي في قضية بينغرلي. إنما جاء أيضاً فيها ما يمكن أن تكون له علاقته بكارل. (وبما أنّ كاتارينا تصمت). أنت لا تفهمين ما أقصد؟

كاتارينا: لا.

اريكا: للمرة الثالثة في هذه الليلة يتم تفكيك معزف كبير غالي الثمن يقال إنّ بيتهوفن عزف عليه، ويكوّم مثل الحطب أمام المدفأة. هذه المرة عند كابسْبيتر. أنت تعرفين ...

كاتارينا: أجل، قرأت هذا-عند كابسْبيتر كثيراً ما قدّمت الطعام. أمس أيضاً.

اريكا (تمسك رأسها):أجل - ولهذا يجب أن تبدي لي أنك معروفة إلى هذا الحد. كذلك عند كيليان، أليس كذلك؟

كاتارينا: وخدمت عند هويلْبوك أيضاً - ورأيتك -

اريكا: أنت تعرفين أنّ كارل اختصاصي في تحطيم المعازف الكبيرة؟

كاتارينا: أجل، وقد حدّثني بذلك، فقبل سبع سنوات حطّم معزفه وأحرقه في المدفأة. زوجته تركته - وأنت لم تعودي تختلطين به.

اريكا: لم يخسر بعض الصداقات فحسب، بل فقد أيضاً الكثير من العطف. لقد داخلني خوف منه - فقد قام بهذا ببرودة، ببرودة تامة:على نحو دقيق وفي إصرار - وفاحت منه رائحة ورنيش محترق. ومن عجب أنه لم يحتفظ إلاّ بالعجلات.

كاتارينا: أما زلت خائفة منه؟

اريكا: لا، ليس منه - خائفة عليه دائماً. أحبه حبي للابن الذي لم أنجبه. (متـأثرة). لا بل إني أثق به - إلاّ أنه تمّ بعد ذلك تحطيم بيـانو برانسين قبل خمس سنوات، وقبل أربع سنوات بيـانو فلوريان، والآن بيانو كابسْبيتر.

كاتارينا: أعرف، في كل مرة حامت الشبهات حوله، وفي كل مرة أثبت براءته.

اريكا: هل حدّثك بحديث هذا الموضوع في ريو؟

كاتارينا: أجل، روى لي كل شيء، وأعرف أيضاً أنه يدين لك، حين جاءت عقوبته خفيفة إلى هذا الحد وأوقف حكم التنفيذ. لا شأن له بهذه (تشير إلى الجريدة) ، ولا شأن له أيضاً بالموضوع عند آل برانسين.

اريكا: أرجو له ذلك. ما زلت أحبه، حتى لو (تهزّ الرأس) ... لم تفهمه زوجته آنذاك. أتدرين بما كسب هو ماله القليل؟

كاتارينا: لا، وأحياناً يكون في سفر إلى زمن غير قصير، ويكون لديه مال بعد ذلك، ولا أدري بمَ كسبه. يقول دائماً، إنه لسرٌ - وسخيف وسريّ على نحو سخيف. ونحن نقتصد جداً في معيشتنا.

اريكا: (تشير إلى الملف): تريدين الرحيل من هنا؟

كاتارينا: أجل، أنا، لا هو. (تنظر إلى ما هو غيرمؤكّد). أجل، راحلة من هنا، وليتني أعرف إلى أين. لكن من دونه - لا، ربما استطعت أن أقنعه. (تسترق السمع داخل البيت). زوجك آت، سأحضر له البيضة. (تخرج).

(فوبلر يظهر للعيان. وقد لبس لباس الاحتفال ، بدلة سوداء وما إلى ذلك. يعانق زوجته ويقبلها على الخد ، ويعلق سترته على الكرسي ويجلس.)

فوبلر: نمت نوماً رديئاً جداً؟

اريكا: مثلك - لم يغمض لي جفن.

(كاتارينا تجلب البيضة وتضعها أمام فوبلر وتخرج من جديد.)

فوبلر ها قد تنصتّ من جديد، وأثرّ فيك خوف وسخط وغضب تأثيراً شديداً. كفاك تنصتاً يا اريكا ...

اريكا: استرقت السمع بالطبع، كما هي العادة، حين تلتقون عندنا، وأنت ترى أني استرقت السمع دائماً، من ست وثلاثين سنة. ففي ديرفانغين وهناك كانت ماسورة المدخنة تمر من المطبخ إلى غرفة الجلوس الصغيرة، وكان يكفي أن افتح غطاء السخام الصغير؛ وفي هولزبولتسينهايم كنت أقف على الشرفة كما هي الحال هنا (تشير مرة أخرى إلى فوق). أنت تعرف وتريد أن تعرف أيضاً أنني أعرف- الليلة جلس هنا (تشير إلى كرسيها) شخص ما ...

فوبلر (متخوفا)ً: لا أسماء، لا أسماء يا اريكا.

اريكا (تضحك): الآن بلغ عدد الذين لا يجوز ذكر أسمائهم ثلاثة. ألا يجمل بنا أن نرقّمهم؟ رقم ١ - هذا هو الذي، أنت تعرف - رقم ٢، هذا هو الذي، أنت تعرف - والذي جلس هنا: الرقم ٣.

فوبلر: تعلمت أنت أنّ السياسة عمل قذر.

اريكا: والشيء الذي لا يعني أن القذارة سياسة.

فوبلر (ينظر اليها مدهوشا)ً: حتى الآن كنت عاقلة بما يكفي ألاّ

تتحدثي وتشيّعي الاشاعات، ولا أمام صحفيين - كما فعلت اليزابيت بلاوكريمر-، كما أنك لم تطوفي في المقاهي والمطاعم كلها وتثيري القلاقل والبلبلة كما فعلت هي.

اريكا: وهذه لم تسترق السمع فحسب، بل قرأت أيضاً ملفات ومذكرات وسجلت ملاحظات. وذلك الذي كان هنا هذه الليلة رأته هي أيضاً - رقم ٣. لم أره إلاّ كالطيف، وتعرفت عليه من الصوت. كان ذلك الصوت الذي خفنا منه كلنا - الصوت الذي أراد أن يسوقكم كلكم، أنتم أيها الجنود، إلى الموت - ويسوقنا نحن كلنا. وعلى شرفتي الأرضية هذا الصوت - وضحكته ...

فوبلر (يترك البيضة المقطوعة الرأس الخاصة به في مكانها ويتوجه صوب اريكا ويضمها ويتكلم بصوت خفيض):أتوسل إليك، توقفي، أنت أخطأت.

اريكا (تتحرر من ذراعيه): صوت رهيب. صوت قاتل - كانت زبانيّته ستعلّقك لو لم ألقِ فوقك كيساً في حجرة المكانس حين كانوا يبحثون عنك.

فوبلر (أشدّ تخوفاً)ً: خفّضي الصوت، ليس بمثل هذا الصوت العالي. أنت تخدعينني. (بنبرة لا تخلو من تهديد.) إنه الشخص نفسه الذي تدّعي اليزابيت بلاوكريمر أيضاً أنها رأته وسمعته ولم تستطع أن تثبت أيّ شيء، ولم تثر إلاّ القلاقل.

اريكا: إلى أن ألقي بها في مصح الأمراض العقلية. لا، لم تستطع أن تثبت أي شيء - ومع هذا كانت هي على صواب. أنت أدرى مني: ليس كل ما لا يستطيع المرء أن يبرهن عليه غير صحيح. وزوجة بلوتغر

أيضاً لم تستطع أن تثبت أيّ شيء إلى أن جنّت من الحقيقة التي لم تستطع البرهان عليها، لن أتحدّث أيضاً، ذلك لأنني لا أستطيع إثبات أي شيء. و يعرف المرء تمام المعرفة ما تتصوره نساء أصبن بالهيستريا من جراء أشياء، نساء غير راضيات، كما هنّ عليه، محبطات، يشربن قليلاً ويصبن بعد ذلك بالهلوسة.لا، لن أتحدّث، لكنني أعرف ما أعرفه وسمعت ما سمعت. وأنت تعرف حق المعرفة أنّ اليزابيت بلاوكريمر لم تكذب.

فويلر: ليس لديها ذرة من الخيال، وإلاّ لما جاءت دائماً بحقائقها. وأنت، أنت لم تستطيعي النوم بعد أن سمعت؟

اريكا: أعرف تماماً أن أذنيّ ليستا قوة إثبات.(بنبرة غليظة) عليك أن تنفض يديك من ذلك يا هيرمان. (بقسوة شديدة.) كفاية، يا هيرمان، كفاية. ماذا تنوون أن تفعلوا ببينغرلي؟ أسمح لنفسي بأن أتفوّه بالاسم، الذي هو موجود في الجريدة، أو ينبغي أن أقول رقم ٤-لا، رقم ٤، سأحتفظ به من أجل ربّنا الذي تتكلمون عنه كثيراً: رقم ٤ ،هذا هو ربّنا- وقد نسيتم أنّ لهذا بضعة أسماء أخرى.

فويلر: لم أسمعك تتكلمين من قبل بهذه الطريقة ، يا اريكا، طوال أربعين سنة.

اريكا: أجل، مرة واحدة، يا هيرمان، قبل أربعين سنة تقريباً، حين فررت من القوات المسلحة الألمانية وقبعت في حجرة المكانس وحين ألقيت أنا عليك كيس بطاطا فارغاً-آنذاك سمعت أنت كيف كنت أتكلّم مع كلاب الحراسة، بعد انتحار هتلر بثلاثة أيام. وكان كلاب الحراسة مبعوثين من قبل رقم ٣ - الذي سمّيتموه سفاك الدماء وأنت سمعتني

حين كنت أتكلم مع شوندت وحين صفعت بلاوكريمر وطردت هالبركام - فصوتي لا يمكن أن يكون جديداً عليك هذه الجدة. وكذلك أيضاً حين صفعت الشفام (الاسفنجة) سمعت أنت هذا الصوت الجديد.

فويلر: مضى على ذلك زمن طويل، وآمل ألاّ تتحدثي عن هذا، أعني عن فراري.

اريكا (تضحك):لا، لن أحكي هذا للجنة الدفاع ولا للجنرالات الذين ندعى إليهم أحياناً - أما أنت فأقول لك هذا. ولا تزال هناك أيضاً مناسبات وفرص أخرى سمعت فيها أنت هذا الصوت، صوتي أنا - لمّا - أو بالاحرى: حين رجوتك ألاّ تذكر شوندت في حضور أبي، أتذكر؟

فويلر: كان أبوك متعصباً - هو ...

اريكا: أجل كان متعصباً - كان يكره شوندت، وحين كنت أدعوه إلى القهوة كان علي أن أقسم له إنّ القهوة والكعكة لم تشترَ بنقود شوندت، بل من أتعاب محاماتك -ويفضل أن يموت جوعاً على أن يقبل قطعة خبز من يد شوندت - وأغلب الظن أنه جاع ما فيه الكفاية. والآن أكرر: كفى، ياهيرمان، كفى.

فويلر: منذ متى هذا الميل إلى بينغرلي؟

اريكا: أنا لا أطيقه ولم أطقه قطّ، وأنا مثل أيّ منكم كان يمكن أن أتكهن أنه سيقوم بمحاولة خداعكم. لا، لا انجذاب إلى ضحك بلاوكريمر حين تكلم هو عنه - وهذا، هذا الضحك - أنت تعرف، ضحك الرقم ٣. أصاب بالقشعريرة دائماً وأبداً حين يضحك بلاوكريمر - ثمّ الآخر أيضاً...

فويلر(محتداً ومتوسلاً): كفّي عن الانصات، يا اريكا، أرجوك - لا تعودي إلى هذا أبداً، تذكري اليزابيت بلاوكريمر.

اريكا (تحيطه بذراعها): وقفت وأنا أرتعش برداً إلى أن انصرفوا - هالبيركام، بلاوكريمر، شوندت و - الرقم ٣ - انسحبوا سكارى، يترنحون ويضحكون. وأنت جلست وحيداً، لا تبدي حراكاً، وأغرقت نفسك بالشراب.

فوبلر: كان عليك أن تأتي إليّ، ظننت أنك نائمة، ولم أرد إيقاظك.

اريكا: إيقاظ! استلقيت صاحية إلى أن سمعت كاتارينا آتية - ومن المطبخ تطايرت إلى فوق رائحة القهوة: وأخيراً واحدة تستطيع أن تعدّ القهوة - ولا اعتراض عندي أن تكون شيوعية قحة: فالقهوة تستطيع إعدادها.

فوبلر: ليست شيوعية - إنما مشكوك فيها أيضاً ... على أية حال حاولت زمناً طويلاً أن تهاجر إلى كوبا. حال كارل دون ذلك.

اريكا: انها زوجة كارل - وهذا يكفيني. وكثيراً ما تكلمني عن اليزابيت بلاوكريمر التي زرتها مرتين، ولن أذهب مرة ثالثة. فهذا النوع من المصحات العقلية هو في نظري فخم جداً بعض الشيء - هذا المزيج الظريف من الفندق الفخم والمصح. ليس هناك إلاّ النساء، نساء غنيات جداً بشرابات وحلي رخيصة. هناك يتم، أنّى للمرء أن يعبر - تصحيح ذكريات شخص ما. وبهذا تهددني إذاً - وإلى هناك تريد أن توصلني؟

فوبلر (في خوف شديد): لن أوصلك أبداً إلى هناك. لا أبداً - أنا لا...

اريكا: أنت لا؟ ربما شخص آخر؟ ربما شوندت أو بلاوكريمر أو الآخر؟ لم أره الرؤية التامة بعد، مرة واحدة فقط رأيت شرارة حين أشعل الغليون: أشيب، نبيل ذو جاذبية لم تتغير، مثل معظم القتلة الذين

مـازالوا أحـيـا ء. في وسـعي أن أسـمع وأرى أيضـاً ، وأجلس فـوق في شرفتي في ليلة صيف دافئة، وأشرب قليلاً من النبيذ وأتطلع إلى الراين الذي يلمع أحياناً لمعاناً فضياً. لماذا تأتون إلى هنا؟ لماذا لا تذهبون إلى يوحـانيس هاوس أو ايديلفـايس؟ أنا أعـرف، ياهيـرمـان، مـا لا تعـرفـه أنت:لاشوندت وبلاوكريمر وهالبيركام يريدون أن أتنصّت. إنه الشروع في الاغتصاب - عليّ أن ألتهم القذارة التي يحظّر عليّ الحديث عنها بعد ذلك. على كل حال فأنا المرأة الوحيدة التي لم يستطع شوندت أن يظفر بها والتي لم يستطع بلاوكريمر - أنى لي أن أعبر عن ذلك - أن يزفها إليـه. فمـا أنا ابنة مصرفي، ولست نبيلة عـريقة النسب، إنما ابنة بقال قروي متعصب عاش بقالاً من الحصة المخصصة ولم يأخذ غراماً واحداً من الزبدة زيادة عـمـا كـان حـقـه؛ كـيـف يسـمي المرء هذا - ولسـوف يهـتـز هالبيركام من الضحك: متعصباً للعدالة خاب فأله أيضاً في أن يكون كاثوليكياً ورعاً. هل تعرف لماذا التحق أخي في الجيش بمحض اختياره؟ لأنه أمل في أن يأكل هناك حتى الشبع ... كان بعد طفلاً، صبياً كان حين ضبطه الأب مرات وهو يسرق، وحين كان يقطع لنفسه نقانق ويأخذ زبدة وخبـزاً - الأب الذي نفّره من البيت - ورموه بعد ذلك بالرصاص، هناك في النورماندي. أتذكّره كل يوم، وتذكرته كثيراً في تلك الليلة حين جلس سفاك الدماء هنا تحت: فضي الشعـر، نبيل، مسن وبمرتّب عالٍ، وضحك مثل دستتين من السكاكين حين كنتم تتكلمون عن بينغرلي. (فوبلر ينظر إليها متوجعاً ومتضايقاً). وعـرفت أنت أنّ شوندت كان يطاردني، من البداية، وحتى في ديرفانغين؟ ألم تعرف ذلك؟

فوبلر (يومئ ويتنهد)ّ:أجل، إلاّ أنه كانت لي ثقة بك دائماً - وإلاّ - كنت ...

اريكا: ماذا؟

فوبلر: كنت خنقته.

اريكا: ربما كان عليك أن تفعل هذا في وقت مبكر بما فيه الكفاية. ليس من أجلي. وحاول هذا المرة تلو المرة. وآخر مرة قبل خمس عشرة سنة، هناك تحت في يوحانيس هاوس على البحيرة - هناك كنت لا أزال امرأة أراد أن يضاجعها. (بصوت أخفض). كان الجو ضبابياً. نهاية أيلول، الطقس يميل إلى البرودة وفي الصباح. في وقت مبكر جداً، صحوت حين نهضت أنت ، وذهبت إلى المطبخ وأعددت قهوتي واستلقيت في السرير من جديد، استلقيت هناك والنافذة مفتوحة وأمعنت التفكير، وفكرت بوالدي وأخي والراهبات اللواتي كنت عندهنّ في المدرسة واللواتي أحببتهن وما زلت أحبهنّ، وفكرت بأمي، آه، فكرت بي وبأمي طبعاً - ثم رأيتكم. لي عينان أيضاً، يا هيرمان، لا أذنان فحسب. رأيت كيف خرجتم بالسيارة لكي تغرقوا ملفات كلوسوف. (فوبلر محدقاً بها). لم تعرف إذاً أنني عرفت ذلك؟ رأيت كيف خرجتم بالسيارة، كما لو خرجتم إلى صيد السمك بالصنارة ومعكم الكثير من أدوات صيد السمك - وكذلك ايضاً أدوات غطس، وأحزمة رصاصية كثيرة، وظننت: أيريد هؤلاء أن يغطسوا في هذا الصباح المبكر البارد؟ثم رأيت من بعد ذلك كيسين بحريين، وكانت فيهما ملفات كلوسوف، إذ منذ ذلك الحين اختفت، لا بل إنّ الشرطة بحثت عنها من غير طائل. عدتم من دون الأكياس البحرية ومن دون الأحزمة الرصاصية، ولم تصطادوا أيّ شيء. حتى ولا سمكة واحدة. إلاّ الملفات، فكانت على عمق ٢٨٠م. صباح جميل، ضباب فوق البحيرة، والطيور في القصب.

وانقشع الضباب تدريجياً، وانبلج صباح جميل - والشمس اخترقت ذلك - وفي الكازينو سمعت كيف كنتم تضحكون، تشربون وتضحكون. والسيد شوندت الكبير الذي لمصلحته حدث التغطيس الكبير، و لم يخلق لعمل التغطيس هذا، فهذا العمل كان في نظره غاية في القذارة، لازم السرير و قبل أن تعودوا حاول أن ينسلّ إلى سريري. هدىء من روعك، يا هيرمان، هدىء من روعك على أحسن أصدقائك قبل أن تخنقه. لم أسمح له بالدخول، لم أسمح له قط بالدخول، يا هيرمان. وبالمناسبة لم أحسّ قط بالجاذبية التي يتمتع بها، كما يقال، لم أفطن إلى ذلك، ووجدته دائماً فظاًغليظاً. الحق أنّ بلاوكريمر وهالبيركام وضعا زوجتيهما دائماً تحت تصرفه بلا حدود -حدثتني اليزابيت بذلك، في يوحنا هاوس أو في بيتروس هاوس. وأنت عرفت حق المعرفة أنه كان ورائي منذ البداية، في ديرفانغين، حين بدأتم لتوكم وأوشكت أن تقتل نفسك بالعمل من أجله - وبينغرلي شارك من البداية أيضاً - شاباً، متحمساً مثل مساعد قسيس في القداس - وجائعاً، يا إلهي، كنتم كلكم، كنا كلنا - جائعين.

فوبلر (يهزّ الرأس مأخوذاً ومدهوشاً): هذا ما تصورته أنا أحياناً - أما أني عرفته - فلا. لماذا لم تحدثيني قط بهذا الحديث - عن شوندت؟

اريكا (مركّزة): أجل، لماذا لا؟ لماذا؟ كان سيتغير كل شيء. وما كنت سأستطيع أن أثبت أي شيء - وأنت تعرف ما رأي الناس في نساء يتحدثن بحديث كهذا، إنما لا يستطعن أن يثبتنه. كنت سأوصف بأنني مضطربة عصبياً، وربما كنت أنت ستشك - غريب عجيب إنه لنادر أن تروي نساء مثل هذه الأشياء. وهناك سبب آخر(بصوت أخفض) - صعب

الإفصاح عنه، لكنه حقيقة: لا داعي للضحك حين أقول لك هذا، إلاّ أنّ هذا صحيح: براءتك - ليس هناك من شيء مؤثر في القلوب أكثر من رجال أبرياء، وأنت واحد ...

فويلر: رغم الحادثة مع غولبين؟

اريكا: الحادثة مع غولبين هي بالذات برهان على براءتك. خمسة أيام امتحان كتابي في الأكاديمية - ومن ثمّ امرأة لها هذان النهدان - وهذان سيّراها إلى غرفتك لكي تسبب لك أزمة نفسية، وهي، هي أرادت أن تسجل لنفسها من خلالك نجاحاً باهراً في المهنة - آه، ياهيرمان، هذا برهان على براءتك. وهذه جهزت هالبيركام وأرسلته إلى حجرتك.

فويلر: وكارل، الغراف الصغير، الذي يعاشر خادمتنا الجديدة؟ ما قولك فيه؟

اريكا: إنه في نظري مثل ابن لم أنجبه ، أو مثل أخ أصغر كان لي ورموه بالرصاص. وحين تعرفنا إلى كارل كنت في الثامنة والأربعين وهو في الرابعة والعشرين - وبالمناسبة يمكنه أن يكون أي شيء تريد إلاّ أن يكون زير نساء. لكنه يتمتع بجاذبية، وهو، هو - آه، يا هيرمان، سريّ - ما كنت سأقوم بذلك قط.

فويلر: وفقاً للسن فهو أقرب إلى أن يكون الأخ لا الابن.

اريكا: حين ولد كنت في الرابعة والعشرين. الشيء الغريب: أنت لا تحب زوجته الأولى مثل ابنة أو أخت.

فويلر: أحبها حب زوج لزوجته.

اريكا: عندك موعد معها مساء هذا اليوم. هل تجاوزت صدمة

البيـانو وتريد أن تعزف معك من جديد عزفاً ثنائياً ؟ تعديلات القطع الموسيقية لشوبان؟

فـويلر: من ذلك الحين لم تمسّ مـعـزفـاً عل الإطلاق - لا، عليّ أحذّرها، إنها على وشك أن ترتكب حماقة ...

اريكا: هل ستترك صاحبها غروبش؟ ثم تأتي إليك؟

فويلر: آه، يا اريكا، هل تعرفين: لست أدري هل أحبها لأنـها لن تعشقني، أم هل أنا خائف من أنها ربما وقعت في حبي. فهي أصغر سناً مني بثلاثين سنة. لا، لقد شغف قلبها بكوبيّ وتريد أن ترحل إلى كوبا.

اريكا: ايفا بلينت مسافرة إلى كوبا!غريب: كاتارينا أيضاً أرادت الرحيل إلى كوبا - أي شيء تريدانه هناك؟

فـويلر: تريدان الرحيـل من هنا ولا تعرفـان إلى أين. فـيـمـا يتـعلق بكاتارينا أستطيع أن أفهم ذلك: فقد عملت خادمة هنا عشر سنوات، في كل البيوت وفي كل المناسبات. إنّ عيشاً على هذا النحو لبغيض وممجه الذوق. ألا تريدين أنت الرحيل من هنا أيضاً؟

اريكا(تومئ مـتـعـبـة): بلى، إلا أنني أعـرف أنه ليس هناك مكان نتوجه إليه، إذاً عليّ أن أبقى. إنه ليس وطني، إلاّ أنه بيتي ومقامي. وهنا كـثـيـرون أكنّ لهم الود ولا أريد أن أفتـقـدهم: قد لا يمكنني العيش في مكان آخر، إلاّ أنني أود أن أرحل من هنا - وأود أن أبقى أيضاً إلى جوارك - إنّ فـيك الكثـيـر الكثـيـر من الشاب اللطيف الخجول الذي اصطحبته معي آنذاك إلى الحجرة. أما كارل فيدهشني أنه لا يهمني: سواء أكنت بقربه أم لا، فهذا غير مهم.

فــوبلر (يتنـاول الجــريدة): هل قــرأت مــا حــدث هذه الليـلة عـند كابسْبيتر؟

اريكا: أجل. قرأت ذلك. (تصمت هنيـهـة). عـجـيب: فـمـا فـعله آنذاك بمعزفه لم أعد أجده اليوم مزعـجاً وأليـماً إلى هذا الحد. هل كـارل متهم في قضية كابسْبيتر؟

فوبلر: الشك يقع عليه آلياً. آمل أن يكون لديه إثبات الغيبة.

اريكا(تضحك): لا شك أنّ لديه هذا. أنا لست قلقـة. قـبل عـشـر دقـائق رأيتـه بالمنظار. كـان يجلس على درج مـقطورة نومـهـا، وفي يده كـوب القـهـوة وكـان يقـرأ الجـريدة. بدا نشـيطاً كل النشـاط. (بصـوت منخـفض). لن تنالوا من هذا ولـو ضـبطتـمـوه، فـأنتم لـم تنالوا مـنه حين ضبطتموه وكان عليه أن يدخل السجن.

فوبلر: شوندت يكرهه من غيـر أن يعـرفـه - وأنت تعـرفين شـوندت. بالمناسـبـة أنت تخطئين حين تعـتـقـدين أنّ شـونـدت كـان جائعـاً مثلـمـا كنا نحن. إنه لم يعـان قط مـن الجـوع، وبهـذا تميّـز هو عنا كلنا - فـقـد تحلّب ريقنا، أمـا هو فـلا. فـهـو لم يعـرف قط الفرق بين الشـهـيـة والجـوع. وإلى الآن لا أحد يعـرف تمام المعرفـة كيف وأين مرّ بالحرب. بضع إشارات فقط - إيطاليا.

اريكا: أجل، أعـرفه، ليس فـقط من الجانب الذي وصفته لك. وإنها لماثلة في الأذهان اللحظة التي جاء فـيها أول مرة إلى شقتنا تحت السطح في ديرفـانغين، بعـد هذا النقـاش في بيت القـسـيس. قـال لك إنّ الشيء الحقيقي الوحيد هو الآن السـياسة، أفضل من القانون وأفضل من أي نوع من الأعـمال. فـالنازيون القدامى ارتعدوا خوفـاً، فأنتم غـير مـثقلين كليـاً

وشباب. والسلطة في الشارع، والسياسة أشبه بمعمل مهجور، إنما معمل سليم تماما فرّ منه الرؤساء هاربين. والآن لابدّ من استئناف الانتاج. وقد قال أيضاً إنّ خوف النازيين القدامى يساوي مالاً. وأنت قلت (نعم). ومنذ ذلك الحين تطورت الأمور، ولا سيما حين انضم الأمريكاني برادلي. كان هناك بيض على الفطور وقهوة خالصة وشقة أكبر، ومن ثم شقة كبيرة، وتمّ امتحانك بسرعة، وبسرعة أكبر الدكتوراه، وكان هناك بيت ومصلحة إدارة دائرة في هولزبولتسينهايم - ثمّ بيت آخر، والمصنع سياسة اشتغل وأنتج وأنتج. أجل، وبعدها ظهر بلاوكريمر الذي كان نازياً، وهالبيركام الذي لم يكن نازياً - وبرع شوندت في هذا. وبينغرلي هذا، كما تسمونه أنتم، لم يكن لا هذا ولا ذاك، لم يكن إلاّ كلباً فتياً شرهاً. والآن، يا هيرمان، هذا **يكفي**- هل صحيح ما سمعت الليلة؟ يقال إنّ بلاوكريمر سيصبح وزيراً؟ بلاوكريمر لا غيره؟

فوبلر: بلوكانسكي لم يعد يحتمل - إنّ حوله أشياء يجب كشفها. من الحرب البولونية. لم يعد في الإمكان إيقافه.

اريكا: كم يهودياً وبولونياً قتل؟

فوبلر: لم يقتل أحداً. قام بصفقات غامضة نوعاً ما مع رجال المقاومة. لا نحن نريد أن نسقطه - بل البولونيون - إنها قصة فيها مغامرات.

اريكا: هل ينبغي عليكم في هذه الحال أن تجعلوا من بلاوكريمر وزيراً؟ بلاوكريمر لا غيره؟

فوبلر: قرّ القرار ألاّ يمنع بلوكانسكي أيّ مانع بعد الآن.

اريكا: لكن بلاوكريمر، حرام أن تمهدوا له وأن تبرزوه. هناك أشياء

ليست ممكنة. وأنتم تعلمون ماذا صنع بزوجته الأولى، اليزابيت، وماذا فعل بزوجته الثانية، ترودي،-إنه، إنه يدخل في باب الذين يستسلمون لشهواتهم - في نظري على أية حال.

فويلر: هل حاول - معك ...؟

اريكا: لا، لم يحاول. كان ينظر إليّ أحياناً لكأنه ينوي - لكن نظرة مني، في الحقيقة نظرة واحدة فقط-وترتجف يداه عندئذٍ. كان هذا في هولتزبولتسسينْهايم - ومنذئذٍ - لا، إنه من الصنف الذي سأخنقه أنا. يا إلهي، ياهيرمان - لماذا ينبغي أن يصير هذا وزيراً؟

فويلر: شوندت يسمي هذا: توسيع حدود المعقولية، توسيعها بصورة مستمرة. وحين يصير بلاوكريمر وزيراً ويقبل الناس بذلك عندها...

اريكا: تقصد عندئذٍ يستطيع المرء أن يرتضي للناس ذات يوم بشوندت أيضاً. وأنت؟

فويلر: لا تخافي، فأنا لست النمط - ولا أريد أن أصبح أيضاً هذا النمط. فأنا العنكبوت التي تنسج الشبكة - وأنا لست الشبكة. الحق أنّ بلوكانسكي لم يعد يمنعه أي مانع. فقد سميناه دائماً الخد التفاحي - والتفاحة متعفنة كلياً...

اريكا: أجل، الخد التفاحي مطلوب إذاً - في هذه الحال إذاً تفاحة مثل بلاوكريمر الذي يعرف عنه كل واحد أنه عفن. وهذا ما أجاد شوندت قوله من جديد: توسيع حدود المعقولية.

فويلر (متعباً): لم أستطع لهذا دفعاً ، لا لم أستطع أي شيء ...

اريكا: وبينغرلي هذا، أي شيء سيحل به؟ ضحككم دوّى كما لو أنّ مقصلة تحركت مصلصلة إلى أسفل - ضحك الثلاثة معاً. كنت أنت

هادئاً، وأظنّ أنّ بينغرلي هذا الحاذق قد أخفى بعض الملفات قبل إغراقها أو حرقها.

فوبلر: لقد جاوز الحد. أخذ منا مالاً، ومن آخرين، وحين أراد أن يحصّل مالاً من جهة ثالثة قبضوا عليه ، ألقوه في السجن. لم يستطيعوا أن يثبتوا أي شيء عليه. سيتم الإفراج عنه اليوم - نريد الملفات ولا نريده هو.

اريكا: ولو أنه بقي في السجن؟(فوبلر ينظر إليها نظرة تساؤل كلها معانٍ): أنت على صواب، وهناك أيضاً ما كان سيحظى بالأمان ، فكثيرون ينتحرون في السجن. على أية حال كنت ستتمكن من إنذاره، فمدير السجن في بلورينغين هو شتوتسلينغ، زميل دراسة من زملائك القدامى. هو أيضاً كان دائماً جائعاً وأكل وهو طالب الحساء الجيد عندنا، وعندما كنت تهديه بعض السجائر كان يشعر بشعور المليونير.

فوبلر: لقد تمّ إنذار بينغرلي هذا بما فيه الكفاية. ويعرف ما الموضوع.

اريكا: هل يعرف أيضاً أنّ حيلته قد تتوقف على هذا؟

فوبلر: يجب أن يعرف هذا أيضاً. إنه مقامر ويبالغ.

اريكا: شيء واحد لم أفهمه هذه الليلة. شيء حدث حينئذٍ مع أحد الغرافات.

فوبلر: عليك أن تعرفي حيلة شوندت القديمة. ففي صفقات معقدة يستعين بقدر المستطاع بغراف شاب ديناميكي يوحي بالنبالة، بواحد عنده سيارة أنيقة ، إذا أمكن، والأفضل أن يمتلك طائرة.

اريكا: ولماذا لا يكون أميراً أو صاحب سمو ملكي؟

فوبلر (يضحك): إنّ ما يدعو للدهشة أنّ للغراف وقعاً أفضل مما هو لأمير أو لصاحب سمو ملكي. فالمسألة يجب أن تكون وقفاً على الحرف الصوتي الألف (أ). والغراف له وقع أفضل، اودّ أن أقول، أكثر رزانة وجدية - وصاحب السمو الملكي له وقع الأوبيريت والشيء المبتذل...

اريكا: أجل، أتذكر، كان هناك الغراف براونهايم ...

فوبلر (غاضباً إلى حد ما): والغراف ترويتس، غراف شتوم.

اريكا: كان هذان لطيفين، وكذلك الغراف كلورين.

فوبلر (غاضباً): أجل، كان هؤلاء لطفاء جداً.

اريكا: ولديكم الآن غراف جديد.

فوبلر: الغراف ايرلي، غراف بيربين، شاب ديناميكي، وعنده أيضاً سيارة أنيقة.

اريكا: عليك أن تأكل الآن البيضة وخبزة.

(فوبلر يرشف قهوته، يشعل سيجارة ويدفع بالبيضة المكسورة جانباً).

اريكا: هذه هي المرة الأولى بعد سبع وثلاثين سنة لا تأكل فيها بيضة الفطور- والمرة الأولى منذ أن تناولنا بيضاً على الفطور. فالبيض لم يكن موجوداً عندنا دائماً، إلاّ بعد أن ظهر شوندت، كان عندنا بعض البيض.

فوبلر: صدقت، المرة الأولى منذ سنة ٤٥ لا شهية عندي على الفطور. أفكّر بشتوتسلينغ الذي أصبح قانونياً طيباً مستقيماً، أما بينغرلي هذا فلم يعد يفيده أي اتصال هاتفي - الخروج أو البقاء، كلاهما خطر عليه على حدٍّ سواء. (يدخن ويرشف من قهوته). الغراف

ايرلي، غراف بيربين، سيكون في الساعة الرابعة عشرة تماماً أمام السجن، سيكتفي باحضاره إلى طائرة. لكن قولي لي، لماذا لم تحدثيني بهذا، بما حدث معك ومع شوندت، ولم تحك لي عن علاقة شوندت باليزابيت بلاوكريم وغيرترود هالبيركام؟

اريكا (بصوت خفيض): أحقاً أنك لم تعرف، ألا تعرف كيف يكون الرجال الذين يرون أنفسهم فوق كل مقاومة؟ (تنهض وتسير صوبه وتضع وجهه بين يديها). رجال يعتقدون فوق ذلك أنّ كل شيء، كل شيء يجب الاستحواذ عليه. (تتردد). اليزابيت روت لي تفاصيل، فعلت ذلك بدافع الكراهية، بدافع الكراهية لبلاوكريم وشوندت. فقد أذلت شوندت - لا أدري كيف - فقد جعلته أضحوكة. ومن بعد ذلك، يا عزيزي هيرمان، لم أعد أرغب في أن أحطم براءتك، فليس هناك شيء مؤثر أكثر من رجال أبرياء. فأنا استغربت دائماً كيف يستطيع أن يبقى شخص ما بريئاً وهو يتعاون مع شوندت وهالبيركام وبلاوكريم وبينغرلي. إنّ براءة رجل شيء نفيس والذي لا يمكن مقاومته هوأنت، كانت الدنيا ظلاماً، قبل أربع وأربعين سنة، حين بادرتني أنت بالكلام. إطفاء أنوار، إنذار بالقذف بالقنابل، وبدلتك الرسمية، بدلة المستجدين، لم تكن على قدك، وحين اصطحبتك معي إلى الغرفة، لم تكن شفقة، ولم يكن بعد حبّ، كنت أريدك وأردت أن أعرف كيف هي الحال مع الرجال. كان حب استطلاع. أنا، الفتاة التي تربت تربية متدينة، في الثامنة عشرة، بائعة أحذية بائسة - وحين رأيتك في الضوء الكامل ذعرت من قباحتك. أجل لم تكن بدلتك الرسمية على قدك، وكانت الجزمة كبيرة جدا عليك، وأنت، أنت ذعرت من شدة حسني وجمالي - والحق أنك لم ترني بشكل

جـيـد - وخـوفي من أنك لـن تمدّ يدك. أحـدنا كـان عليـه أن يمدّ يده، وكنت خائفة من أن أضطر أنا إلى أن أفعل ذلك. لكنك مددت يدك بعد ذلك- ثم رأيت عـينيك ويديك، وفـيـما بعد قدميك - وفي المقام الأول عـينيك، عيني ضفدعة ضخمة لهما لون القار، عينيك الرقيقتين الحزينتين الذكيتين. أنت لا تصدق على الاطلاق كم كان الرجال الحسان مضحكين وهم يحاولون أن يتبعوا بائعة - ولا تتصور أية أيدٍ ضخمة كانت لهم وأية عيون غبية - وكذلك الرجال الذين التقيتهم عند هيلدي، جارتي في غرفة الملحق. لقد أرادوا أن يدفعوني دائماً إلى العهر. آه، يا هيرمان، لم يصعب عليّ قطّ أن أبقى الشيء الذي وعدت به آنذاك: وفـيـة. وكان عليّ أن أحدّثك أنت بما فعلت اليـزابيت بشوندت لكي تذلّه في طبيعته التي تجلّ عن المقاومة - أنت؟ أنت ببشرتك الطفولية، بشرة الطفل؟

فـوبلر (ينظر إليـهـا مـدهوشـاً ويتكلم بصوت خـفـيض): عـليك أن تغيري الآن ثيابك على مهل. ألا يناسبك الطقم الرمادي؟ وعلى الصدر المشبك المرجاني الوردي. في عـشرين دقـيـقة يأتي بلاوكريمر - مـا زال هناك متسع للقيام بذلك. اليوم يجب أن تظهري بمظهر حسن بصورة خاصة. (يضحك). تلفزيون - بث مباشر-القداس الكبير بأكمله.

اريكا: لن أبدّل ثيابي، يا هيرمان،سأجلس بالمعطف الصباحي وبشعر غير مسرّح على شرفتي وأشرب القهوة وأنظر بالمنظار إلى حديقة كارل، إن كان لا يزال هناك وأرى كيف هي حاله. سأراقب البواخر في نهر الراين وأراقب زوجة البحار وهي تحضر لزوجها القهوة إلى غرفة القيادة وتضع ذراعها على منكبيه. وإن أوشك الموقف أن يصبح اتصالاً جنسياً أشيح النظر وأضع منظاري جانباً.

فوبلر (مذعوراً وجاداً): أحقيقة أنك لا تريدين الذهاب معي؟ لا تمزحي يا اريكا. لا يمكنك أن تفعلي هذا، وتتركيني وحدي. عليك أول مرة أو يجوز لك اول مرة أن تجلسي بجانب هويلْبوك. فالقداس الديني الكبير في ذكرى إرفتلربلوم يقيمه كاردينال ويساعده ثلاثة أساقفة - والتراتيل كلّها باللاتينية - وستكون فضيحة إن لم تأتِ معي.

أريكا: أي هيرمان، ما زلت طفلاً. سيكون قليل من التوتر وستكون هناك مضايقات مع شوندت وبلاوكريمر - ولا أثر لفضيحة. أجل، يجوز لي أن أجلس إلى جانب هويلْبوك - وربما بين هويلْبوك وكابسبيتر الذي قصقصوا له جناحيه هذه الليلة. ثمّ ترودي التي لا تقدّر بمال، ثانية بلاوكريمر، أولى هويلْبوك وثالثة هالبيركام - بلوكانسكي، لم يوقع به بعد. أي هيرمان، إبقَ هنا أيضاً، إتصلْ بشتوتسلينغ أو بالغراف ايرلي، غراف بيربين. لا أريد أن أجلس بجانب هويلْبوك - ولم أعد أرغب في الذهاب على الإطلاق إلى قداديس دينية ضخمة ولا إلى ذكرى العشرين لوفاة إرفتلربلوم. لا، ياهيرمان، لا كبارشخصيات بعد الآن ولا أشكال ملائكية ترتمي في حضن شوندت في وقت قصير فيما بعد. وأغلب الظن أنّ هذا الاسفنج (الشفام) أيضاً موجود هناك ويقدم أسهم الهيفين هينت .Heaven-Hint أي شيء هو هذا تماماً: الهيفين هينت؟

فوبلر (متبرّماً): إنه شيء له علاقته بسلاح فضائي. أي شيء دهاك على حين غرة يا اريكا؟

اريكا: ليس على حين غرة. أنت تعرف أنّ حالي لم تكن قط على ما يرام، لا في أثناء الذكرى العاشرة ولا في الذكرى الخامسة عشرة لوفاة إرفتلربلوم - دائماً بمشاركة الإذاعة والتلفزيون وبوجود غروف

بصفة مراسل صحفي وبلايلر بصفة معلّق :" ها نحن نرى السيدة فوبلر الأنيقة بلباسها أناقة خالصة ويصطحبها زوجها، الرجل الأول الذي يدير من وراء الكواليس " ... في تلك الليلة تذكــرت أخي الذي رمــوه بالرصاص في النورماندي وهو في التاسعة عشرة - وتذكرت أبي الذي ولد بنفس ممرورة ومــات بنفس ممرورة - وتذكـرت أمي التي مــاتت من الإعياء، متعبة، متعبة، دائماً متعبة ومنهكة من تعصب زوجها. آه، ياهيرمان، الراحة والهدوء - والكاردينال يثني من جديد على فضل إرفتلر والقيم المسيحية، ويستمتع هويلْبوك في مرحه الرايني الغبي المألوف بلاتينيته القديمة، لاتينية مساعد القسيس في القداس.

فوبلر: سيستاء شوندت، سيربط بين الليلة الماضية وبين تغيّبك.

اريكا: لا داعي له إلى الربط إطلاقاً. فالعلاقة موجودة - وربما كان مصيباً.

فوبلر: مرضت إذاً؟

اريكا: لم أمرض. صحيح أنني متعبة، إلاّ *أنني* سأجتاز القداس.

فـوبلر: ألحق أنّ كـابسْبـيـتـر يعبـدك - وهويلْبوك كـذلك - إنهـمـا يحبانك، وإرفيتلر، إن صحّ التعبير، أحبك.

اريكا: أما أنا فلم أحبه. ألحقّ أنه كان دائماً لطيفاً معي، إلاّ أنني لم استخفّ ظلّه قط. أعرف؛ كنت في نظره الديمقراطية الملموسة: ابنة بقال، بائعة، طريقة تعليم ثانية، وكدت أصبح عازفة بيانو؛ أعرف أيضاً أنّ كابسْبيتر أكبر المصرفيين وأكثرهم حكمة وورعاً، ظريف جداً ومثقف، حساس وممتاز في ذوقه - لكنني (متجهمة) لكنني أعتقد أنه كسب مالاً بطريقة ما من الرصاصة أو القنبلة التي قتلت أخي. والشيء المزعج ياهيرمــان أنني لا أستطيع أن أحسّ بأيّ أسى على مـعـزفـه المفكّك

فحسب، بل الأسوأ من هذا أيضاً أنني بدأت أفهم كارل. أحسّ إحساساً غـامـضـاً بالخوف في أثناء ذلك، كـان في هذا شيء مـهـيب حين حطّم معزفه. كان جدّ في المسألة - ولم نفهمه، وإيفا التي أحبته لم تفهمه أيضاً. وأعرف ايضاً أنّ المسألة عند بينغرلي ليست مسألة بضعة ملفات. هناك ما يكفي من الملفات حول شوندت - والمسألة ...

فوبلر (متخوف كلياً ومذعور):لا تنطقي بالاسم، من فضلك ...

اريكا: لا، لا أسـمـاء. لنبق عند الرقم ١ الذي كـان يمكنكم أن تنقذوه ولم تنقذوه. أردتم كلا الأمرين: إظهار القسوة والحصول على ضحية. أعرف، يا هيرمان، أنني جلست إلى جانبك عند الهاتف. أحببته أنت...

فوبلر: أجل، أحببته وأحببت زوجته وأطفاله. لم تكن المسألة قط مسألة أشباء شوندت غير المشروعة، ولا مسألة كلوسوف وبلوتغر ومسألة بينغرلي. المسألة كانت وتكون مسألة شيء لا تريدين أن تفهميه، مسألة الحكومة.

اريكا: في أثناء دفنه وددتم لو كان البابا عندكم، إلاّ أنّ أسقفاً قام بذلك أيضاً. وهويلبوك ألقى كلمة مؤثرة فعلاً، وكابسبيتر جلس في الصدر وبكى بمعنى الكلمة، بكى بكاءً حقيقياً. حتى عينا شوندت ترقرق الدمع فيهما ... واستطاع المرء أن يرى الدموع تتلألأ في التلفزيون. هل كان للغليسيرين دخل في ذلك؟

فوبلر: لا تتهكمي بسخرية لاذعة يا اريكا، إنه ميت، اغتيل اغتيالاً.

اريكا: وكم لّوح شوندت بكتاب القداس تلويح الخبير المجرّب وثنى

ركبتيه. أقولها للمرة الثانية يا هيرمان: إنه يكفي، ونيتي صادقة، يا هيرمان، لا هوى ولا مزاج. إبقَ معي وشاركني في النظر إلى الراين:ها إنّ الثياب الناصعة ترفرف على الحبال والكلاب تركض على طول سور المركب والأطفال يلعبون في غرفتهم الصغيرة البائسة.

فويلر (يتنهد): لا أستطيع، يا اريكا، يجب أن أذهب إلى هناك - ربما للمرة الأخيرة. منذ زمن طويل لم يعد هذا يسرني.

اريكا: سرّني هذا مدة طويلة، أو بالأحرى: زمناً ما - حتى في أثناء القداس الديني لمن لا يجوز النطق باسمه. وودته أيضاً-أحببت كل هذا *الهرج والمرج*. كان وغداً له سحره - حتى الإحساس بالفزع استمتعت به حين أفرز هويلْبوك فخامة حزنه الراينية. والشيء الآخر أيضاً سرّني زمناً طويلاً، الحفلات بهرائها وهمسها، بتصنعها ومكائدها ومؤامراتها على مستوى أدنى، والتأتأة الفارغة والاهتمامات الصعبة. وطبت نفساً في ثيابي الجميلة والحلي التي أهديتها أنت لي، وكان في إمكاني أن أعتمد على ذوقك المنزّه عن الخطأ. ولذّت لي المشهّيات والمشروبات - عزف البيانو معك ومع كارل - المسرح والاستقبالات وحفلات الرقص. لكن بعد ذلك أرسلوا اليزابيت إلى كولْبولّين، وزرتها مرتين. أمس علمت أنّ بيبّر الصغيرة انتهى المطاف بها هناك. هل علمت بذلك؟

فويلر: علمت فقط أنه أراد الخلاص منها.

اريكا: الآن تخلّص منها - هذه المخلوقة الشقراء الصغيرة-- هذه المخلوقة الشقراء الصغيرة - إنها شقراء بحق، غبية بعض الشيء، إلاّ أنها مرحة - تينس، رقص، وقليل من المغازلة و الطرنيب (الكانستة). تخلّص منها، كما تخلّص برانسين من فتاته: إنها تلهو في الفنادق كلها على الريفييرا والشاطئ الأزرق، وتقبع بسلتها الصغيرة المليئة بقطع

النقود المعدنية أمام أجهزة اللعب الآلية وتنتظر الكنز الذي لا تحتاج إليه إطلاقاً. وفي كولْبولِّين حيث يوافيك المرء الى الغرفة بشاب لطيف، إذا ما كنت غاية في الوحشة والانفراد - مباشرة وبطريقة تنمّ عن ذوق. إبقَ معي، يا هيرمان. أو انصرف من هنا.

فويلر: ولكن إلى أين؟ (كلاهما يصمت برهة من الزمن وينظر كل منهما إلى الآخر).

اريكا: إلى أي مكان إلا إلى الوطن، لا، لاتعد إلى الوطن. لا عودة إلى الرقص الشرقي مع المحافظ وملك الرماية ومدير الدائرة، لا مع الصيدلي، ولا مع مالك الجياد؛ لا عودة إلى التصوير مع النائب الاتحادي، برفع الكأس لشرب الأنخاب - لا موسيقا شعبية، ولا جمع بعد الآن من أجل أطفال المناولة الأولى، أبناء الفقراء والمحتاجين. أنت تسأل إلى أين؟ لا أعرف إلى أين ... فلنبقَ إذاً هنا.

فويلر: لا يمكنك أن تتركيني وحدي.

اريكا: ليس هذا في نيتي على الإطلاق، حتى لو استجابت لك صديقتك الصغيرة ايفا.

فويلر: ليست مغرمة بصديقها الكوبي فحسب، بل تحب صاحبها غرويش أيضاً. لا تنسه: إنه رجلها، وهي تحبه (في حزن) - شاب شاطر. هو أيضاً كسروا شوكته وأنهوه - حمّلوه عبء بلوكانسكي -لن يبقى طويلاً. لا،إنها تحب اثنين، ولا تزال متعلقة بكارل - وأنا بصفتي الرابع لا مكان لي هناك.

اريكا: لا أنسى المستجد الصغير الذي تهدّلت عليه بزته الرسمية

وكانت لديه الشجاعة لأن يمدّ يده ويراودني. خفت من أنني كنت سأضطر إلى أن أمدّ يدي وأراودك - إلاّ أنني كنت سأقوم بذلك. المرء يتعلم هذا، هذا ما يعرفه المرء، حتى لو أنه تربى تربية متدينة. كنت أسكن مع فتاة أخرى في غرفة تحت السطح وكان معها دائماً أولاد في الغرفة وكانت تحكي للواحد كل شيء وتشرح له كل شيء. وأنت لم تمت من خجلك ، وعرفت أنه ليس هناك شهوة الرجل فحسب، بل شهوة المرأة أيضاً وأنّ ما يسمونه العفة كان ترفاً لم نستطع إليه سبيلا. وأنت، أأتركك وحدك؟ كل شيء إلاّ العودة إلى ديرفانغين وهولزبولتسْهايم - لم أعد أتحمّل ذلك. لم أعد أتحمل الوطن. المؤسف فقط أنني لم أستطع أن أنجب أطفالاً - خسارة أنك لم تبقَ محامياً أو تصبح قاضياً ...

كاتارينا (تمشي على الشرفة الأرضية): السيد الدكتور بلاوكريم ينتظرك تحت في السيارة.

فوبلر (يعدّل ربطة عنقه ويتناول السترة من على ظهر الكرسي ويلبسها ويقبّل اريكا):ها أنذا ذاهب إذاً، سيكون هناك امتعاض. (فوبلر يخرج، وتبقى كاتارينا).

اريكا (تتوجه إلى حيث كان فوبلر، تبدأ بأكل البيضة المفتوحة بالملعقة وقوفاً):أنا لم أتعلم بعد أن أهمل شيئاً ما رغم الحساب المصرفي والمعزف والطابق الارستقراطي الرفيع المطل على الراين. ومع هذا كلفت بيضة واحدة آنذاك قرشاً، وكسبت وأنا بائعة أحذية نحو ٨٥ ماركاً. تمّ صرف عشرين ماركا منها أجرة للغرفة، ومن ثمّ الكهرباء والتدفئة والغسيل. (تضع قشرة البيضة المفتوحة للأكل في فنجان البيض. وفي هذه اللحظة يمشي فوبلر وبلاوكريم على الشرفة الأرضية).

بلاوكريمر (يبقى واقفاً عند الباب): يبدو أنّ الأمر مازال يروق لك. فلا يظهر المرض عليك إلى هذا الحد.

اريكا: انا لست مريضة - حتى ولا منظرك يجعلني مريضة. وما من شيء أحبّ إلى نفسي، كما أنا الآن، من أن أمضي معكم، وأن أدور حول الكنيسة في المعطف الصباحي ومن غير تسريح للشعر، وأغني طلْبة عيد جميع القديسين بينما أنتم تحتفلون بقداسكم الفخم.

بلاوكريمر (يضحك): ليس هذا بالفكرة السيئة: امتعاض عام، إقلاق راحة، وربما أيضاً تجديف، (ينظر إلى فوبلر).- وغير خاف أنّ الجميع سواسية أمام القانون. (مخاطباً اريكا بجدية). سأمنحك عشر دقائق لتغيير الملابس، إنّ صدرنا منشرح اليوم.

اريكا: أجل، وبعد ذلك يمكنكما أن تدفعا بي إلى اليزابيت وبيبر الصغيرة - أو أياً كانت أسماؤهم كلهم ...

بلاوكريمر: إذا بقيت هنا وأنت لست مريضة فستكون هناك فضيحة. مارأيك في هذا، ياهيرمان؟

فوبلر: الفضائح موجودة بكثرة، وهي أسوأ من هذه، وكلها تُنْسى بعد ثلاثة أيام. (يتجه صوب اريكا ويقبلها). ما عليك إلاّ أن تبقي هنا. لن يكون هناك فضيحة - قليل من الامتعاض، ليس إلاّ.

بلاوكريمر: أنت تشجعها ؟

فوبلر: لا، لا أشجعها، لديها هي نفسها ما يكفي من الشجاعة - إذا كان هذا يتطلب شجاعة بصورة عامة.

بلاوكريمر: سيكون لهذا تبعات.

اريكا: من تبعاته فقط أنني خرجت من الخدمة العامة، من وظيفتي نصيرة لديمقراطية كتاب مصوّر للأطفال. (متعبة). آن الأوان لكما إن كنتما ...(يقبلها فوبلر مرة أخرى، ويمضي مع بلاوكريمر الغاضب).

كاتارينا (التي استمعت إلى كل شيء تقترب في لطف): هل لي أن أرفع ما على المائدة؟

اريكا: هل ستحكين هذا لكارل؟

كاتارينا: لا أظن(تبتسم) - كان هذا سياسياً - وسيؤلمه هذا. أنت ضحية للسيد بلاوكريمر ...

اريكا: لديه أيضاً منظار وينظر أحياناً إلى الجهة الأخرى.(تتناول المنظار من على الدرابزين وتنظر إلى الجهة الأخرى). لا شيء يمكن رؤيته. أحضري لي قهوة، حليباً وسكراً إلى الشرفة، و - هذه المرة من غير تكرار يا كاتارينا: لا تهملي أي شيء - خذي معك ما تشائين دائماً، خبزاً وحليباً ونقانق.وآمل ألاّ يزعجك هذا العرض.

كاتارينا: لا في كثير ولا في قليل، أطلب منك فقط أن تعلمي موظف الأمن في الخارج. على أية حال فأنا غير موثوق بها لا سياسياً فحسب، بل أنا من أصحاب السوابق بسبب السرقة.

اريكا: ما زلت تدرسين؟هل تنوين نيل إجازة الدكتوراه؟

كاتارينا: أجل، إذا ما سمح ملفّي بذلك. موضوع يتعلق بالشؤون المصرفية. فأنا عاطلة عن العمل لا بصفتي خادمة، بل بصفتي متخصصة في الاقتصاد السياسي.(تضحك). عملت ثلاث سنوات في مصرف كِابسْبيتر ثم استغنوا عني. لا تسألي عن السبب، فأنا لا أعرفه.

هنا عملت خادمةً من جديد. وحين فصل كارل من الوظيفة لم يكن لديه قرش واحد اللهم إلاّ مقطورة النوم، وما من أحد أراد أن تكون له علاقة به. عملت في أحقر الأكشاك وأرقى الفنادق، ولا سيما في الحفلات - هنا تعرفت على كارل. بعد حفلة طويلة عند آل كيليان حيث كان هو مدعواً، وقفت أمام الباب ولم أستطع أن أقرر بأن أستقلَّ سيارة أجرة - وإذا به يتوقف ويوصلني إلى البيت.

اريكا: وبقي معك؟

كاتارينا: أجل، ومنذ ذلك الحين ونحن معاً، وعما قريب سنسكن معاً. (بصوت خفيض). إنه يجعل منك ومن السيد فوبلر ومن زوجته أيضاً موضع حديثه، إنما يذكركم بالخير. ولا أذكر الآن أحداً تناوله بسوء.

اريكا: وأنت - أتتحدثين عن الناس بسوء؟

كاتارينا: أجل، عن كابسْبيتر حيث فشلت بصفتي متخصصة في الاقتصاد السياسي، إلاّ أنه سمح لي أن أعمل خادمة. فأنا لا أطيقه، والجميع تقريباً لا يطيقونه. وفي وسعي أن أتصور كيف يكركرون بالضحك حين يقرؤون في الجريدة عن المعزف. فأنا لا أتنصت، وفي مهنتي لا يجوز للمرء أن يكون ثرثاراً ويخوض في القيل والقال والتشنيع على الناس. أيّ شيء أستطيع أن أسمعه؟- فما هو مكتوب أحياناً في الصحف عن السيد شوندت هو أسوأ من كل شيء يمكن أن أسمعه. والسيد بلاوكريمر ... أرجوك، أيتها السيدة فوبلر العزيزة، أيّ شيء يمكن أن أتنصّت عليه هنا؟ شيء عن هالبيركام - كل واحد يعرف أنّ هوايته أن يخترع صلصات، وكل واحد يعرف أنه لا طعم لها.

اريكا: إن لم تتنصّتي فماذا سمعت إذاً؟

كاتارينا: رتّبت الغرف فوق والحمام وكنّست بالمكنسة الكهربائية ونفضت الغرف، ومن ثم المطبخ - ما الشيء الكثير الذي ينبغي أن أسمعه هنا؟-أحياناً اسم: شوندت، هالبيركام، بينغرلي، بلاوكريمر، وهذه الاسماء كلها موجودة في الصحف. والشيء الوحيد المثير للاهتمام قلته أنت بنفسك، وهو أنك لن تذهبي إلى القداس. في أثناء ذلك ستعرف المدينة بأسرها هذا من دون أن أضطرَّ إلى أن أقول شيئاً. ونحن نحتاج إلى المال الذي أكسبه هنا. فكل خبزة وقطعة نقانق يحقّ لي أن آخذها معي هي على الرحب والسعة - وحتى لو أني كنت خلافاً لما أنا عليه: محبة للاستطلاع، ولو وقفت وأذني على الباب، فلن أغامر بهذه الوظيفة الجيدة من خلال عدم الكتمان. إنني أسمع وأقرأ وأخمّن - وليس لدي وقت أبداً للقيل والقال، وأعمل مساء على أطروحتي التي يساعدني بها كارل. موضوع لن يروق لكابسْبيتر. بلوغ الحد الأقصى للربح في العالم الثالث. وقفت ذات مرة في الباب حين أغلظ السيد بلاوكريمر-أعني - القول لك - وبعد، فالقداس سيذاع في الراديو، وفي التلفزيون. هل آتيك بالراديو إلى الشرفة؟

اريكا: لا، شكراً، لكن إذا شئت أن تستمعي إليه ففي وسعك أن تأخذي الراديو معك إلى المطبخ.

كاتارينا: شكراً، لست مولعة بالاحتفالات الكنسية وما شابه ذلك. (بصوت خفيض). هذا هو الشيء الوحيد الذي لا أفهمه عند كارل. هنا يتحول في نظري إلى شاعر حين يتكلم عن ذلك، والشعر في الحقيقة جميل كل الجمال. ولكن عليك أن تعرفي أنني ابنة غير شرعية وأنّ أمي

كانت ابنة غير شرعية، وآنذاك لم يركضوا بمنضحات الماء المقدس كلها وراء كل حامل غير متزوجة. وآنذاك وحين ولدت أمي، من خادمة أيضاً، فإنّ الحياة غير المولودة التي كانت متوقعة حينذاك، كانت لا تزال فضيحة - وأنا أيضاً كنت فضيحة لأمي: كانت أمي حياة، وكنت أنا حياة أيضاً. وفّري على نفسك أن تحكي لي الشيء الذي ربما تعرفينه على كل حال: فما كان من أمر أمهات غير شرعيات وأطفال غير شرعيين ففي هذه الحال لم يكن المرء متلهفاً مثل هذا التلهف إلى عبارات أسقف جميلة. اعذريني إذا ما جرحك هذا كله ويؤسفني هذا، وإذا كان رأيك أنني كنت غاية في الصراحة ...

اريكا: لا - لابأس. سآخذ الجريدة معي إلى فوق ، والرجاء أن تلقي نظرة بين الحين والآخر على معزفي الكبير، فمن يدري ما إذا كان هذا الشخص سيضرب ضربته أيضاً في أثناء النهار - وما عليه إلاّ أن يتسلّق الدرابزين.

كاتارينا: لا داعي لأن تخافي على معزفك الكبير.

اريكا (مسيئة الظن): لمَ أنت واثقة هكذا ؟

كاتارينا (بلهجة اجتماعية أكاديمية وأشبه ما تكون بلهجة المدرس): يظهر تحليل فك المعازف الكبيرة حتى الآن في جلاء أنّ المسألة في الحالات الثلاث كلها كانت مسألة معازف مصرفيين: فلوريان وبرانسين وكابسْبيتر. والفاعل يحب أن يقرن غاية معينة بهذا. إنّ السيد فوبلر ليس صاحب مصرف، وأنت لست صاحبة مصرف، أما أنا فكنت سأرى انه لمن المناسب أن تكون هناك فرقة مدعمة لحماية المعازف الكبيرة -من أجل كل الشؤون المصرفية. وبالنسبة إليك فلا أرى أيّ خطر.

وبالمناسبة طلب كابسْبيتر معزفاً جديداً. علمت هذا صباح اليوم- فأنا أعرف بعض الناس هناك.

اريكا: يبدو أنّ هذا يسرّك بعض الشيء بالغ السرور. وأطروحتك حول بلوغ الحد الأقصى من الربح في العالم الثالث تبدو لي ذات صلة بالابتهاج الذي تعددين به حالات تفكيك المعازف الكبيرة. أحب معزفي. صحيح أنني لم أكن خادمة، إنما بائعة أحذية، ويكاد أن يكون أقلّ، وأبلغ وضاعة: أن تجثي دائماً أمام الزبائن وتصبري، وحين تأتي العنزات اللاتي يجربن ثلاث دزينات من الأحذية ويعرفن مسبقاً أنهن لن يشترين أيَّ شيء، وهنّ أنفسهنّ يعرفن أيضاً ويرون هذا على النسوة حين يدخلن - وعليهنّ أن يأتين صابرات مهذبات بعشرات العلب من المخزن ويفتحنها ويجربنها ثمّ يعدنها إلى مكانها مرة ثانية. والناس الذين يقصدون هذا المكان لم يغسلوا دائماً أرجلهم، فما كان يمكن أن يذلني جعلني أبية. ورب امرأة أراها هنا في الحفلات - أقول في نفسي: كيف كانت ستتصرف نحوك لو أنه أتيح لها أن تجرب عندك أحذية قبل أربعين سنة. لم أتعلم العزف على المعزف إلاّ في الخامسة والعشرين وحصلت على معزف كبير، وكنت آنذاك في الأربعين - كانت هناك أيام وأسابيع كان لي فيها عزائي الوحيد. وحتى الآن فهمت القليل حين يحطم شخص ما آلة نفيسة هذه النفاسة ويفككها - لا بل يحرقها كما فعل كارل. إنّ غيظك من كابسْبيتر بكل فخر ...

كاتارينا: إنني معارضة أيضاً، أنت تخطئين. يخطر ببالي المال الذي يكلّفه شيء كهذا، وما يمكن أن يناله المرء لقاء ذلك ... لم أفهم كارل. ومع هذا - في أثناء الدراسة عانيت من أشياء وأشياء، وكذلك

حين عملت في المصرف - حيث تصبّ الأموال ثم تعود مضاعفة ثلاثة أضعاف وعشرة أضعاف ومئات الأضعاف: زيت، أسلحة، سجاد وفتيات يجب أن يشربن حتى الثمالة أو يتخدرن لكي لا يتقيأن دائماً، ومن ثمّ يتقيأن، لأنهنّ سكارى، لكي لا يتقيأن-وفي كل مكان يصادف المرء ذلك الذي يسمونه الشفام.

اريكا (تتوجه صوبها): أرجوك فقط، لمصلحتك يا كاتارينا (تهز الرأس): هذا ينمّ عن صراع طبقي. أعرف الشفام أيضاً، بل إني صفعته ذات مرة.

كاتارينا (بصوت خفيض جداً): وأي شيء هو هذا إن لم يكن صراعاً طبقياً؟ وفي الحفلات يظهر هؤلاء سكارى ومتقيئين ويرغمون الفتيات على التقيؤ - إنه صراع طبقي تقيُّئِي. فأنا انفعلت، ولست في العادة هكذا. إلاّ أنني سمعتك، لم أسمع ما قلت، بل سمعت صوتك - ألم ينمّ هذا أيضاً عن صراع طبقي؟ ألم ينمَّ هذا أيضاً عن بائعة الأحذية التي كثيراً ما كان عليها أن تركع وتكظم غيظها؟ والآن أجازف أنا بوظيفتي لأنني أسمح لنفسي بأن أشرح سبب عدم ذهابك إلى القداس الكبير - أو: لماذا لم تعودي تريدين أن تلعبي الدور الذي ربما لم ترغبي في أن تلعبيه: الفتاة التي جاءت من الشعب و تقدمت مثل هذا التقدم. اعذريني، فأنا أقول هذا لأني أحبك، وإذا ما فصلت من بعد ذلك فلي رجاء يمكنك أن تلبّيه لي.

اريكا (منهكة القوى ومتعبة جداً): نعم؟

كاتارينا: في إمكانك أن تنبهي ضيوف الحفلة إلى أننا الفتيات والشبان الذين يخدمون هنا ويقدمون الطعام ويقبلون البقشيش أو بتعبير

أظرف: لا يرغبون عنه ولا يرفضونه. هل تعرفين حين نقدّم الطعام هنا نظهر أحياناً بمظهر أنيق كما لو أننا بنات البيت أو ضيوف حفلة مساعدون، وما من أحد يجازف بأن يعطي بقشيشاً. إنّ في وسع المرء أن يدسّ لنا النقود في جيب الوزرة أو السترة.

اريكا: أريد أن أنبّه إلى ذلك بكل سرور. وما يؤسف له فقط يا عزيزتي، هو أنني على الأرجح لن أؤمّ الحفلات كثيراً بعد الآن. أأنت في حاجة إلى المال؟

كاتارينا: أجل، أريد الانصراف من هنا. (بصوت شديد الخفوت): أستلقي أحياناً في المساء مع الشاب في السرير وأحدّثه شيئاً وأغني له شيئاً ما، ثمّ ندوّر الكرة الأرضية التي أهدانا إياها كارل ذات اليمين وذات الشمال، ونوقفها ونخمّن بلداً قد نذهب إليه - ولم نجد بعد أيّ بلد.

اريكا: ألم يعد يعجبك المقام هنا إذاً؟

كاتارينا: لا، أيعجبك أنت؟

اريكا: إذاً لقد تنصّت؟

كاتارينا (بحدّة): لا، أنا لا أتنصّت، إنما سمعت صوتك. تكلمت طويلاً وبصوت عالٍ - هل عرفت إلى أين؟

اريكا: لا، وأعرف أيضاً أنه لا فائدة ترجى من البحث. و: كوني حذرة. إنك تقلقينني بأفكارك. فما هو في البال سيبين ذات يوم - وهذا ماجربته اليوم بنفسي. انتبهي. واعلمي أنني كنت سآخذ بقاشيش، إلاّ أنّه لا يقدّم لبائعة أحذية أي بقشيش.

(تتناول كاتارينا الصينية وتتوجه صوب الباب).

اريكا (تواصل الكلام): بما أنك فتاة عاقلة وموهوبة في التحليل فعليك أن توضحي لي أمراً آخر. لماذا لم يصبح فويلر وزيراً ؟ هل تعرفين؟

كاتارينا (تبقى في الباب واقفة ومعها الصينية):ألا تعرفين ذلك، ألا تعرفين ذلك - حقّاً؟(تهزّ اريكا الرأس). في مثل هذه الحال أريد أن أقول لك هذا: إنه خسارة وأية خسارة في ذلك - نعم، هو هكذا. خسارة كبيرة! إنه مخطِّط عبقري، بهلوان أفكار، وبنى لشوندت المنظمة بأسرها. عند المكتب وعلى الهاتف وفي المؤتمرات والأحاديث السرية - هناك مكانه. فلا يعطي أي شيء علناً، وهو خجول جداً، ولا يستطيع الارتجال إلاّ على نحو رديء؛ وفي وسعه أن يخطط للسياسة وأن يمارس سياسة، ولا يستطيع بيعها. إنه أمين السر بالفطرة، هذا هو مكانه، وعليك أن تعزّي نفسك، فأمين السر لقب رفيع جداً: جمهورية ألمانيا الديمقراطية والاتحاد السوفييتي يداران ويقادان من قبل أمناء سر - وحتى الفاتيكان له أمناء سر. وأن يكون المرء أمين سرّ لشوندت - ألا تودّين أن أعمل لك قهوة طازجة وأجلبها لك إلى فوق؟

اريكا: لا، لكن يمكنك أن تعملي سندويتشة عسل.

كاتارينا: لا بيضة؟

اريكا: لا، بيضة واحدة كافية لمن هوفي مثل سني. ولكي تعرفي: شيئاً فشيئاً تصبحين مخيفة في نظري. سأتفرّغ فوق للرقم ٤ وأتحدّث معه. (تنظر كاتارينا نظرة تساؤل). الرقم ٤ هو الذي سموه دائماً الإله. هل لي أن أغني لك أغنية قصيرة؟ (كاتارينا تنظر إليها بدهشة وحيرة): فلتساقطي، أيتها السماء، الندى على العادل المنصف، ولتمطري عليه

أيتها السحب - هل يعني لك هذا شيئاً ما، هل يحرك فيك شيئاً ما؟

كاتارينا (لاتزال تمسك بالصينية وهي مرتبكة): له وقع جميل مثل قصيدة على الطراز القديم - كما أنّ لها أيضاً وقعاً يوحي كما لو أنّ كارل صنعها. (تبتسم). إلاّ أنها لا تحدث فيّ أي أثر ... يؤسفني ... لاشيء.

اريكا (تبتسم): أظن أنك قادرة على التعلم - والآن إلى العمل. (تنصرف كلتاهما).

الفصل الثاني

اريكا فوبلر (على الشرفة الواقعة فوق الشرفة الأرضية. إبريق القهوة والفنجان إلى جانبها. تطل على الراين). صباح هذا اليوم خفت أول مرة منذ نهاية الحرب، فقد اعتراني على نحو لا عهد لي به نوع آخر من الخوف يختلف عن الخوف عند نهاية الحرب. أربعون عاماً خالية من الخوف؟ لا. كثيراً ما خفت حين كان هيرمان يتورط تورطاً شديداً في السياسة، وأخافني شوندت دائماً: إذ كان يطمح إلى أعلى، ويريد كليهما، السماء والأرض. أجل، إنه يريد السماء أيضاً. ربما كان لديّ متسع من الوقت لأنعم التفكير. وليس لدي الكثير لكي أفعله: العرض، في الحفلات وفي أثناء العشاء الذي يسمونه أحياناً وجبة العشاء. وفي المآدب أجلس دائماً بجانب الثاني علواً في المنزلة، وفي بعض الأحيان بجانب أعلاهم أو أعلاهنّ مقاماً، حيث أستطيع أن أتبين بعد ذلك أنّ الملكات أيضاً هنّ بشر في حقيقة الأمر، بل إنهنّ أيضاً غبيات. إنني لا أسأم أبداً، وأسأل بغير ما كلفة عن أزواجهن أو النساء والأطفال والأكلات المحببة، والظاهر أنّ هذا هو تماماً الشيء الذي ينبغي أن تقوم به زوجة ثالث في المنزلة: أن تكون لطيفة، غير رسمية، ولا يحق لي فقط أن أحكي، بل ينبغي أن أحكي أيضاً أنني كنت فيما مضى بائعة أحذية؛

إنّ هذا ديمقراطية. وبعضهم يسحبون أرجلهم تحت المنضدة، وعلي أن أعطي رأيي في أحذيتهم.

شمس الصباح تنشر الدفء، ونهر الراين هادىء في آخر هذا الأسبوع، وليست هناك بعد سفن نزهات في الطريق. والجو على الجانب الآخر خريفي بعض الشيء. فأوراق شجر الكرز صفراء مائلة إلى الحمرة. وأعلام السفن الراسية على الجانب الآخر مرتخية خامدة، إلاّ أنّ الأمر ازداد سوءاً حين كان هيرمان طوال الاسبوع هنا، وأنا وحدي تحت، في حفلات الرقص والحفلات والاستقبالات الرفيعة المقام ، مدير دائرة، مدير ناحية، مدير منطقة، اتحاد الرماة، أعياد قساوسة. لست مشتاقة إلى الصغير المزعج الذي لم أحبه قط ولا أشتاق إلى الأيدي المتعرقة لرؤساء بلديات بدان دعوني للرقص أداء للواجب وهمسوا لي:" هيرمان هذا، إنه كلب. "

كما أنّ هيرمان خاف صباح هذا اليوم وما زال خائفاً: يداه ارتعشتا بشدة حيث إنه حاول أن يتناول ملعقة ثانية من البيضة. كما أنه سحب يده التي كانت في طريقها إلى فنجان القهوة، وأشعل سيجارة على الشمعة تحت طبق تسخين القهوة، فالقداحات أو أعواد الثقاب كانت سترتعش في يديه ارتعاشاً شديداً. إني أعرف أنّ زوجة بلاوكريمر هي التي تسبب له الخوف، والنساء الأخريات هناك فوق. وحين أردت النطق باسم بليتش نظر إليّ نظرة استعطاف وتخوف وذعر حيث إنني أمسكت عن ذلك. (ترفع المنظار بيدين مرتعشتين). لا أثر للولد الذي تمنيت لوأني أنجبته. هولندي وسويسري يستلقيان جنباً إلى جنب، وعلى مسافة في أسفل الراين يجلس ثلاثة بلجيكيين على شرفتهم الأرضية ويفطرون،

ولد صغير يصبّ حليبه فوق ندف الذرة. (تضع المنظار بيدين مرتعشتين). ارتعشت أخيراً حين سقطت القنابل وحين أطلقوا النيران إلى داخل البيوت من طائراتهم الصغيرة الخفيفة الحركة. رأيت جندياً شاباً ضبطوه على دراجته، كان لا يزال طفلاً إلى حدٍّ ما، وكانت معه على عجلة التوجيه أواني الطبخ، سقط ونزف دمه على الشارع، وامتزج دمه بشوربة العدس المندلقة. وارتعشت أيضاً حين جاؤوا وبحثوا عن هيرمان، كلاب الحراسة الذين امتثلوا لأوامر بليتش. وعرفت آنذاك ممَ كان خوفي، عرفت لماذا ارتعشت – أما اليوم: فممّ أخاف؟ ممّ يخاف هيرمان الذي لم أره قط يرتعش؟ ليس خوفاً على بينغرلي. أهو خوف عليّ؟ وبلاوكريمر الأولى، اليزابيت، لم يكن عندها في الحقيقة خيال، لكنها روت أشياء خيالية. لم أحكِ لها أيَّ شيء، لا شيء على الاطلاق، وما كنت سأحتاج إلى أي خيال لأروي أشياء خيالية. (تضع المنظار مرة أخرى على عينيها). أحسد أحياناً زوجات البحارة؛ فحجراتهن تدل في مظهرها على الراحة والهدوء، ولديهنّ زهور جميلة على نوافذهن وشرفاتهنّ، أزواجهنّ عندهنّ دائماً ، وعندهنّ السيارة واقفة أمام بابهن على سطح الباخرة. وذات مرة حدّثني ديبلوماسي هولندي أنهم كلهم يهرّبون بعض الشيء، لا بل الكثيرون منهم يهرّبون كثيراً. (تضع المنظار ثانيةً).

جميل هو العنوان بالخط العريض صباح هذا اليوم: الظاهر أنّ صفحة فويلر ناصعة. فممّ يخاف هو؟ خوفي يضمحل لحظات، ثم يعود إلى الظهور، والإطلالة على وادي الراين الجميل هناك تحت لا تسرني. يخطر ببالي الشعر الذي تعلمته في المدرسة:" حيثما كان العالم دائماً هوالأجمل كان مقفراً وخاوياً." ضحكهم في الليل، صوت بليتش،

العربدة المتواصلة - وهيرمان صامت هكذا في أثناء ذلك؛ وفجأة كل شيء كئيب - ثقيل، جدي، خوف. وإلى الآن هوّنت على نفسي كل شيء و سهّل عليّ كل شيء، ومضى كل شيء بسرعة على مدى عقود، وكم دهشت حين صرت فجأةً - أجل فجأةً - في الستين. بل إني شاركت في الضحك حين قال هالبيركام آنذاك:" الأمريكان بسطاء سذّج أنهم سمحوا بتصعيد قضية مثل قضية ووترغيت إلى هذا الحد "، وحين قال:" فييتنام، يا إلهي، هؤلاء لديهم القنابل الذرية " - عندئذٍ لم يضحك شوندت. طفلة ذكية هناك تحت، كاتارينا هذه؛ هي على صواب، هيرمان خجول للغاية من أجل مشروع وزير، فلا يستطيع علناً ما يستطيعه شوندت: ألا وهو الكلام على حين يلعلع صوته ويهتز شعره الطويل الأشقر في أثناء ذلك. كم ضحكنا حين سمح لممثل أن يريه كيف يهزّ المرء شعره الطويل - ولعلع الصوت ولعلع، لم يكن هناك من حاجة إلى أي شخص ليعلّمه هذا. وأمام أوساط صغيرة يستطيع بلاوكريمر أن يتحدث أيضاً. وكم تفهّموا المجموعات كلها والأوساط بأسرها! وكان هذا شعار هيرمان من جديد:" أولاً الفهم - ومن ثمّ مدّ اليد وتناول الشيء - وعدم إهمال أيّ شيء - وعدم ترك أيّ شيء كما هو "، كما سمّى بلاوكريمر هذا، وكان شوندت هو الذي استبدل كلمة " مدّ اليد " بكلمة " التشمير عن ساعد الجد ".

هذه المرأة الشابة هناك تحت تريحني وتنشطني: تستطيع أن تحسّ مع الآخرين ولها لهجة باردة، وإني لأحسدها على خلوّ بالها في هذا الموضوع الذي يسميه المرء الجنسانية. وصعب عليّ هذا كثيراً. طبيعي أنّ الراهبة هوبيرتا حدّثتنا أنه كانت هناك " شهوة الرجل "، وكانت

أضافت بصوت خفيض جداً وعلى نحو واضح جداً حيث إننا استطعنا أن نسمع كلنا:" وهناك أيضاً شهوة المرأة."

الأولى عرفتها من حماقات ومجون صبيان القرية حين كانوا يحاولون أن يمسكوا شخصاً ما. والثانية عرفتها في المدينة،فوق في غرفتي الفقيرة تحت السطح حيث سكنت هيلدي بالقرب مني، بائعة مثلي في محل للاقمشة. كانت لطيفة، مرحة، مستهترة، وكانت تصطحب معها إلى غرفتها شباناً لطفاء تعرفت إليهم من الرقص، وكانت تسافر أيضاً في عطلة الأسبوع مع رجال، رياضة مائية، زورق سباق و " مطارحات غرام رائعة "، كما كانت تسميها هي، في الخيمة على ضفة النهر. وكنت أحمرّ خجلاً بصورة دائمة حين كانت تسرد التفاصيل، ثمّ أقلعت عن ذلك لأنها كانت في الحقيقة لطيفة. وكانت تحضر لي معها أحياناً أشياء مخفّضة:ثياب داخلية وحمالات صدر أيضاً، وحين كنت أجرّب هذه الأشياء كانت تقول لي بنفس مقطوع خالٍ من الحسد على نحو غريب: يا أنت! بنهديك هذين تستطيعين أن تسجلي لنفسك نجاحاً رائعاً." وجعلني هذا متباهية مزهوة وقلقة أيضاً. خفت من مجون هيلدي واستهتارها وراق لي هذا في الحقيقة. كنا نمازح بعضنا بعضاً، وأحياناً كنت أقول لها:" خذي حذرك فقط من ألاّ تنتهي في الشارع "، وقالت عندئذٍ:" في إمكانك أن تدخلي الدير وتداعبي صاحبك المسيح." ولم يترك لنا شبان القرية أيّ شك في جنسانيتهم، لا بل إنّ بعضهم عملوا في أثناء القيام بوظيفة مساعد القسيس حركات خليعة داعرة. وخفت من فظاظاتهم وعرفت أنه كان لابدّ لأحدهم أن يكون معي فظاً جداً، حتى لو أنه كان الشاب الألطف والأهدأ.

قالت لنا الراهبة هوبيرتا حين بلغنا السادسة عشرة:" حدّثتكنّ الكثير عن العفّة، ولكن حين تخرجن الآن، إلى الحياة، وتعملن وتتعلمن مهنة وتتزوجن وترغبن في إنجاب أطفال، عليكن أن تعرفن أنه لن يكون في الإمكان إنجاب أطفال بطريقة عفيفة - يجب أن يشتهيكن رجل، وأنتن يجب أن تشتهينه." أعجبني في الراهبات شيئان غاية الإعجاب: غناؤهنّ وثيابهنّ: صلاتهنّ المغناة كان فيها شيء من الهدهدة، تأسر شخصاً ما، وكان فيها الكثير من أغاني الحب كما عرفتها من أغانٍ شعبية.. وثيابهنّ التي كانت لها هذه الرائحة الطيبة ونظيفة هذه النظافة، وفيما بعد قال لي هيرمان، إنّ فيّ شخصاً يعاني من التولّه الجنسي والإثارة الجنسية بواسطة الثياب الداخلية.

ثم تخلّت هيلدي عن مجونها واستهتارها، وكانت تقول دائماً:"لا أريد أن أغويك، ولا أن أفسد أخلاقك أيضاً، ما أريده هو أن تكوني مرحة بعض الشيء وتعبثي، وأقول لك إنه لممتع مع الشباب. وآمل أن تجدي واحداً يحبك فعلاً." ووجدت هذا الشخص أيضاً في مساء اليوم نفسه، خرجت إلى الشارع لكي أجد واحداً: الأفضل الأول، والأول أثبت نفسه أنه الأفضل، وكنت ألبس عن قصد لباس راهبات بعض الشيء: معطفاً رمادياً وقبعة صوفية رمادية وأبسط حذاءين كانا عندي. وحين أمسكني هذا الجندي الصغير في ذراعي في خجل قائلاً:" آنسة، ربما سيكون بيننا شيء ما "، أغبى طريقة يستطيع المرء أن يخاطب بها فتاة، قلت أنا بالطريقة الغبية نفسها:" أجل، ربما سيكون هناك شيء ما " واصطحبته معي.

أجل، ذعرت من بشاعته، ليس فقط أنه كان أقرب إلى أن يكون قصيراً، كان فيه شيء من التجاعيد، وبدلته لم تكن على قدّه حيث إني خفت من أن تكون له حدبة. لم تكن له حدبة، وفيما بعد ذهلت من الفرق بين بشرة جسمه وبشرة وجهه: فبشرة جسمه كانت بيضاء بياض بشرة الطفل، رقيقة مثل يديه، وعيناه لم تطلبا شفقة. وكان على هذا أن يصبح زوجي، وكنت قد نويت أن أتزوج هذا الذي بادرني بالكلام واصطحبته معي. وعلى السلم وفي الظلمة كان قد تحسس ساقيّ إلى فوق، بحذر، وفي رفق نوعاً ما، ولم أحسّ بأن هذا فاحش. كان كأنما أراد أن يتحسس باليد ما لم تستطع عيناه أن ترياه: كان كل منا قد وقع على الآخر بطريقة عمياء تقريباً. ثم نظرت في وجهه ونظر هو الآخر في وجهي، وواستني بشاعته عن رثاثة حجرتي :السرير العتيق من خشب الجوز والحامل الثلاثي القوائم وعليه طشت الغسيل والمنضدة الصغيرة التي لا يزيد سطحها عن سطح الكرسي. لم أخجل من الصليب المعلق على الجدار ومن طبعة العذراء الرخيصة التي تقدمتها في حامل من النحاس الأصفر متقلقل شمعة كنت استعملها بين الحين والآخر لكي أصلي أمامها. وبعض الثياب معلقة على مسامير في الجدار، لا بل كان معطف صباحي مقلّم بأبيض وأحمر، وكنت فخورة به. والسخان على المنضدة الصغيرة والحقيبة تحت السرير، وفي السخان حلزونة الكهرباء التي كانت تتقطع أحياناً، ثمّ كنت أتركها تبرد لكي أعيد وصلها وصلاً غير متين حيث تعود إلى التوهج توهجاً يكفي لأن يسخن فنجان حساء أو فنجان شاي من البابونج. فالحلزونة ضاقت جداً بسبب التقصيرات الدائمة حيث إنها كانت تثب عند الأخدود. الشيء الوحيد الجميل كان

صندوقي الصغير المصنوع من خشب شجر الكرز والذي كان أبي أهداني إياه بمناسبة تخرجي في المدرسة:ملوّن بورود ولؤلؤليات على نحو ملمّع تلميعاً أبيض. وفيه حفظت أنا أقراص مرقة وملحاً وخبزاً وشاي بابونج والقليل من جواهري أيضاً: سلسلة من الكهرمان حصلت عليها في اقتبال القربان الأول، وسواراً من لآلئ زجاجية.

وقف هناك ورأى هذا كله، ثمّ نظر كل منا إلى الآخر: نظر طويلاً، طويلاً جداً - لا مخمّناً، بل كان نوعاً من استغراق كل منا في الآخر؛ فقد عرف هو تمام المعرفة أني لم أكن فتاةً لعوباً، وعرفت أنني سأمضي حياتي كلها معه. كان الجو هادئاً، وسمعنا الدرج يطقطق عدة مرات، وهذا الصوت المتأرجح للأرضية الخشبية الجافة في البهو، فتح أبواب وغلق أبواب - كان هذا هيلدي التي اصطحبت معها من جديد شخصاً ما إلى الغرفة. وفي الغرفة الأكبر حجماً المطلة على الفناء كان يسكن معوّق هزّ بعصاه ووزن جسمه أرضية البهو.

بينما كنت أنظر إلى هيرمان اختفى قبحه، وبات الوجه المتغضن الموحي بالكبر أملس ناعماً من السرور والانشراح. رأيت أنه لا يمكن أن يكون جاوز العشرين. كان شعره كثيفاً، أشقر، ناعماً. لم أخف من نظرته. كانت هيلدي قد قالت لي المرة تلو المرة:" أنت منظر بهيج، وتكادين أن تكوني بهجة العين." لم يكن خوفي إلا من أنه قد لا يحسن التصرف عند حدوث ما كان ينبغي أن يحدث. كان نعلاه من فئة السعر الأفضل، أغلى من كل ما كان عندنا في المتجر. وتحت سراويل البدلة العسكرية الرثة كان منظرهما أقرب إلى الأناقة. كنت مضطربة جداً حيث إني بدأت اخجل من نفسي تقريباً. تمنيت أن يبدأ قبل أن أفقد

صبري. وكثيراً ما فكرت بالاشتباك بالأيدي الواقع لا محالة حين ينبغي خلع آخر أثواب الحياء - وكنت قد خلعته. كان وجهه الآن ناعماً من الانشراح، فقد أومأ برأسه وأقبل نحوي، لم يمدَّ يده إلى تحت، كما خشيت، بل إلى فوق، وضع يديه على كتفي وجذب رأسي نحوه وقبّلني - وتنفست الصعداء من الفرح حين زال عني الخوف مثل السم. وبقي السرور، وبقي هو الأفضل، وهيلدي التي التقيتها فيما بعد من جديد، كانت كلتانا قد جاوزت آنذاك الاربعين، وكان هيرمان قد دخل المعترك السياسي منذ زمن وكان عليه أن يفتح البرميل. عندها تقدمت هيلدي من بين الجمهور نحوي، واستغرق تعرّفي عليها ثانية برهة من الزمن. كانت قد سمنت واكتنزت، سمراء مرحة، وهمست إليّ: "خوفك أن أكون عاهرة لم يكن له أيّ مبرر، كما رأيت. زوجي متعهّد بناء، وأنجبنا أربعة أطفال-كان أيضاً أحد الذين اصطحبتهم إلى الغرفة. "

يجب أن أتذكر هيلدي دائماً حين يتكلمون عن الثلاثينيات مع أنها كانت نهاية الأربعينيات حين كنا نسكن آنذاك في حجرتينا تحت السقف. كل منا تختلف عن الأخرى إلى هذا الحد، ومع هذا يوحدّنا موقف واحد -هي بنزهات التجذيف وغرامياتها في أدغال ضفة نهر صغير هادئ. وأنا في خوفي من "جنسانية الإنسان " وفرحتي بذلك. أنا الحالمة بتهويدة الراهبات وثياب الراهبات، المتأثرة تأثيراً شديداً بحكايات هيلدي خرجت إلى حيث لم تخرج هي قط: إلى الشارع.

أجل، كان لا بدّ لنا من أن نضحك، هيرمان وأنا، حين كان علينا أن نشغل أنفسنا بأزرارنا. فالشيء غير ممكن من دون فتح الأزرار. وكان كلانا حييّا خجولا، ومن الممكن أن ينتهي الأمر نهاية رهيبة، كما هي

الحال لدى آل كوبلر الذين يسكنون في الجوار. فقد قرأ كلاهما-كلّ منهما بمعزل عن الآخر - في كتب كيف ينبغي أن يفعل المرء في ليلة الزفاف، وفي تلك اللحظة الحاسمة التي يجب أن يكون فيها الحب الأكثر رومانتيكية ملموساً فقد فشلت الأمور لدى آل كوبلر - فهو كان غليظاً فظاً كل الفظاظة - وهي لم تسامحه.

في الصباح توجهت من بعد ذلك إلى المتجر إلى آل كلوغماير وطلبت إعطائي عطلة. كان متجراً هزيلاً، كل شيء محدود. في الأمام كنت أستلم التصليحات، وفي غرف الجلوس كانت علب كارتون الأحذية مكدّسة. وفي الخلف كان يجلس السيد كلوغماير إلى طاولة الاسكافي الخاصة به، كل شيء حزين و رثّ، وفي المطبخ السيدة كلوغماير المعتلة الصحة بصورة دائمة. تعلمت في متجر أنيق حيث كانت النسوة يحللن سأماً ويتركن آخرين يقدمن لهنّ الأحذية في علب كرتون دستات دستات.

(تتكلم بصوت خفيض). هذا كله لا يسعني إلاّ أن أحدّث نفسي به مثلما قادتني شهوتي إلى الشارع وكان هيرمان أوّل من صادفته في طريقي: حب؟كان أكثر من ذلك. وأكثر من الحب ما أحسه نحو ذلك الذي يقبع هناك في الجهة الأخرى في مقطورة نومه: إنه الابن الذي كنت تمنيت إنجابه، ابن تركته أمه؛ إنه ذلك الذي ألقى سحراً على معزفي الذي كنت سأجلس إليه في يوم مثل هذا اليوم. إنها أشبه بلعنة حلّت على آلتي المحبوبة. وأنا متأكدة أنه كان هو هذا في تلك الليلة عند كابسْبيتر ولو أنّ المرء لن يستطيع أن يثبت عليه هذا. كان هو هذا، وإن لم يكن هو: فإنها روحه التي تطوف هناك. ويسرني أن تكون عنده هذه

هناك تحت، ومعها طفل. فأول واحدة له والتي يهواها هيرمان هوى وأيّ هوى، كانت على شاكلته، غاية في الورع، وغاية في الشاعرية والدلال. كانت ستنخرط في أغنية " تساقط الندى، أيتها السماء، " بكامل صوتها وبمتعة. ممّ يمكنني أن أخاف؟ إنني خائفة وأعرف ممَ. سيحدث شيء ما. لا مع بينغرلي، وقبل أن أنسى عليّ أن أتصل بشتوتسلينغ ليأذن له بالانصراف قبل الوقت ببضع ساعات. (تضع المنظار وتنزل إلى تحت).

الفصل الثالث

(في داخل مقطورة نوم واسعة جداً وسهلة التصدّع. ومن النافذة الأمامية الكبيرة يطلّ المرء من فوق الراين على الضفة اليسرى. كارل فون كرايل يجلس إلى المنضدة ويركّب على سيارة صغيرة أعواداً خشبية وألواحاً بأدوات مناسبة. ويحاول أن يثبت عجلات صغيرة تحت أحد الألواح مثلما يستعملها المرء تحت المعازف الكبيرة. فهو يرتدي قميصاً وسروالاً وكنزة، يدخن الغليون وإلى جانبه فنجان قهوة ويدندن بشيء ما إلى أن يدخل بعد طرق قصير أبوه هاينريش فون كرايل. وهذا أنيق في ملبسه، ربطة العنق والصدرية الخ. ينهض كارل ويعانق أباه ويقدم له كرسياً. يجلس كرايل الشيخ ويشعل سيجارة).

هاينريش فون كرايل (بعد أن ينظر برهة من الزمن إلى ابنه الذي يمارس هواية التركيب): ألا ترى الأمر مرعباً بعض الشيء - تشتغل هنا بعجلات مثلما يستعملها المرء للمعازف. (ينظر كارل إليه مدهوشاً). الظاهر أنك لم تقرأ صحف اليوم بعد؟

كارل فون كرايل: بلى، قرأتها، وبصورة موسعة - وبصفتي عاطلاً عن العمل فلديّ الوقت الكافي. هل ينبغي عليّ أن أوقف بعد قراءة الجريدة التركيب على هذه السيارة الصغيرة لابني؟

هاينريش فون كرايل: هل قرأت أيضاً ما حدث عند كابسْبيتر؟

كارل فون كرايل: أجل، قرأت، لا بل قرأت أيضاً أنّ الفاعل أخذ معه العجلات، كما يبدو. وتلك هي العجلات من معزفي، معزفنا الذي قطعته قبل سبع سنوات وأحرقته. احتفظت بها لأنه بدا لي آنذاك أنّها الشيء الوحيد الصالح للاستعمال- وما تبقى من المعزف لم يعد له أيّ استعمال عندي ...

هاينريش فون كرايل: كان المعزف الذي أحبته أمي وثبت أنها عزفت عليه مقطوعات لبيتهوفن. لا داعي للحديث مرة أخرى عن نتائج هذه الهمجية - وبها بدأ الشقاء كله.

كارل فون كرايل: هذا الشقاء لم يكن تعيساً إلى هذا الحد - فقد حرر زوجتي ايفا مني. وبالمناسبة لا أخشى حكم أمي على الإطلاق ولا حكم بيتهوفن أيضاً. وفضلاً عن ذلك فقد كان المعزف ملكاً لي. الملكية ملزمة. فقبل سبع سنوات كنت مطالباً بأن أدمّره. واحتفظت بالعجلات. وها أنا أركّب الآن سيارة صغيرة لابني الصغير. فالأطفال يحبون الألعاب التي يصنعها لهم الآباء أنفسهم. فأنا لا أرى أيّ شيء معيب، أيّ شيء رهيب، لابل أي شيء جنائي في عمل صباحي بسيط.

هاينريش فون كرايل: كان معزف كابسْبيتر ملكاً لكابسْبيتر. ستدرك أنّ الانسان ربما أحس بأنّ الشغل بهذه العجلات الصغيرة استفزازي على الأقل. قبل سبع سنوات خربت أنت معزفاً كبيراً، وقبل خمس سنوات تم تحطيم معزف برانسين وقبل أربع سنوات معزف فلوريان - وهذه الليلة معزف كابسْبيتر - وأنت تجلس هنا وتشتغل بهذه العجلات الصغيرة.

كارل فون كرايل: مساء أمس كنت في حفلة كابسْبيتر الموسيقية المنزلية، ومن الغريب أنّ اسمي لا يزال بين ناس كثيرين على قائمة الدعوة. وتعزف ابنة كابسْبيتر بيتهوفن - وبالمناسبة ليس عزفاً جيداً، لكنها فتاة لطيفة ومجدّة جداً. كاتارينا كانت هناك خادمة، وكان الجو ممتعاً، إلى حدّ البشاشة، حين جاءت إليّ ومعها الصينية وسألتني: أيريد السيد الغراف كأساً آخر من الشيري؟(يضحك). أعطيتها البقشيش، مباهاة. هل تعلم أنّ الفتيات لا يحصلن تقريباً على أيّ بقشيش؟ يجب أن يفعل المرء شيئاً حيال ذلك! أطالبك بأن تعطي البقشيش للتباهي. (يتوقف وينظر إلى والده). لماذا تنظر إليّ هكذا في قلق واهتمام، وتكاد تكون نظرة غضب - هل يشتبه المرء فيّ؟ في هذه الحال ما كان المرء سيترك كاتارينا تدخل في خدمة آل فوبلر اليوم.(يشير إلى المنظار الموضوع على بسطة الشباك). راقبتها وهي تعدّ مائدة الافطار لآل فوبلر. وبالمناسبة ألن تذهب إلى الصلاة على روح إرفتلرْ بلوم؟ (يتوجه صوب النافذة ويتناول المنظار وينظر إلى الجهة الآخرى). لا تزال اريكا جالسة بالمعطف الصباحي، وفوبلر لم يظهر بعد.

هاينريش فون كرايل (ينهض ويمشي صوب كارل ويضع يديه على كتفيه): هل سبق أن أسأت استعمال ثقتك؟

كارل فون كرايل: لا. على الإطلاق. وأنا لم أسئ استعمال ثقتك أيضاً.

هاينريش فون كرايل: لا - قل لي إذاً: أأنت الفاعل أم لست هو - أكنت الفاعل أم لم تكنه؟

كارل فون كرايل (يبتسم): لست أنا الفاعل ولم أكنه.

(يجلس كلاهما ثانية). يجب أن يكون - أنى لي أن أقول - روح من روحي. فقد أكثرتم القول آنذاك في معزفي، لحدّ الفضيحة، حيث إني لم أتصرّف بملكيتي - لنقل - بطريقة غريبة بعض الشيء. وقامت الدنيا وقعدت: جلسات واجتماعات في المؤسسة ومن ثمّ الصحافة. والحق أنه لم يكن في ذلك إلاّ نوع من العبادة الخاصة الهادئة، أجل، عمل تكريس، عمل قربان، وطقس. ومن ثم هذا التطبيل والتزمير: هذا معدٍ، يا أبي، له أثر ديماغوجي يصعب التحكم به. أنا قانوني، يا أبي، قانوني متحمس. لا بل إنّ أستاذي كونكيس أراد أن يقنعني بالحصول على شهادة الأستاذية. أنا أحترم القوانين.

هاينريش فون كرايل: فقط في ريو لم تحترمها آنذاك على هذا النحو الدقيق.

كارل فون كرايل: أجل، كان هذا عدم تبصّر - غير مقصود. أجل. كنت مسؤولاً عن أموال وكنت حر التصرف بها، وأعطيت الفتاة مالاً لتطير إلى كوبا. أجل. كانت مستحقة العقوبة موضع خلاف، إلا أنني عوقبت. ولنسكت عما سيدفع في ظروف أخرى من هذه الأموال الموضوعة تحت التصرف. ضبطوني وطردت، لا بل حكم عليّ شهرين مع وقف التنفيذ. لم يكن إلا حنقهم على البيانو المحروق. وبالمناسبة فإنّ الفتاة، لكي تقف إلى جانبي، ردّت المال في حوالة وبفوائد. فالثوريون هم أحياناً نزهاء جداً ومخلصون. فما من مخبر حصل على مال من الصندوق سبق أن أعاد ماركاً واحداً.

هاينريش فون كرايل: وفضلاً عن ذلك كانت لك علاقة معها. أم؟

كارل فون كرايل أجل، هكذا يسميها الناس. أحببنا بعضنا لمدة

يومين أو ثلاثة أيام. وأعتقد أنها أعادت المال بسبب هذا الحب القصير الأمد. لا شيء من هذا في الصحف. (يتنهد). والآن ألم يعد مسموحاً أن أركّب لعبة لابني الصغير لأنّ ...

هاينريش فون كرايل: ثبت أن موتزارت عزف على بيانو كابسْبيتر.

كارل فون كرايل: ويقال إنّ فاغنر عزف عزفاً اعتباطياً على بيانو برانسين، وبراهمز على معزف فلوريان. ولدى كرينغل معزف يقال إنّ باخ عزف عليه. (يتناول العجلات الصغيرة ويضعها مرة أخرى، ينهض ويمشي مضطرباً جيئة وذهاباً).

هاينريش فون كرايل: لا شك في أنّك حزنت حين رحلت عنك أيفا آنذاك، وحين فقدت أصدقاءك كلهم.

كارل فون كرايل: أجل، أحزنني هذا - وقبل كل شيء أنّ أيفا رحلت. لكن بعد ذلك كانت عندي لبضعة أيام صورة صعود العذراء إلى السماء. حزني على أيفا زال، عندي كاتارينا. وما أحزنني آنذاك كان هو حقيقة الأمر أنّه ما من أحد منكم، حتى ولا أيفا، ولا أنت ولا آل فوبلر - ولا أحد من أصدقائي لاحظ في أي يوم عملت أنا هذا. (ينظر هاينريش إليه متسائلاً). أجل، أقول لك هذا الآن: كان اليوم الذي رموا فيه كونراد فلوهْ بالرصاص خطأً حين أدخل يده في جيب سرواله في أثناء تفتيش بوليسي. أقول لك مالم يعرفوه ولم يعرفوه إلى الآن(مشيراً إلى أجهزة تنصت ممكنة) وهو أنّ كونراد كان له في الحقيقة اتصال معهم. كان في طريقه لأن ينقذ ذلك الذي لا يحق للمرء أن ينطق باسمه والذي اختفى ملفّه ...

هاينريش فون كرايل (يجيل النظر متخوفاً): اتصال معهم بصفته قسّاً؟

كارل فون كرايل (يهزّ منكبيه): كانوا مرعوبين جداً من موته حيث إنه لم يخطر ببالهم أن يفتشوا منزله. فقد اعتبروا الموضوع سوء مصادفة. وتلقى الشرطي صدمة رهيبة. زرت زوجته آنذاك وحاولت أن أهدىء من روعها. ثمّ فتشت منزل كونراد بصفتي صديقه ومنفذ الوصية، واتضح لي أنّ كونراد كان في طريقه لكي ينقذ هذا الذي ما كان ينبغي إنقاذه، لكن أريد إنقاذه - وفي هذا الجانب وبهذا المعنى كان للشرطي المسكين وظيفة في داخل هذا المنطق الرهيب من دون أن يستطيعوا أن يعرفوه ظناً، إذ إنه كان من الممكن أن ينقذه كونراد. دمّرت الوثائق كلها والعناوين، أرقام الهواتف والملاحظات المرمّزة. شعور داخلي، يا أبي، مصادفة، قدر، تقادير. (هادىء جداً وجادّ جداً). حين خرجت من منزل كونراد، كانت أيفا جالسة وكانت تعزف مع فوبلر تعديل قطعة موسيقية لشوبان، كانت اريكا تجلس في أثناء ذلك بكل انتباهها. لم أنبس ببنت شفة، لا ولم أغضب- ورجوتهما كليهما بأدب لكي ينهضا، وأتيت بالفأس من الحجرة وقطّعت البيانو، بهدوء بلغ حدّ الأدب، وسموا هذا برودة - وعلى الشرفة الأرضية كانت نار الموقد تتأجج. كان هذا بطبيعة الحال صدمة، لأنه حدث على نحو هادىء كل الهدوء، ويقرب من البداهة - وهرب الجميع هروبهم من مجنون. ولا أحد فكّر بكونراد فلوه. لا أحد، ولا أيفا أيضاً، ولا أحد أحسّ بالصلة أيضاً مجرّد إحساس ولا فكّر بما كان يمكن أن يكون وبما كان: ضحية. وليكن قربان محرق. وحين انصرف الجميع جلست أمام الموقد ودخنت الغليون وتذكرت الصديق الأفضل، كونراد فلوه، وهذا الشرطي المسكين الذي لم يستطع أن يحسّ أنّ المصادفة ليست مصادفة - كنت وحيداً، ولم أعزف

من بعد ذلك- وهنا (يشير إلى طاولة)، هنا العجلات، وهذه هي ملكي.

هاينريش فون كرايل ألم تعرف إيفا كونراد ؟

كارل فون كرايل: طبعاً ، هي أحبته وبكت أيضاً حين رموه بالرصاص، حزنت عميق الحزن وخالصه، كما يقول المرء، فهي افتقدته، وكم تناقشا حول مسائل لاهوتية. كما أنّ آل فويلر أحبوه أيضاً، وما كانوا سيستغربون لو أني حطمت أيّ شيء بدافع الحنق: ربما معزفاً قديماً، أما أن يكون معزفاً سليماً نفيساً فهذا لم يخطر في البال في هذه الحال، ولم يروا وجه العلاقة.

هاينريش فون كرايل: وانتهت سيرتك المهنية - فأبعدوك إلى ريو، ويلوكانسكي مرّ بك مستعرضاً ...

كارل فون كرايل: ودائماً في صعود - وكلونش،رئيسي، طلب توضيحاً لم أستطع إعطاءه - وقدكان ملكاً لي. وكان كما لو أني أضرمت النار في سيارتي بيديّ. حتى مجلس العمال دعوه للاجتماع، وكان الجميع ضدي، وكذلك الذين كانوا يميلون إليّ كثيراً - السائقون وسعاة المكتب. والفحص النفساني رفضته - أن تشرح لطبيب نفساني لماذا قدمت لصديق توفي محرقة، نار قربان غالية إلى هذا الحد. لم يستطيعوا أن يسرحوني، وتابعت القيام بوظيفتي على نحوصحيح وبإيمان بالواجب.

هاينريش فون كرايل: إلاّ ريو.

كارل فون كرايل: أجل، هنا ضبطوني، لأنّ المسألة كانت مسألة مال. المال قيمة واقعية، شيء مفهوم حتى لأطباء نفسانيين، ومنطقي. أعطيت هذه الفتاة مالاً، وهربت به إلى كوبا، ثم كان لي معها أيضاً

علاقة - كان هذا واضحاً. مال جمهورية ألمانيا الاتحادية لواحدة شيوعية! هنا أمسكوا بي طبعاً. مال من الصناديق المقدسة الخاصة بالادارة، ومنه يتم تمويل أشياء وأشياء. وأحياناً أيضاً هذه المغامرة النسائية أو تلك بطبيعة الحال. وقد ردّته، وتكتب لي أحياناً - آسونتا ديلا تورّي -Assunta de la Torre صارت معلمة، وتكتب لي أنني إذا ما احتجت أنا ذات يوم إلى التجاء فأنا في كوبا على الرحب والسعة بصورة دائمة. على أنني لا أحتاج إلى التجاء ولا أريد الذهاب إلى كوبا. أودّ أن يكون لي عملٌ بصفتي قانونياً.

هاينريش فون كرايل: يشاع عن إيفا همساً أنها تنوي الهرب مع كوبي.

كارل فون كرايل: إيفا في كوبا؟ ولم لا؟ سيكون في وسعها أن توضح العلاقات بالكنيسة، وربما أن تحسنها. إنها على درجة من اللطف والذكاء والحساسية وأقوى من أن يتصور المرء.

هاينريش فون كرايل: لم لا تفترقان وتتزوج أنت كاتارينا أمّ ابنك؟

كارل فون كرايل: أنت تتكلم عن الطلاق، يا أبي؟ إيفا في هذا محافظة أكثر منك. فهي لا تزال تعتبر نفسها زوجتي - إلى أن يفرقنا الموت. فهي تعيش مع غرويش، أما الطلاق فلن تقبل به، مع أنها هي التي هجرتني لا أنا. وبالمناسبة فإنّ كاتارينا لن تقبل أن تتزوجني...

هاينريش فون كرايل: لِمَ لا - يا إلهي - لِمَ لا - لِمَ؟ أيّ شيء هو هذا من جديد؟

كارل فون كرايل (يجلس ثانية ويشرع بالتركيب بينما يقف هاينريش فون كرايل أمامه. كارل مرتبك جداً): من الأفضل ألاّ أقول

لماذا. قد يؤلمك هذا - ربما ستفهم الأمر، وقد يكون هذا أكثر إيلاماً.

هاينريش فون كرايل: ومع هذا قله لي - وقد لا يؤلم إلى هذا الحد. حين أقول لك إنني لم أعد أفهم العالم على كل حال سيهون عليك أكثر أن تقول لماذا يمكن أن يؤلمني أنا إن لم تتزوجك كاتارينا.

كارل فون كرايل (مرتبك جداً): أنى لي أن أبدأ؟ أعني ما تقصده كاتارينا أيضاً أنّ (متردداً في القول) -أنّ هناك الكثير جداً من الكونتات. وبعد فهي إن صحّ التعبير نصف كونتيسة، فأبوها غير الشرعي كان كونتاً شاباً لطيفاً كان سيتزوج أمها- التي كانت خادمة- لكن هذه رفضت أن تنجب كونتات وكونتيسات، وكاتارينا تريد أن تلتزم بهذا التقليد. (يرفع بصره) انظر، فأنت كونت(غراف) ولا سبيل إلى تغيير أي شيء في ذلك ولا سبيل إلى انتقاد أي شيء أيضاً. فأنا واحد منهم- ومع ذلك لست بخير. وبطريقة ما توقظ المخاطبة بالغراف (الكونت) احتراماً لا يسوّغ إلاّ نادراً. وحين نجعل من ابننا هاينريش الصغير غرافاً(كونتاً) من جديد عندها سينجب هذا بدوره ذات يوم كونتات وكونتيسات. أما كاتارينا فتريد أن يكون اسمه هاينريش ريشتر. أنا سأتزوجها لو أنّ إيفا قبلت بالطلاق. على أنني غراف(كونت) ولن أتخلص من اللقب الذي هو جزء من اسمي. وإذا ما رأيت كم من الكونتات يعجون حول شوندت: في كل مأزق يبرز عنده كونت(غراف): لا لسبب إلاّ لأنني غراف تورطت في هذه القضية اللعينة، قضية موتّباخاني وزجوني فيها خفية. هل تذكر؟

هاينريش فون كرايل: كان شيئاً له علاقته بالبترول أو؟

كارل فون كرايل: أجل، له علاقة بنفط كثير. هنا أراد كلونش أن

يعقد وحده صفقة صغيرة على نحو غير مشروع، وأن يلعب دور عميل نفط، على نحو غير مشروع ولكن بطريقة مزعجة. هنا كان عليّ أن أمضي إلى هذا الموتباخاني في السفارة، لأنّ كارل غراف كرايل له وقع رزين نوعاً ما. كان هذا في أيامي في بروكسل . بروكسل ياأبي، ثلاث سنوات في بروكسل- حتى أنت سيخطر ببالك بأن تحطم البيانوهات التي ربما عزف عليها أوفينباخ. بروكسل والنفط- هنا كان لقب الغراف (الكونت) رناناً مفيداً، ولو أني كنت فقط كارل كرايل لما خطر ببال أحد أن يقحمني في ذلك. لم تتم الصفقة، ولم أعد أدري لماذا. وأظن أنّ شوندت جاء مبكراً إلى هناك مع غرافه وكان أشطر، فقد أرسل الغراف إيرلي، غراف بيرين، وكان هذا أكثر فطنة مني. وبلغ مني أنني فهمت كلونش: فقد أراد الوصول إلى الأوراق النقدية الكبيرة أيضاً وبطريقة مشروعة تماماً، هذا الشاب من الكوخ الفلاحي الصغير هناك في الشمال. هل أنت غاضب أو حزين لأننا نريد أن نجعل من ابننا الصغير هاينريش غرافاً من جديد أيضاً؟

هاينريش فون كرايل: أنا لا أفهم، ومع ذلك فالمسألة تؤلم . للمرء اسم وكل شيء يكمن وراء الاسم حتى لو كان يدعى ريشتر. لا يصح نكران اسمه. أجل، إنه لمؤلم. وعلى كل حال فإنّ إيفا لاتزال كونتيسة كرايل، ولو أنها أنجبت طفلاً من غروبش ...

كارل فون كرايل: كان هذا سيسميّ بلينت على اسم ايفا قبل الزواج، إذا أنكرت أنا الأبوة.

هاينريش فون كرايل: وهل ستعترف ببنوته؟

كارل فون كرايل: أجل، إن طلبت ايفا هذا مني وبعث هذا في نفسك

السرور. في مثل هذه الحال سيكون لك حفيد غرافي لا تجري فيه قطرة دم غرافي- فغرويش بروليتاري.

هاينريش فون كرايل: وصغيركم هاينريش سيكون إذاً ثلاثة أرباع غراف وسيدعى ريشتر. إي والله، قد أتبناه أنا.

كارل فون كرايل: لا رغماً عن أمه. بالمناسبة هذه تكنّ لك الود...

هاينريش فون كرايل: وأنا أيضاً أكن لها الود. أنا أعترض حين يترك المرء الأسماء تمّحي. وفاجأني ما قلته أنت عن بروكسل. هل كان الأمر مزعجاً؟

كارل فون كرايل: جعلته ايفا يحتمل- ولعبت على نحو رائع كل الروعة بلقبها، لقب الكونتيسة. طبيعي أننا أقمنا أيضاً حفلات، مع ناس من الناتو والجماعة الأوروبية، وحفلات رقص وجولات استطلاعية، وضحكنا وهزئنا ورقصنا- وأطلقنا النيران، في الصيد، وهذا بدهي، لكن لا شيء يبقى من بعد ذلك، لا شيء، وتعلمت أن أفهم أنّ ناساً يسقطون من أعماق العدم في أشدّ الأعمال الطائشة فحشاً وقباحة- وأنهم يقتلون أنفسهم رمياً بالرصاص ويمضون. وهنا تلتقيهم أيضاً، في الدهاليز أو في الصيد، مالكي البيانوهات فلوريان وبرانسين وكابسبيتر وكرينغل. ومن ثمّ فإنّ هذا لا يوحي كما لو أنه كان شوبان. وكرينغل قابلته أيضاً هناك، إنه جذاب... كما أنهم بكوا جميعاً أيضاً حين مات-

هاينريش فون كرايل: هل تعتقد حقاً أنه كان في الامكان إنقاذه؟

- كارل فون كرايل: ماذا تعتقد من أجل أية ملاحظات وملفات ووثائق حبسوا بينغرلي السيىء التافه الشأن؟

هاينريش فون كرايل: يقال إنه سيفرج عنه اليوم.

كارل فون كرايل: الله يلطف به!

هاينريش فون كرايل: هل تظن مجرد ظنٍ - أو أنك متأكّد؟

كارل فون كرايل: أظن أنّ في إمكاني أن أكون متأكداً. فالدولة معرّضة من جديد للخطر- بمصالح شوندت. الحق أنّ عبقريته البهيمية تكمن في أنّه يخلط مصالحه دائماً بمصالح الدولة حيث إنّ الدولة تكون شوندت وشوندت يكون الدولة.

هاينريش فون كرايل: لاشيء ثبت بالافتراضات والشائعات كلها.

كارل فون كرايل: لا، لاشيء ثبت، لا شيء من ذلك له قوة الإثبات. والحق أنني قانوني ياأبي. على أنّ في وسع المرء أيضاً أن يخفي الأدلّة أو يعدمها. وهذا أيضاً يعرفه كل قانوني.

هاينريش فون كرايل: أنت تنسى أنني أنا أيضاً قانوني، ما من حكم يجوز إصداره على أساس وثائق يمكن إخفاؤها أو إعدامها.

كارل فون كرايل: صحيح. إنما لن يتمّ أيضاً إصدار أي حكم. على أنك تستهين بالتأثير المتسرب (هاينريش كرايل ينظر إليه نظرة تساؤل)- ويبقى ضباب، ويبقى غموض، ويبقى شيء غير موضّح. لاشيء يتمّ إجلاؤه في الواقع، ويتبقى سمّ يتسرب إلى تحت، ويتسرب إن صح التعبير إلى روح الشعب، ويتسرب هذا إلى الأعماق، إنه سمّ.

هاينريش فون كرايل: لا أستطيع أن أصدق هذا.

كارل فون كرايل (يرفع إبريق القهوة): فنجان قهوة ياأبي؟

هاينريش فون كرايل: لا. لا أستطيع أن أصدّق، ولا عن بلاوكريم أستطيع أن أصدّق هذا- ولا عن هالبيركام...

كارل فون كرايل: واليزابيت هناك في مصحها الفاخر؟

هاينريش فون كرايل: إنها مجنونة فعلاً.
كارل فون كرايل: جعلها مجنونة.
هاينريش فون كرايل: لا شيء مما قيل استطاعت إثباته.
كارل فون كرايل: ولا أنا أيضاً قادر على ذلك.
هاينريش فون كرايل: آمل أن يكون لديك في الليلة الأخيرة إثبات الغيبة عند وقوع الجريمة.

كارل فون كرايل: أفضل إثبات يمكن تقديمه: أنني كنت في حضن زوجتي المحبوبة. فوعيها الطبقي قوي جداً حيث إنها ترجع لي حتى البقشيش الذي لم أعطها إياه إلاّ رمزياً. لا، ياأبي، لا بدّ أن يكون أحد ملائكة الرب ذلك الذي دخل هناك عند كابسبيتر، وملاك الرب عنده دائماً إثبات الغيبة. فهو يترك آثاراً، إلاّ أنّ هؤلاء لا يرونها. قليل من التراب الفضي من أجنحته السماوية.

هاينريش فون كرايل: ها أنت تحيرني في أمري من جديد بألغازك الميتافيزيقية، تتكلم مثل أمك التي لا تكاد تعرفها.

كارل فون كرايل: أنت مخطئ، فقد عرفتها جيداً. كنت في الخامسة من عمري حين سارت هناك فوق في نهر الراين، تقريباً عند كليفي حيث ركب لوهينغرين طائر التم. طائر تمّ في شريط أزرق كان يعني أيضاً فيما بعد ماركة سمن صناعي نباتي مشهورة. من هناك فوق- ربما انتظر طائر التم أمي تحت الماء- ثمّ تسير بتمها عكس تيار الراين ومع تيار الراين (مشيراً إلى الناحية الأخرى)- وربما أوقفت تمها هنا بالذات. فقد روت لي الكثير عن بيتها وبيتنا اللذين انجبا الكثير من الجنرالات. وأرتني صور السلف الكثيرة المملة: وما من حرب إلاّ وكان فيها واحد

من آل كرايل وواحد من آل سكوجيراجي، فأدنى مرتبة كانت عقيداً. وحتى المعركة عند فورينغن حيث كان أحد آل سكوجيراجي إلى جانب رئيس الأساقفة وكان أحد آل كرايل إلى جانب الخصم. تارة كانوا إلى الجانب الاسباني وتارة ضد الاسبان، تارة مع البروسيين وتارة أخرى ضدهم وضد القيصر ومعه. وعند نابليون أيضاً استبدلوا الأطراف. ولم يكتشفوا إلاّ في سنة ٧١/٧٠ شعورهم الوطني الحقيقي، ووطنيتهم النبيلة، عند فايسينبورغ أو صيدان، كان أحدهم موجوداً، لا، اثنان، واحد من آل سكوجيراجي برتبة جنرال، وواحد من آل كرايل برتبة عقيد، وأبوك سقط عند لانغيمارك ولم يكن إلاّ رائداً. وأخيراً شذذت أنت كلياً، ولم تكن إلا نقيباً واحتياطياً. آه يا أبي، ألا تريد أن تنزّل هذه الصور، صور المملين الكثر ذوي الأوسمة النجمية حول العنق وعلى الصدر؟ وبالمناسبة لا بدّ أن يكون الشيوخ قد حصّلوا أيضاً مبالغ لابأس بها- فإكراميات الجنرالات كانت عالية إلى حد ما. خفف من امتعتك يا أبي.

هاينريش فون كرايل: حاولت أن أتخلّص من الصور. ولكن من غير طائل. الظاهر أنها ذات نوعية تعيسة. لعلك تعرف شخصاً يبحث على موجة الحنين إلى الماضي عن معرض للأسلاف؟

كارل فون كرايل: بلوكانسكي يجمع شيئاً من هذا القبيل. أما الزيت على قماش الكتان فإنه يشتعل جيداً. والأطر أكثر قيمة من الصور. بع الصور لبلوكانسكي واحتفظ بالأطر. لا تغتمّ بأنّ دمنا (يضحك) لا يستمر إلا في الصغير هاينريش ريشتر.

هاينريش فون كرايل: كان في إمكاننا أن ننجب المزيد من الاطفال،

إلاّ أنني لم أستطع أن أمنع امك ، وقد أمسكت بها كما ينبغي زمناً طويلاً. (يقوم بحركة ذراع مناسبة). وساءت الأمور حين ظهر ارفيتلر-بلوم عندنا مع جماعته، فقد جعلني مدير دائرة ومن ثمّ محافظاً، وأقمنا من جديد حفل استقبال في القصر. ورأت وجوه شيرماخر وريكار وهوخلينر، وكانوا قد خرجوا لتوّهم من السجن في إجازة- إلى الأبد.

كارل فون كرايل: أجل، الآن أفهم أيضاً أنها أخذت عليّ وأنا في الخامسة من عمري العهد والميثاق بألاّ أرتدي بدلة عسكرية. وكثيراً ما أتذكرها. فمن الصور لم تكن امرأة جميلة ...

هاينريش فون كرايل: لا، لم تكن جميلة، لم تكن للتصوير. رغم كل الجنرالات أصحاب المكافآت العالية كنا في إملاق، وآل سكوجيراجي أيضاً. فقد تمّ إنفاق مال كثير في بيوت البغاء الامستردامية وفي باريس أيضاً. وبمشقة تم الحفاظ على حدّ أدنى من قواعد السلوك: الصيد، أنت تعرف، وحتى بالملابس وكل السخف في أبواق اليد والأطعمة الباردة والشمبانيا. ترقبنا ألاّ يأكل الضيوف الكثير الكثير، وقاسمونا البقية مع الخدم. والذي لفت انتباهنا المرة تلو المرة هو أنّ القساوسة كانوا أكثر أكلاً، وكانوا أحسن حالاً منا بكثير. وضايقنا التصنّع الشديد هذا، تصنع الأشراف، إني أكتشفك في أمك وفيّ أنا. إلاّ أننا فكرنا أيضاً حين ولى طاعون النازية، الآن يمكن أن يأتي عيسى المسيح، وكان لنا دائما هذا العيسى، هذا المسيح في الدم، ولعناه ولم نتخلص منه- فقد توطّن في دمنا إن صح التعبير. لم تكن حفلة زواجنا إلا شيئاً فارغاً: قداس كبير، أبواق صيد، استقبال في الصالة. كدت لا أعرف أمك، وكادت هي ألاّ تعرفني أيضاً، وحين سافرنا من بعد ذلك مارين بالساحل الهولندي، ففي غرفة الفندق وحيدين للمرة الأولى انفجرنا معاً في الضحك، وكان حاضراً آنذاك:

حبنا الذي أنقذنا. أحبّ كلّ منا الآخر. شفيفينغين والشاطئ والفندق والرصيف- كان هذا جميلاً، أحببنا بعضنا بعضاً. رجل من آل سكوجيراجي الاسبان تبرّع لنا ببيزاته وأحد آل كرايل الهولنديين تبرّع لنا بغولدناته. وهكذا استطاع أحدنا أن يحب الآخر واستطعنا أن نستمتع. فالنبالة يا ولدي هي النشيد الأممي الذي ما من شيء سواه حقيقي وصحيح. والنشيد الأممي الآخر الحقيقي هو النبالة المقتناة بالمال، وكثيراً ما يلتقيان معاً بما فيه الكفاية. وأميرهما الكبير هو الشفام- ويقشعر بدني حين أراه- كأني أمام كبير أعضاء محكمة التفتيش.

كارل فون كرايل: ونحن ننتمي إلى كلتيهما؟ إلى النبالة أصلاً والنبالة المشتراة بالمال؟

هاينريش فون كرايل: لا، طبعاً، بصفة نبلاء نحن قدامى، أما بصفة أغنياء فنحن حديثو ثراء ونعمة، ولا ننتمي إلى كبار الأغنياء. نبالة قديمة، ولكن حداثة نعمة. عقارات، يا كارل، وأنت تعرف هذا- حميا البناء، الخوف من البناء، وجنون البناء. الأرض الزراعية والأرض - تحولت إلى عقارات، والمال نزل من السماء.

كارل فون كرايل: ألن تذهب إلى القداس الكبير، ياأبي، هل أطلب لك سيارة أجرة؟

هاينريش فون كرايل (ينظر إلى ساعته): تأخر الوقت، وأريد أن أناقش معك أمراً ما.

كارل فون كرايل (يتوجه إلى النافذة ويتطلع إلى الخارج): اريكا لم تذهب أيضاً إلى هناك، فهي تجلس بمعطفها الصباحي على شرفتها، لا أستطيع أن أرى كاتارينا، لابدّ أنها في المطبخ.

هاينريش فون كرايل: إذا غابت اريكا فوبلر، فقد يكون هناك غضب- لن يفتقدوني. أنت تعرف أنّ بلوكانسكي ينبغي أن يسقط ويصبح بلاوكريمر خليفته؟

كارل فون كرايل: بلاوكريمر، يا أبي؟ بلاوكريمر؟

هاينريش فون كرايل: أجل، هذا غير معقول- وليس لي إلا أن آمل بأن يجاوز شوندت حدّه هذه المرة. كان من الصعب منع بلوكانسكي- مسألة قديمة من زمن الحرب تم اكتشافها الآن. لا، ليس الشيء الذي يمكن أن يظنه المرء- لا، المسألة كانت مسألة نقود. كان ضابط مشرف على النقل وغير بضع تحويلات، حرفياً، لا رمزياً، ليلاً وبيده، لا لكي يساعد رجال المقاومة، بل بدافع شهوة الكسب، إذ إنّ قطارات إمداد بأسلحة ومواد غذائية اختفت على قضبان جانبية بعيداً في عتمة الليالي البولونية. ضباط بولونيون، أقرباء لنصف أوروبا، نبلاء، يا ولدي، نبلاء- دفعوا على حسابات اسبانية عن طريق مصارف اسكوتلندية. ناس شرفاء. والنبالة البولونية أيضاً لها أقرباء في البلدان الأوربية كلها- هذه هي الميزة حين يكون أسلافك جنرالات وعقداء أو نقباء أيضاً في جيوش أجنبية. إنهم يظفرون في بلدان أجنبية بنساء أجنبيات أيضاً أو بأزواج لأخواتهم. وبهذه الطريقة فأنت قريب لآل هيريديا في أسبانيا وآل ميككالين في اسكوتلندا عن طريق آل كرايل وآل سكوجيراجي، وإذا احتجت ذات يوم إلى ملجأ، فلا تذهب إلى كوبا، بل إلى اسكوتلندا وأسبانيا أو إيطاليا حيث تجمعنا القرابة بآل فانسيتي.

كارل فون كرايل: لم يسبق لك أن تكلمت معي بهذه الطريقة ياأبي. كيف تحملت هذا؟ الوجوه التي دفعت بأمي إلى نهر الراين.

هاينريش فون كرايل: وكيف احتملت أنت بروكسل حيث لم تستطع أن تصنع أي شيء من لاشيء؟ وأنا لم يكن لي حتى زوجة ولم أستطع أن أتزوج ولم يعد لي زوجة منذ أن نزلت مارتا في الراين. وما زال هذا في دمي، مازال- وقد أنجبتك. (يتنهد). بدأت أفهم لماذا يفك شخص لا أريد أن أذكر اسمه ولا أن أعرفه، معزفاً كبيراً ولا يخلف إلاّ القليل من الرماد الفضي. وحين عدت من الحرب إلى البيت أرادني ارفتلر-بلوم على أيّ وجه كان. كان يمكن أن أصبح عنده وزيراً على الفور: النبلاء الكاثوليكيون من شمال الراين وغير نازيين- كان هذا مثالياً. ثم وصل مع أصحابه النازيين القدامى المطهرين، لم أطقه قط. ولم يكن هناك ارفتلر-بلوم وحده ولا النازيون القدامى وحدهم.

كارل فون كرايل: سيكون هناك إذاً مرة أخرى هتك أستار عالمي. هذه المرة بلوكانسكي.

هاينريش فون كرايل: هذه المرة هتك أستار عالمي. وقد كشف عن ذلك مؤرخ بولوني- وبالمناسبة على غير رغبة من حكومته. في عشر سنوات أو عشرين سنة سيحكي رجال المقاومة الفييتنامية عن الدبابات والسلاح والطائرات التي اشتروها من الجيش الامريكي. هلأصببت لي قهوة. في خمسين سنة وحين يفوت الوقت يقومون بهتك أستار شوندت. (كارل فون كرايل يصب له قهوة في كوب من ابريق حراري ويدفع إليه بالحليب والسكر. وفي هذه اللحظة يسقط شيء على سطح مقطورة النوم، ومن ثمّ صوت، صوتان عميقان).

هاينريش فون كرايل (منفعل ومتخوف): ما هذا؟

كارل فون كرايل: لا انفعال ياأبي، إنهما اثنتان من اجاصاتك أو تفاحاتك، أو ربما أجاصة وتفاحة أيضاً. لم أتعلم بعد أن أميزهما عن بعضهما من صوت السقوط. سيقبل الخريف، يا أبي، موسم الحصاد. تارة تسقط في الليل- ويطيب لي هذا، ويكون لها وقع هادىء مريح أليف نوعاً ما.

هاينريش فون كرايل: ألا تريد الانتقال إلى البيت؟ وهل رزقك موفور أيضاً؟

كارل فون كرايل: سيكون موفوراً. غداً سيحضر لي شيندهويل فطوري، شريحة من الخبز المقمّر، بيضاً، قهوة ساخنة ومربّى، وحوالي الحادية العشرة يأتيني ابريق آخر من القهوة، وفي الغداء آكل عند كاتارينا، وحين ينبغي لها أن تعمل في المساء أبقى مع الصبي وألعب معه ،أحكي له شيئاً ما إلى أن يغفو. ومنذ أن صار عندي هاتف لم أعد أفتقر إلى أي شيء. لا، لا رغبة بي إلى العودة إلى البيت. إننا نبحث عن سكن، وحين نجد شقة ننتقل إليها معاً انتقالاً نهائياً، وذلك بسبب الصبي.

هاينريش فون كرايل: وممّ تعيش؟ ليس لك أية إيرادات. الفطور والسيارة هنا، لا يمكن أن يكون هذا كافياً، وكاتارينا لا يمكن أن تكسب من المال الكثير الكثير.

كارل فون كرايل: ما زال عندي أصدقاء في الوظيفة، والذين يحبونني هم أكثر بكثير من الذين يحبون بلاوكريمر- وليس هؤلاء بكثر ولا أحد يطيقهم. وفي وسعي أن أسمي لك عشرات يحبونني، وكانوا قد صدموا، إلاّ أنهم لم ينقموا قط. بعضهم عدّ المسألة نوعاً خاصاً من

تنفجية النبلاء التي ما كانوا ليتوقعوها عندي. وفي أثناء ذلك اتضح لهم أنّ المسألة كانت جدية، ولو أنهم لا يدركون أيضاً حقيقة الدوافع. وعلى أية حال يعرف الناس أيضاً في مجلس العمال أنها لم تكن تنفجية، اللهم إلا أن يكون هذا نوعاً غريباً من الجنون. وكونراد فلوه لم يخطر ببال أحد، مع أنهم عرفوا أنه كان صديقي منذ زمن طويل- وأنه يلازمني مثلما يلازمك أنت أيضاً.

هاينريش فون كرايل: وتكسب أنت مالاً- عن طريق الوظيفة؟ مهمات من الوظيفة؟

كارل فون كرايل: مهمات غريبة وسرية من هؤلاء الموجودين هناك فوق. (يشير إلى زوايا مختلفة حيث يمكن أن يكون أجهزة تنصّت). خذ هذه. (يتناول ظرف رسالة بنياً سميكاً من الرف). انظر إليه ولا تقل شيئاً، قبل أن أكون أجريت مخابرة هاتفية. وفي النهاية كنت دائماً مخلصاً للقانون، نزيهاً ودقيقاً، حتى في ريو، إذ إنّ الأحكام تنصّ: في حالات استثنائية يجوز مساعدة مواطنين أجانب. (في أثناء ذلك فتح هاينريش كرايل الظرف وأخرج منه نجمة مرسيدس، ينظر في اندهاش إلى كارل كرايل الذي يغطي فمه بيده في رقة قائلاً): تريّث قبل أن تتكلم. (كارل كرايل يدير القرص طالباً رقم هاتف ويرد على الهاتف بعد انتظار قصير). هنا كارل، اسمع، أنا في موقف محيّر: فأبي يريد أن يعرف كيف أكسب مالي- لا، تكتّمه، أستطيع أن أضمن ذلك- حتى ولا كاتارينا حكيت لها هذا- أنت تعرف، ما من أحد سيصدّق على أية حال- وليست لديّ براهين أيضاً- صحيح، إذاً- شكراً. (يضع السماعة مخاطباً هاينريش): إنني أسرق نجمات مرسيدس. وهذه النجمة هنا

ستكون الأخيرة لفترة من الزمن، يجب عليّ أن أكبح جماح نفسي بعض الوقت. وكان صعباً بصورة خاصة الوصول إلى هذه. إنها من سيارة شخص يدعى د. فيرلي، مصرفي كبير في سويسرا. واشترط أنا أن يبقى تقليد الأسرة الذي هو الكتمان مصوناً أيضاً في هذه الحال.

هاينريش فون كرايل (يمسك نجمة المرسيدس بيده هازاً الرأس): أنت لا تخدعني هنا بأي شيء؟ أتقوم بهذا من أجل الوظيفة؟

كارل فون كرايل (بطريقة موضوعية): منذ بضع سنوات. فأنا أتلقى على كل نجمة في داخل البلاد ٥٠٠ مارك زائد المصاريف، وفي الخارج ١٥٠٠ مارك زائد المصاريف لأنه يجب عليّ أن أعمل في الخارج على مسؤوليتي الخاصة، أما هنا فقد أكون مغطّى إذا اقتضى الأمر. في الخارج لا يستطيعون مساعدتي إلا بصعوبة في حال ألقي القبض عليّ. لا بل يجب أن أقدّم إيصالاً بالمكافأة والمصاريف، بصورة دقيقة، كل شيء بدقة.

هاينريش فون كرايل (ما زال متحيراً وشاكاً أيضاً): ربما اختبار للشجاعة؟

كارل فون كرايل: لا، إذا ما عرفت الخلفيات، فإنه لمنطقي تماماً مثل أشياء غريبة جداً في ظاهرها وغير معقولة. والظاهر أنهم اصطادوا روسياً يشتهي هذه الأشياء اشتهاء مرضيّاً. لا يريد مالاً ولا نساء ولا غلماناً، بل نجمات مرسيدس. إنما يجب أن تكون ملكاً لشخصيات كبيرة المقام. ويظهر أنه يهمس لهم بشيء ما مقابل ذلك.

هاينريش فون كرايل: لكن يمكن الحصول على النجمات على نحو أسهل مما هو هكذا؟

كارل فون كرايل: لقد عرضوا له علب كارتون مليئة بالنجمات الجديدة كل الجدة، إلا أنه يريد الحصول على نجمات مسروقة، تمت سرقتها بشكل مضمون، وهذا يعني: هو يتصل أو هم يتصلون هاتفياً ويتظاهرون بأنهم رجال شرطة، مثلاً عند د. فيرلي هذا، فمنذ متى يفتقد هو نجمته وهل يفتقدها. وسرعان ما ينتبه المبهوت لأنه يفتقد فجأة عند إلقاء نظرة على المبردّ شعرة التعامد هذه. وتم توكيد فيرلي، وغداً أستطيع أن أقبض. (يأخذ النجمة من هاينريش ويعيدها إلى الظرف): هذه النجمة هنا ستكلفهم الكثير نوعاً ما: كان عليّ أن ألبس لباساً جديداً وألازم أياماً فندقاً سويسرياً غالياً حيث حرست السيارات حراسة مشددة ولم أستطع القيام بأي شيء إلى أن انسحب أخيراً هذا الرجل الطيب مع عشيقته إلى مكان صغير، إلى فندق صغير، حيث وضع سيارته في سقيفة. وبينما كان يستمتع بلحم هذه المرأة اللطيفة، وربما أيضاً بروحها، جلبت أنا هذا الشيء. كان سهلاً جداً. في زيوريخ كان خطراً كبيراً عليّ، ففي إمكان الشرطة السويسرية أن تكون مزعجة جداً. حتى الصحف عادت مخيفة: " غراف ألماني مريب بصفة قاطع طريق سيارات". ما كان هذا سيشرّف اسمنا. وهذا الروسي يجب أن يحصل على دزينتين من النجمات، يظهر أنه مريض بصدمة نفسية قاسية من الرأسمالية. وأنا سجلت كل شيء تسجيلاً دقيقاً، مسكت الدفاتر. (يضحك). الشيء الذي بدا أشدّ صعوبة كان أشدّ سهولة: نجمة هويلبوك. وصفاء المزاج الرايني هذا، سرعان ما يتعكر ويصل إلى حد البرم والضجر- ومما يؤسف له أنّ كاتارينا كتومة إلى حد كبير، وإلا كنت عرفت المزيد عن ذلك- كان مدعواً من قبل صديقي فالتر ميسود، وأنا أيضاً. وأنت تعلم أنّ

ميسود يحميني ويذود عني. إذاً هناك أمام الباب كانت تقف سيارة هويلبوك والسائق فيها. ومثلت دور السكران وألقيت بنفسي على المبرّد وصار الشيء في جيبي بينما سارع سائق السيارة إلى مساعدتي. وبالمناسبة ليست المسألة بمثل هذه السهولة أن تنتزع هذه الأشياء من مكان تثبيتها- عليك أن تضرب بالقبضة على ذلك بعنف إلى حدّ ما، ومن ثمّ تدوّر. وأنا أستعمل القفازات دائماً. وقد تدرّبت على سيارات مرسيدس قديمة في مقبرة السيارات عند تاجر سيارات مستعملة. بموافقته طبعاً، ولقاء تعويض المصاريف ولقاء أجر بسيط على الصنيع.

هاينريش فون كرايل: أتقول إنك تدربت- تدربت؟

كارل فون كرايل (بهدوء): طبعاً، يجب أن يتعلم المرء حرفته ويتقنها- ويتم الدفع أيضاً كما ينبغي- وأريد أن أقوم لقاء ذلك بعمل دقيق. وتلك هي مهنتي في الوقت الحاضر. فما أقوم به أقوم به بعناية وإن لم يكن دائماً على الوجه الصحيح. كاتارينا لا تعرف أي شيء عن ذلك. وبالمناسبة يرسلون من الدائرة نجمة جديدة لكل من تمت سرقته. كل شيء على نحو مضبوط.

هاينريش فون كرايل: من المؤكد أنّ هويلبوك كان سيعطي نجمته طوعاً واختياراً التماسا لمزيد من التكريم الأبوي ad majorem patriae gloriam.

كارل فون كرايل: لا فائدة. والروسي يصر على سرقتها. بالمناسبة تكاد لا تكون هناك مصاريف عند هويلبوك. اللهم إلا سيارة أجرة ذهاباً وإياباً، والمسافة إلى عند ميسود ليست ببعيدة. وفي هذا أيضاً أنا دقيق. فأنا قانوني ولي عقلية قانونية.

هاينريش فون كرايل (مشيراً إلى زوايا تنصّت ممكنة): أنت تجعل هذا من ضمن مهمتهم؟

كارل فون كرايل: يراقبونني ويدفعون لي في آن واحد. وأعيش بذلك عيشة راضية. وأقل شيء بالمناسبة هو وزير. ولا عيش للروسي بذلك.

هاينريش فون كرايل: سيكون عليك في هذه الحال أن تسرق نجمة بلاوكريمر في أقرب وقت.

كارل فون كرايل: يجب أن أمسك نفسي فترة من الزمن. فهم يطلبون دائماً ضماناً قانونياً والإيصال. أنت تعرف أنهم يؤمّنون على أنفسهم تأميناً مضاعفاً.

هاينريش فون كرايل: وكيف أمّنت أنت على نفسك؟

كارل فون كرايل: بإيصال. لا بل إني أدفع ضريبة على المال.

هاينريش فون كرايل: لكن الإيصال معهم، لا معك- ألديك شيء كتابي منهم؟ الظاهر لا. وأنت تعرّف نفسك بأنك القانوني اللامع! لديهم عشرات الإثباتات ضدك وليس لديك إثبات واحد ضدهم- عشرات الاعترافات بسرقات! إذا وقعت الواقعة من سيصدقك بأنك عملت بأمرهم؟ وبهذا يمكنهم أن يكيدوا لك. فالقصة كلها غاية في الغموض حيث لا يصدقها أحد: روسي يجمع نجمات مرسيدس!

كارل فون كرايل: الظاهر أنّه يطمع في هذا الرمز، رمز المهارة الألمانية والرأسمالية.

هاينريش فون كرايل: ربما كان الأمر هكذا، ولكن هل يمكنك أن تثبت بأنك موجود ؟

كارل فون كرايل: ليس في وسعي إثبات أي شيء.

هاينريش فون كرايل: هل أنت واثق ممن عهد إليك بالمأمورية؟

كارل فون كرايل: إنه صديق قديم لي.

هاينريش فون كرايل: في مركز عال؟

كارل فون كرايل: إلى حد ما. على أية حال في منصب كبير. ولن يخدعني.

هاينريش فون كرايل: لكن ربما كان هناك آخرون يريدون أن يخدعوه ويكيدوا له.

كارل فون كرايل: الحق أنني لا أستطيع أن أذكر لك الاسم. فهو ليس واحداً فحسب، وإياي أن أفعل. لا بل إني راقبت نفسي ذات مرة متنكراً باسمه- بمصاريف كثيرة. إنه تخيّل لكي أمنح نفسي شيئاً ما.

هاينريش فون كرايل (ينظر إليه غير مصدّق): أجل، كتبت بشكل دقيق من زارني ومن اتصلت به هاتفياً وإلى أين سافرت وبأية سيارة أجرة أو على أية دراجة عادية. بشكل دقيق ومضبوط.

هاينريش فون كرايل: إنه ليس هيرمان فوبلر؟

كارل فون كرايل: لا. فأنا أترجم له أحياناً ترجمات يأتيني منها أجر جيد. وقد وظف كاتارينا مع أن هؤلاء (يشير من جديد إلى فوق) عارضوا ذلك. وما زال مغرماً بإيفا أكثر وأكثر، إلا أنه لن ينالها. وكثيراً ما التقيتها في حفلات. زرها أيضاً ذات مرة.

هاينريش فون كرايل: حين يكون غرويش عندها؟

كارل فون كرايل: طبعاً. فأنا أطيق غرويش- ولا يثق بي تمام الثقة، إلا أنني أطيقه. نزيه وبصير وتهكمي، لكنه ليس مرتشياً. النبالة

الجديدة، ياأبي، بروليتارية- مثل كاتارينا. النبالة الجديدة تعني القاضي والنحّات والخياط- أو غروبش- وبعض هؤلاء هم الآن نزلاء السجون. (ينظر إليه هاينريش فون كرايل مدهوشاً). أجل، لم لا؟ فالنبلاء أيضاً كانوا دائماً نزلاء السجون- لأسباب سياسية. وغروبش أحد هؤلاء الذين يحولون بيني وبين نزولي إلى نهر الراين وانتحاري غرقاً فيه.

هاينريش فون كرايل: أخاف حين يتضح لي أنني بدأت أفهم تحطيم البيانوهات الكبيرة وتقطيعها ...

كارل فون كرايل: سينتهي هذا إلى حين. والأرجح أنّ معزف كرينغل سيتم تأمينه على نحو سيحدث فيه الغبار الفضي من أجنحة الملائكة إنذاراً. ومن المحتمل أن يكون هناك عما قريب تأمين على بيانوهات المصرفيين. (بصوت أكثر خفوتاً). إن في هذا يا أبي شيئاً محزناً جداً، شيئاً يكاد أن يكون مأساوياً قد يؤثر فيّ أو يحرك مشاعري: وهو أنهم يحبون الفنّ، حقاً إنهم يقدسونه. فابنة كابسبيتر التي ربما كنت سأحبها، حصلت على بيانو جديد مؤمّن عليه، لعله بيانو يقال إنّ فاغنر عزف عليه بطريقة مرتجلة وغير بارعة. إلا أن سحراً غريباً يحلّ عليهم، وذلك الذي يفكك البيانوهات، ذلك الملاك يود، كما أظن، أن يفك السحر. لكنهم لا يغضبون إلا من فقدان الثروة الذي لا يصبح موضوعاً للحديث...إنه ليسرني أن تحصل آديلهايت كابسبيتر على البيانو الجديد. وكان سيطيب لي أن أعرف ماذا كان المرء سيتمنى لشوندت.

هاينريش فون كرايل: أتمنى له الموت. فهو يفسد علينا الجمهورية.

كارل فون كرايل وقد حلّ عليه سحر أيضاً- ولست أدري أي نوع هو، فالمرة تلو المرة يجب عليه ويجب ...

هاينريش فون كرايل: كان في ودي أن أفك هذا السحر يا كارل. لم أعد أفهم هيرمان فوبلر.

كارل فون كرايل: إن في فوبلر خصلة رهيبة مخيفة: إنه وفيّ. بالمناسبة كاتارينا واريكا فوبلر أيضاً. فوبلر وفي لشوندت، بل إنّ شوندت وفي لفوبلر- أجل، أجل، وإذا كان واحد مثل فوبلر مخلصاً للدولة، عندها ينشأ شيء أشبه بما سماه المرء فيما مضى الملكية المقدسة. فلا يجوز أن ينشأ ضرر لا للدولة ولا لها- فهي فوق القانون. وأنت تعرف هذا. لا علم لي بما يعرفه بينغرلي وأية إثباتات لديه، ولكن إذا كان يهدد الدولة فأكثر الناس نزاهة وأكثرهم مخالفة للنزاهة سيكونون ضده، النظفاء الأطهار مع الفاسدين المرتشين، هويلبوك وفوبلر، النظفاء كلهم واللامرتشون المنزهون عن الرشوة الذين يمكنك أن تعدهم، سيكونون إلى جانب شوندت لأنّ الدولة تكون مهددة به. والمؤمنون وغير المؤمنين، المخلصون للدولة والمافيا والكنيسة- كلم سيؤازرونه. ولهذا لن تتضح أبداً فضائح في هذه البلاد على نحو دقيق. وهو غارق فيها، الاله المعبود، الذي يجب أن تقدم له الأضاحي وقدمت له الأضاحي. ولأنّ الاله المعبود قابع هنا، في الأعماق، ستكون نهاية الكثيرين من النظفاء الأطهار في مستشفى الأمراض العقلية، يكتبون رسائل ممرورة فيها تبرم ومرارة ويطلقون نداءات ويكتبون مناشير مشحونة بالإهانات إنما لن يعاقبوا أبداً. ويصبحون تافهين ويتحولون إلى مبلّغين وشاة، ويتشممون فساداً أيضاً حيث لا يكون هناك أي فساد. هناك المئات من هؤلاء النظفاء الأطهار، وربما آلاف حسبهم أن يتشمموا، فهؤلاء يتكورون ويصبحون خبثاء، أغبياء لا يطاقون- ولا أريد أن أنتهي، يا أبي، هذه

النهاية. وفوبلر أيضاً لن ينتهي مثل هذه النهاية. ليس هناك إلا صراع محتمل له: حين يتعارض وفاؤه لاريكا مع وفائه لشوندت. فأنا أعرفهما كليهما، يا أبي، نحن أصدقاء منذ زمن طويل . فلاداعي لأن تعمل حساباً لشوندت، ولا لأفكار تتعلق بالاغتيال أيضاً. فلا أنت ستقتله أو ستتمكن من قتله- ولا بينغرلي يمكن أن يشكل خطراً عليه- فوبلر فقط. (يتناول المنظار وينظر إلى الجهة الاخرى). بالفعل بقيت في البيت- قد يكون هذا خطيراً. ألا تريد أن تذهب إلى هناك، يا أبي، إلى القداس الكبير؟

هاينريش فون كرايل: سأنسلّ في أثناء الوعظ إلى الداخل- لكن قل لي هل تعتقد حقاً أنه كان يمكن إنقاذه؟

كارل فون كرايل: إنهم يحتاجون إلى ضحية- ويجب ألا يكون ضحيتهم، بل ضحية لهم.

هاينريش فون كرايل (يهم في الانصراف): حين يتم تكليفك بأن تسرق نجمتي، فأعلمني- نستطيع أن نحل المسألة سلمياً، من غير عنف.

كارل فون كرايل(يعانقه): لا تغضب ولا تحزن حين أقول لك- أظن أنك لن تدخل مرة أخرى في فئة يمكن أن تجعل نجمتك مطموعاً فيها.

هاينريش فون كرايل: من يدري، من يدري. (يغادر مبتسماً).

الفصل الرابع

(متنزّه على نهر الراين بين بون وبادغوديسبيرغ في ضباب كثيف. في الخلفية سور ضخم عال وبوابة حديدية. على بعد نحو ثلاثة أمتار قبل السور مقعد خشبي على ضفة الراين. امرأة مسنة معها كلب مسنّ تأتي من الجهة اليسرى وتؤنب الكلب بصوت خافت: " أنت أيها الخبيث" وتختفي في ثغرة سور تخرج منها إيفا.

ايفا تلبس لباساً أبيض وتحمل حقيبة يد بيضاء وترتدي معطفاً أبيض من نسيج صوفي غليظ الزئبر له قلنسوة، وتتجه صوب المقعد وتستند إلى ظهر المقعد.)

ايفا بلينت: أهلاً بالضباب، إنه يخفف خوفي ويخفف ضوء الفوانيس الفرجونية والأشكال التكعيبية لمنازل الجيران المؤلفة من طابق واحد ويخفف الضجيج، وهو من الكثافة ما يكفي لأن يعطل تقريباً حركة مرور السيارات. ببطء وفي وجل يأتي أحياناً إلى الناصية شخص ما من الجادة، وحين نادى ارنست من ورائي من الباب:" انتبهي ولا تحكوا له الكثير الكثير"، رنّ كأنما تم النطق به من فوق سطح ماء عريض. (تشير إلى نهر الراين). لاشيء مسموع من هناك، لا محركات سفن، ولا هدير مدوّ لسفن تدفع زوارق حمولة، حتى ولا إشارات ضباب- هادىء، وأكثر

هدوءاً من الهدوء العادي في أهدأ ساعة من ساعات النهار: فترة البث اليومي، فترة النشرة الإخبارية، الزمن الذي أغادر فيه البيت كل مساء، وقد سئمت من الإعلام، حين يفتح ارنست الجهاز ويترك صوت دعايات يلعلع لمدة دقيقة واحدة قبل أن تطنّ اشارات الاشياء المهمة : الحرية والكساد، الحماية الجانبية من أجل الناتو، البشاشة، الأعمال العدائية لموسكو طبعاً، مساعدات، بطنات ساق لاعبي الرياضةو أعراس أمراء. ومن ثمّ وفي النهاية الشيء الدقيق، الشيء السخيف، الثقافة، أو كنهاية شعرية مصرفيّ مهموم جداً يبدو قلقاً على بيضة فطور. اللّهم إلا أمراً واحداً لم يعلنوا عنه: وهو أننا كلنا أموات فانون ومفطورون على شيء أسمى.

وها هم المصرفيون كلهم يخافون على بيانوهاتهم النفيسة منذ أن فكك لهم شخص مجهول، شخص ما زال مجهولاً، آلاتهم الموسيقية ليلاً وكومّها بدقة وعناية أمام المداخن. ومنذ عهد قريب يضع لهم، كما سمعت، أعواد ثقاب بجانب ذلك مباشرة وقداحات من البارافين ويدعوهم إلى نار هادئة أشعلها بيده. والآن وأنا أعرف كيف تكون رائحة البيانوهات المحترقة- أعرف كيف يكون وقع الشيء حين يحطم شخص ما البيانوهات: في عزم لا يلين وعناد وبشكل منتظم.- كنت متزوجة به، ما زلت، ولاأزال، إذ لا شيء يمكن أن يفرّق بيننا إلا الموت.خفت حين قام هو بذلك وهربت منه، وألتقيه بين الحين والآخر حين يأتي إلى هذا الجانب بالمعبر ويجلس هنا على المقعد ويحكي لي عن التي يعاشرها الآن والتي أنجب منها طفلاً. وأنا أحكي له عمن أعاشره الآن ولا يريد أن ينجب أطفالاً: كانت له طفولة تعيسة وأنا لم تكن لي هذه الطفولة. أنا

أحبهما كليهما، الأول والثاني، والآن رجلاً ثالثاً. ولو أنّ الذي تكلم هنا مع زوجات خائنات جلس هنا على المقعد وسألني: كم رجلاً كان لي في حياتي لكان علي أن أجيب: رجلان. وأتمنى لو أنه جلس هنا واستطاع أن يقول لي ما ينبغي القيام به. وذلك الذي لا يريد أطفالاً سياسي وجاد، يأخذ الأمور مأخذ الجد، وهذا شيء جميل، ولو أني لا آخذها أنا مأخذ الجد. ربما السياسيون الذين كانت لهم طفولة بائسة هم وحدهم يأخذون الأمور مأخذ الجد، و هي في نظر الآخرين لعب، مهنة وعمل.

وبما أنني كنت مفطورة على الجد لم تكن لدي أية صعوبة اتصال، إلا عند العشاء- فهو يريد أن يأكل في أثناء فترة نشرة الاخبار، وقته ضيق، وعليه الذهاب إلى الاجتماعات واللجان وعليه أن يلقي خطباً ويكتب خطباً لنفسه ولبلوكانسكي. أما أنا: فشهيتي تأتي في السابعة، وهذا الوقت مبكّر في نظره، وشهيتي تنفتح في المساء على الحساء- وشورباتي مشهورة. أما هو فلا يستطيع أن يتناول حساء أمام التلفاز، في هذه الحال تكتسي النظارات بالبخار، وإنّ حساءً لا يتصاعد منه البخار ليس بحساء. ولهذا فأنا أتناول حسائي نحو السابعة والنصف وأعدّ له قبيل الثامنة شطائر وسلطة. هذا هو التعقيد الوحيد في حياتي. وحتى لو ذهبنا إلى الحفلات فعليّ أن أتناول قبل ذلك حسائي، ففي الحفلات لن أشبع، مع أنّ هناك في أغلب الأحيان ما يكفي من الطعام. حسن إذاً : عليّ أن أتناول حسائي بين السابعة والثامنة إن كان عليه أن يرى الأخبار على كل حال. وعلى هذا يجلس هناك وحيداً ويستطلع الأخبار، وبما أنه سيكون اثر ذلك نقاشٌ سياسيٌ لا أريد أنا أيضاً أن أراه فإنه يقبع هنا حتى التاسعة والنصف- وعندي من الفراغ ساعة ونصف.

لا يريد أن يفهم أنّ هذه المناقشات تافهة، زبد حفلة تدشين كنسية، اليوم نقاش حول الشبيبة التي يقول عنها غروبين توكلر وكوملاخ إنها فقدت الحس بالقيم، على حين يقول براتهوبر وأنسبوخر إنّ الشبيبة اكتشفت القيم الحقيقية. وهذا التكرار الرتيب المتكبر لرئيس الجلسة- في الحالة العادية هوسبر-، وإذا ما علّق شخص ما على الموضوع قوطع، و مع ذلك إذا ما قال كلمته فسيعاب عليه أنه خرج عن حدوده وأساء التصرف. أظنّ إذاً أنّ لهم دوراً ولا يجوز لهم أن يخرجوا عنه. (تشعل سيجارة). في ضوء مسائي عادي أو إضاءة مسائية عادية قد لا أجرؤ على الشيء الذي يحق لي أن أسمح به لنفسي في الضباب: أن أدخن سيجارة. في هذه البلاد ما زالت النساء اللواتي يدخنّ في الشارع يعتبرن نصف عاهرات، أنا لست بواحدة، في الحقيقة لست بواحدة، حتى لو أني كنت زوجة خائنة وأنّ لي هنا موعداً مع واحد سياسي، وفي وسع المرء أن يقول: سياسي يجلني ويعبدني. لكن ارنست يعرف أنني أقابله. (تجلس على المقعد). والآن قد ذهب عني ما هو عهر : إنه لمسموح لامرأة ألمانية أن تدخن وهي جالسة على مقعد، إلا في المشي والوقوف فالناس لا يحبذون رؤية هذا. لا ضوء على سطح الماء، لا ضوء على الضفة الأخرى من الجانب الآخر، ضباب منسدل من هناك على الجانب الآخر حيث يسكن عزيزي كارل مع أبيه العزيز؛ لا فوانيس سفن حمراء ولا خضراء، منع سير. ربما كان من الممكن العثور هنا في مكان ما على كنز النيبلونغين[1] وقد اتغسل هابطاً نهر الراين، تيجان مشوهة، والقليل من الذهب غسله ماء الراين والحصى منذ زمن، وتسببت الحصيات المتدحرجة بتورمات على السطوح الملساء، واستطالت إلى شيء مثل نيشان

كرنفال، حتى إنه لم يعد في الإمكان تزويقها لورق زينة مفضض لبطل الرماية. آه، يا كريمهيلد وبرونهيلد[٢]، أساوركما حطمتها الحجارة المتدحرجة إلى دونغات، وقد غطتها طحالب النهر بالشعر، وربما جاورت شعاراً نازياً رماه مواطن مذعور في عجلة حين دخلت الدبابات الامريكية. ترى ما الذي يمتزج في النخامة الخضراء: رؤوس موتى وسيوف مهدبة بأهداب حمراء وبيضاء وسوداء، وشرف مطروح في لحظات رعب التاريخ حين بحث زنوج يبتسمون ابتسامة الشماتة من نازيين ألمان أوغاد. أفّ، أنتم يا إخوة الناتو السود الذين يوجد منكم الكفاية، في مثل هذه الأحوال كان يمكن أن يحدثكم ارنست الكثير، لكنكم لم ترغبوا في الاستماع. فأنتم تتعقبون شيوعيين لاغير. وارنست الطبيب النشيط الاختصاصي في النازية يتعقب في الوقت الحاضر شخصاً اسمه بليتش الذي يحمل الآن اسم بلونيوس- وسموه فيما مضى السفاح. لكن لا أحد يصغي إليه. وهناك في الجانب الآخر سال دم تنانين أيضاً. أه، أيتها الأقزام السبعة وراء الجبال السبعة، أي شيء يمكنكم أن ترووه؟ لا أحد سينصت إليكم- لابل ربما عرفتم أين تمّ طمر ابن عمي لويس هناك في الجانب الآخرالذي يقال إنه دافع عن السكة الحديدية. لا أعرفه إلا من الصور شاباً متألقاً بخصلات شقراء وعينين سوداويين غائرتين- من ذا الذي يهمه هذا، اللهم إلا أبي وعمي- وكارل هناك على الجانب الآخر- الماء شديد البرودة، وعلى عمق كبير جداً، وربما لم يعد يعزّ أحدنا الآخر هذه المعزة. (تنظر إلى الضفة). لابد أنه يشاهد الآن الأخبار أيضاً، ولن يأتي إلا في الثامنة والربع. وها قد بلغت الساعة الثامنة وعشر دقائق- شريكي في موعد الغرام، سياسي، قصير، متغضن، له عينان جميلتان

ويدان جميلتان، ويقال إنّ له قدمين جميلتين، إلا أنني لم أرهما بعد. لم أعزف معه إلا عزفاً ثنائياً، وفي أثناء ذلك كان يلبس دائماً حذاءً، وداس على المداوس: عزف ثنائي، على المعزف الذي حطم وحرق- تكسر مثل حشرة سوداء ضخمة- وكانت له رائحة الورنيش. ما عدا العجلات التي احتفظ بها كارل ، ولماذا ؟ يدا طفل، عينا ضفدعة، يقف دائماً عند المشجب حين أغادر الحفلة، ألبيريش هذا يريد أن يساعدني في المعطف، إلا أن شخصاً آخر يسبقه دائماً: صاحبي الكوبي الصغير الذي وقعت في حبه. وطلبت من الذي وقع في حبي أن يزودني بمعلومات عمن وقعت في حبه. ترى هل في هذا قسوة؟ لم أكن قط قاسية، بل إني لأميل إلى الاعتقاد أنه يسره أن يقابلني وينفرد بي. كما أن هذا كان أيضاً قاسياً: لم يعد له مكان في نفسي. كارل وارنست متفقان في الحكم عليه: داهية مكار، لكنه ليس وغداً. إنّ الراين مغرٍ. فيه نزلت أم كارل، أجل نزلت. لم يعثروا عليها. تصورت دائماً أنها كانت تنتعل حذاءين رصاصيين وتجولت، وتابعت تجوالهاهابطة الراين صوب بحر الشمال. حماتي ليست امرأة جميلة، لكنها ضخمة، ممتلئة وشقراء- أمازونية حقيقية، ابنة الراين، لم يعثروا عليها. جذبها الراين أكثر مما جذبتها ألمانيا بعد الحرب، ألمانيا ارفتلر-بلوم. لا أحد من أسلافها إلا وكان جنرالاً أو عقيداً، معرض الأسلاف- على الصدر أوسمة، أشبه بكنز النيبيلونغن. بعضهم أغبياء، وبعضهم دهاة، لا بل ربما أوغاد. " المشي في الراين"- تعبير جميل- ربما أقوم أنا بهذا أيضاً ذات يوم، لا لأني سئمت الحياة، فأنا لم أملّها، إلا أنه لابدّ أن يكون جميلاً تحت، أن تتجول في الوحل الأخضر عبر التاريخ، فوق تربة البحر، حول الجزر البريطانية والخروج من

جديد في بريتانيا- وفي الأسماع دائماً شوبان، هذا اللحن الوحشي الممزق الذي خفت رنين صوته واضمحل، حين هوى كارل بالفأس على أصابع البيانو قبل أن يجتثها- وذابت الأوتار في النار وتحولت إلى كتل ضاربة إلى السواد. (تنظر إلى الضفة). الآن بدأ الحوار، الآن يجلس ومعه دفتر الملاحظات والقلم ويشارك في كتابة أقوال حاسمة، كما يسميها، ومن ثمّ يستطيع أن يقول في مناقشة تالية أو جلسة لاحقة: في الساعة الثامنة وتسع عشرة وبتاريخ كذا وكذا قلت ياسيد غروبين توكلر: على شبابنا أن يتعلم من جديد أن يضحي- وبتاريخ كذا وكذا وفي الساعة التاسعة وثلاث دقائق قلت ياسيد كروملاخ: إنّ استعداد عمالنا للبذل والتضحية لم يصل بعد إلى ذلك الحد الذي نحتاج إليه من أجل التثبيت والتوطيد. أجل، إنه دقيق، وهذا شيء جميل: فهو جاد وغير مرتشٍ، وتهكمه أسى- وهو لن ينزل أبداً إلى الراين، كارل أقرب إلى أن يفعل هذا.

(من البوابة الحديدية الصغيرة يدخل فوبلر من الخلف بخفة يجلس بهدوء إلى جانبها حيث إنها ترتعش).

ايفا بلينت (تلتفت إليه): آه، أنت- أنت تحافظ على موعدك، إلا أنه كان يمكن أن تسعل على الأقل.

هيرمان فوبلر: المعذرة- إنه خجلي. في وضح النهار، أو في إضاءة مسائية تامة ما كنت لأجرؤ أن أجلس إليك. بارك الله في الضباب. مع أننا نعرف بعضنا بعضاً وما كان لأحد منا أن يتوقع أي حرج. في مكان قريب هكذا (مشيراً إلى الخلف إلى البوابة الصغيرة)، في مكان قريب هكذا لم يسبق لي أن تواعدت. قبل أربعين سنة بادرت بالكلام امرأة

أول مـرة. فـي أثنا ء حلول الظلام، والظلمـة شـجعـتني- كنت آنذاك في العشرين.

ايفا بلينت: أكانت مومساً تلك التي بادرتها بالكلام؟

هيرمان فوبلر: لا، كانت بائعة في حانوت للأحذية.

ايفا بلينت: اريكا، زوجتك! المسكينة، قصتـها معروفة من كراسات المعركة الانتخابية. سيرة حياة واحدة ديمقراطيـة نموذجيـة- يجب أن يؤلم هذا. فأنا أحببتها دائماً. كيف حالها؟

هيرمان فوبلر: تريد الرحيل من هنا وتريد أن تبقى. والله.. غريب عجيب، كثيرون يريدون الرحيل. وهي أيضاً.

ايفا بلينت: أتردد مرة أخرى حين أفكر بإرنست. الأمر وقف أيضاً على ما يجب أن تعلمني به. ما اسمه؟

هيرمان فوبلر: عيسى بيريس ديليغاس، في الخامسة والثلاثين من العمر، طبعاً شيوعي. يتكلم، كما تعرفين، الألمانية جيداً، تعلمها في ألمانيا الديمقراطية ويعرف صاحبه بريخت وصاحبته أنّا سيغرز- وهو هنا في البعثة التجارية.

ايفا بلينت: هل هو متزوج؟

هيرمان فوبلر: يكاد يصعب تبيان ذلك. فـهم لا يصحبون زوجاتهم في معظم الأحوال، ولم نطّلع بعد على ملفاتهم الشخصيـة. أحذرك يا عزيزتي ايفا.

ايفا بلينت: هل هو مخبر؟

هيرمان فوبلر: أنت تعرفين، بمعنى من المعاني يكون الدبلوماسيون كلهم مـخبـرين، عليـهم أن يحـاولوا الوصـول إلى مـعلومـات ، وبقـدر

المستطاع بطريقة مباشرة ومشروعة. فإن فعلوا ذلك بطريقة ينعدم فيها الكتمان وعلى نحوغِبيّ وغير مشروع سماهم المرء جواسيس و أبعدهم . مؤكد أنه لن يسألك بشكل مباشر.

ايفا بلينت: لم أرقص معه إلا مرتين ، وكم يجيد الرقص ، يا إلهي- ويساعدني دائما في لبس المعطف قبل أن تحاول أنت هذا؛ يضع يديه على كتفي وينظر إلي. أي شيء يمكنني أن أحكيه له؟ فأنا لاأعرف من إرنست أي شيء عن السياسة . لم أعد أعرف أكثر مما هو في الصحيفة وأسمعه في الراديو.

هيرمان فويلر: كل خبر مرغوب فيه عند كارل حميك وعند غرويش، وقبل كل شيء عند بلوكانسكي الذي يعمل غرويش له ، بلوكانسكي شخص منتج جدا - و يعرف المرء أنه كان مرتشياً وكان يمكن ابتزازه...

ايفا بلينت: أجل ، أعرف هذا. النفط و الأسلحة و السجاد - راقصات هز البطون، إلا أنه لم يتعامل بعد مع هؤلاء الراقصات الرقص الشرقي، أو (بما أن هيرمان فويلر يصمت) -أو ربما- يساعدني في الوصول إليهن، فهن فنانات، بأن يلعب دور العميل ... لا تعلّق على ذلك .

هيرمان فويلر (يتنهد): لن أعلّق بأيّ شيء.

ايفا بلينت: لا يسمي الناس هذا تأكيداً ولا نفياً- بل إن هذا أقرب إلى أن يكون تثبيتاً.

هيرمان فويلر (بحدة): لا، بل إن هذا أقرب إلى أن يكون نفياً ، أيزعجك إذا ما جننت .

ايفا بلينت: أما زلت تدخن الغليون ؟

هيرمان فوبلر (يومئ بالايجاب، يتناول الغليون من جيبه و يحشوه ويشعله ثم يضع عود الثقاب المنطفئ أمام وجه ايفا): أجل في الصباح سجائر وفي المساء الغليون . شورباتك يا ايفا كانت افضل الشوربات . معزفك الكبير و الأحاديث معك ، كارل و اريكا- خسارة ألاّ نلتقي إلا في الحفلات: وهكذا فان عشق رجل مسن مهدد بأن يتحول إلى اشتهاء. لا بل إني سأتخلى عن الأخبار أو أني سأترك زجاجتي نظارتي تكتسيان بالبخار لو كان عليّ أن ألبس نظارة- وإن أحاديث مثل أحاديث هذا اليوم يمكن تسجيلها على فيديو ودراستها فيما بعد بهدوء .

ايفا بلينت: هل استرقت السمع ؟

هيرمان فوبلر: أجل، لا بل إني استغنيت عن الأخبار.

ايفا بلينت (بصوت خافت): الرجاء ألا تقول لي أي شيء عن ارنست غرويش ، ولا حاجة بنا لأن نتكلم عن كارل، و عيسى هذا الكوبي. عجيب أنه اخذ يبهت وصرت أخاف منذ أن بدأت أفهم كارل.

هيرمان فوبلر (بصوت خافت): فهمته أنا دائما - والفهم لا يعني كثيرا . حين عدت في الخامسة والعشرين بعد الحرب إلى البيت ، كان أحب شيء إلى نفسي لو أني أدمر المدن و الكنائس غير المدمرة كلها و أكثر من هذا أن أحطم المعازف الكبيرة . لا بل إني أفهم الذين يضرمون النار في السيارات . حاذري من أن تتكلمي في الاستقبالات عن بينغرلي وبلوكانسكي وبلاوكريمر - لا تتهامسي على زوجة بلاو كريمر الأولى . هل عرفتها ؟

ايفا بلينت: معرفة سطحية فقط ، لا أتذكر تماما . فأنا لا أعرف إلا الثانية ، أعرف هذه - وما أحكيه ليس بأكثر مما هو موجود في الجريدة.

هيرمان فوبلر: حين تتكلم زوجة سياسي عما هو موجود في الجريدة فهذا أكثر مما هو موجود في الجريدة، لإنها تتحول، إن صح التعبير، إلى مصدر، و كل واحد يظن أنها تعرف أكثر مما هو موجود في الصحف.

ايفا بلينت: هناك شيء ما له علاقة بملفات - وبينغرلي. الصحف تكتب : بقوة انفجار كبيرة.

هيرمان فوبلر: قوة القصم تعني قوة الانفجار والتفجّر- فالألغام ذات قوة تفجير مدمرة، و كذلك القذائف التي لم تنفجر _فإذا ما داس المرء عليها أو ضرب عليها بالمصادفة قد يطير في الهواء . وفي وسع الصحافة أن تكتب الكثير عن قوة التفجير، أما أنت، فأنت امرأة سياسي يجلس في لجان مهمة وهو أمين سر بلوكانسكي الخاص، وحين تتكلمين عن بينغرلي وبلوكانسكي فلربما ظنّ أحدهم أنك تعرفين أين موضع اللغم.

إيفا بلينت: لكن بينغرلي وبلوكانسكي هما همس الحفلات رقم واحد .

هيرمان فوبلر (ملحّاً): بالنسبة لك لا يجوز هذا أن يكون . أتعلمين إلى ما آلت إليه أمور بلاوكرير ؟

إيفا بلينت: يتهامس الناس: مصح الأمراض العقلية، لا تعرف رأسها من رجليها، اتلفت أعصابها- إني لأسمع هذا . و منذ وقت غيربعيد يظهر اسم جديد: بلونيوس ...

هيرمان فوبلر (يرتعش وبكثير من الجدية): ولا كلمة عن بلونيوس يا إيفا، ولا كلمة . هل تكلم غروبش معك عنه؟

ايفا بلينت: لا لكن قلت لي إنه لا يقول أي شيء وإنه يعرف الكثير.

هيرمان فوبلر: مشفى المجانين ليس التعبير الصحيح. اسمه قصر الضيافة كولبولّين.

ايفا بلينت: وسمعت أنه ليس هناك إلا النساء.

هيرمان فوبلر: أجل، يسمعن كثيراً ويرين كثيراً ويقرأن كثيراً، ويتصفحن مذكرات أزواجهن، وينصتن إلى مكالمات هاتفية. راقبي أنت كارل وغروبش أيضاً، حين يظهران في الحفلات - لا تتكلمي إلا عن الطقس والأشياء الأثرية والزي. أمس الأول تحدثت الكثير عن هوسترمان. ابتسمي وتحدثي عن الطقاقيق والسينما. و بالمناسبة فاللون الذي كنت تلبسينه عند كوسترمان لا يناسبك - الأحمر لون حساس - الأخضر يناسبك جيدا، وإلى جانب ذلك البلور الصخري ذو الشكل اللؤلئي.

ايفا بلينت: أعرف أني أشارف على الأربعين وأنت لم تتقدم في السن في سنوات ست.

هيرمان فوبلر: سنوات سبع- في الخامسة والعشرين بدوت كأني شارفت على الخمسين، والآن، في الثانية والستين كما في الخمسين. كثيراً ما جلست هناك فوق أنتظرك، وحين ظهرت هنا في الثامنة و تمنيت لنفسي قناعاً ، لا لكي استرق السمع إليك، ولكن لكي استطيع النظر إليك كثيراً دون أن تتعرفي علي. وأعرف أنّ كارل كان يأتي بين الحين

والآخر بالمعبر إلى هذه الناحية، ويجلس معك هنا على المقعد. فاللون الأخضر الفاتح يناسبك. وكذلك اللون الأزرق، واللون الأبيض يناسبك دائما وكل ما يميل إلى الرملي. أرجوك هل يمكننا أن نبقى معاً بعض الوقت- إلى أين يمكننا أن نذهب ؟

ايفا بلينت: بإمكانك أن تدعوني إلى كأس بيرة-عند كريشينز أوغوست في البوفيه- إنّ بي رغبة إلى أن أذهب إلى هناك كثيراً و أشرب كأس بيرة عند البوفية وأدخن سيجارة بهدوء وأفكر بشخص كان يكتب في الرمل . ومما يؤسف له أن الرجال الذين يعدون أنفسهم أنهم يجلّون على كل مقاومة لا ينقرضون، وحين تجلس هناك في البوفيه امرأة تشرب البيرة فإنهم يضعون اليد باحتمال يتراوح من أربع إلى ست على ساعد إحدى النساء، وهذا هو في نظري أفظع من ثرثرتهم عن نسائهم البلهاوات اللواتي لا يدركن شيئاً- النساء المظلومات اللواتي لا يفهمهن أحد، فظيعات بما فيه الكفاية و أفظع منهن الرجال المظلومون .

امرأة وحيدة على مقعد البار، في هذه الحال يجب أن يسارع هؤلاء الوحدانيون الذين تلاعبت بهم الأنسام إلى التدخل. "حضرتك اليوم وحيدة ؟" أو: :أنا وحيد أيضاً، والمفروض أن يلتم شمل اثنين وحيدين." أن تشرب كأس بيرة بهدوء- أمر مستحيل، هيا بنا إذاً إلى كريشينز أوغوست.

هيرمان فوبلر (ينهض): أنا أيضا أجلس أحيانا إلى البوفيه عند كريشينز أوغوست- وحدي.

ايفا بلينت (تنهض أيضاً): في وسعنا أن نتفق هناك على موعد- سيكون هذا شيئاً جميلاً.

هيرمان فوبلر (يمسك ذراعها): تعالي- هيا بنا.

ايفا بلينت: الرجاء ألا تخاطبني بالكاف، ولا تشدّ على ذراعي هكذا.

هيرمان فوبلر: لا أم أبداً؟

ايفا بلينت: الأحرى أبداً- ارنست وكارل وعيسى- لم أخدع بعد أي رجل.

هيرمان فوبلر (يبقى واقفاً مع ايفا عند السور): ولكن يقال عنك إنك امرأة مستهترة لعوب نوعاً ما. وهكذا هي حال بعض النسوة الحسناوات الجميلات- يعتبرن مستهترات- وقلما يصح هذا، فالأخريات هنّ في معظم الأحوال أفظع وأخطر.

ايفا بلينت : حضرتكم تتكلم عن خبرة.

هيرمان فوبلر: ليست خبرة شخصية، إنما معرفة مكتسبة بحكم المهنة. لي في بعض الأحيان علاقة بثلة من الدبلوماسيين ونسائهم. فهناك ما يكفي من الأمور المزعجة- لا- لست زير نساء، وهل أبدو هكذا؟ إلا أنه متنازعٌ فيّ وتم التنازع فيّ- وأنا مثل صاحبك ارنست أعير السياسة أهمية كبيرة وأدقق فيها جداً.

ايفا بلينت (تتلمس السور الرطب): بهذا العقار لن تظفر. لن يبيع.

هيرمان فوبلر: هل أنت متأكدة كل التأكد؟ فأنا أجري مفاوضات من أجل مشيخة يتحمس فيها المرء لرومانسية راينية ولطقسنا الغريب العجيب- حيث يحيّي المرء في ابتهاج سماء رمادية. الأزرق والأزرق السماوي أيضاً، أنت تعرفين أنه يمكن أن يوحي بالرتابة، أن يكون رتيباً. تمّ عرض ثلاثة، أربعة ملايين، ويمكن أن يصبح خمسة ملايين- وهذا العقار استحال في الواقع إلى وصمة عار.

ايفا بلينت: وصمة عار كلمة مناسبة، وستبقى وصمة عار، تمثال العار. كل يوم أمر بهذا السور المليء بالطحالب، إنه سهل التكسر، وفي بعض المواضع مخفيّ ومغطى جداً. الحديقة مهملة ومغطاة بالعشب تقريباً. من عشرات السنين سقطت بذور وثمار في العشب، وهاهو نامٍ تقريباً إلى حد رأس الشجرة، حفر ماء، برك صغيرة وهي أقرب إلى أن تكون مجالات حيوية لأنواع من الحيوانات والنباتات حقيقية- هنا أسمع في المساء نقيق الضفادع. وإلى زمن طويل بدا أنّ بوابة الحديقة كانت خضراء ذات مرة، كانت بلون الأخضر الغامق قبل خمسين سنة. ويطير حمام بري حين أمر، واللافتة " خطر الانهيار" لم تعد هناك حاجة إليها منذ زمن طويل، إذ إنّ المنزل انهار منذ زمن. وأحياناً كان يتسلل متسكعون من خلال العشب وكانوا يجدون مكاناً جافاً ضمّ سقفاً في القبو حافظ على متانته. وطبيعي أنّهم بحثوا هنا عن إرهابيين، وقلبوا العشب، وداسوا بأحذيتهم الطويلة على الأجاص المتعفن، والأنوار الكاشفة سلّطت على المشهد، وبدا كما لو أنهم كانوا يخرجون للسينما شيئاً كتبه بو. كثيرون جروا وراء العقار وأرادوا أن يبنوا مع إطلالة على الراين والجانب الآخر هناك حيث سفك أيضاً في يوم من الأيام دماء تنانين. كيف يسمي المرء هذا حين يقتل أحدهم من أجل قوانين عليا؟ هل عرفت زوجة بلاوكرير الأولى أكثر مما ينبغي، هل أعرف أنا ما يفوق الحد، هل عرف سيغفريد أكثر من اللازم ويقدر ما يعرف بينغرلي؟ هنا يضمر شخص ما في نفسه الانتقام، وذات يوم قد يحطم جهاز التلفاز حيث يمكن رؤية شوندت وبلاوكرير بشكل متكرر- والمرة تلو المرة غروبين توكلر وكروملاخ وأنسبوخر ثمّ لت وعجن برايتهويز الذي ينمّ عن منفخة وغرور.

هيرمان فوبلر (يضغط على ذراعها): هدئيء روعك، هدئي روعك- نحن نتكلم عن بيع عقارات.

ايفا بلينت: عقارات، يجب دفع ثمنها بدماء تنانين. ومرة أخرى: أرجو ألاّ تخاطبني بالكاف وألاّ تضغط على ذراعي بشدة. أجل، تكلمنا عن العقار هنا. (تنقر على السور). أنت، يا فوبلر، تمثل الشاري وتعرض ثلاثة، أربعة إلى خمسة ملايين. ولماذا لا تعرض عشرة حيث ينساب النفط بوفرة؟ أما ارنست غروبش فيمثل مشروع بائع وجده بعد بحث طال أعواماً، بعد بحث وتنقيب دؤوبين- ارميا أرغلوس، في الخامسة والعشرين ويعيش في نيويورك ـوريث أولئك الذين صاروا رماداً، وتحولوا إلى تراب في آوشفيتس وتريبلانكا- تراب في مقابر القدس أيضاً وفي كاليفورنيا ونيويورك. فالصبي الذي كان عندنا- نحيف، شاحب اللون،طويل القامة، قمت معه بجولة مسائية على نهر الراين: فوانيس ورقية، أغانٍ، أنت يا أرض الراين السعيدة. أكل البوظة وشرب عصير الليمون وأكل النقانق- ومشى هنا- في سراويل جينز وقميص بنفسجي، عبر الأطلال والحديقة وقال عند العشاء: لا بيع، لا بيع على الاطلاق. يجب أن يبقى تمثالاً لجد جدي وأبي اللذين ولدا هنا وتكلما اللغة المحلية وشربا البيرة عند كريشينس أوغست- ينبغي أن يبقى تمثالاً لهما- وصمة عار أم تمثال- أو تمثال العار...

هيرمان فوبلر: يمكنه، على حد معرفتي، أن يحسن استخدام المال.

ايفا بلينت: في وسعه أن يحسن استخدامه، يعيش عند قريبين في نيويورك، اسمهما هنري وكلوداف. لا يعيشان عيشة ضنك، إنما في إعواز. أما هذا الصبي الذي يعرف قيمة التماثيل فلا يوفر شيئاً:

الحمام البري، العشب، والأجاص المتساقط. وصمة عار كلمة مناسبة، تمثال أيضاً، ربما رغب هنري وكلوداف أن يبيعا، إلا أنّ هناك ما يثبت أنه ملك ارميا، هو في الخامسة عشرة. عليهم أن ينتظروا قليلاً، قد يسقط في نيكاراغوا حين يصبح في الثامنة عشرة- عندها يمكنهم أن يقيموا المشيخات في وقت أبكر. لنذهب الآن ونشرب البيرة...

(كلاهما عند البوفيه، وكلاهما جلس على صندوق البيرة ومعه كأس البيرة، وينظر كل منهما إلى الآخر).

هيرمان فوبلر: لم أعرف أنّ ارنست غروبش يهودي.

ايفا بلينت (تنظر إليه مدهوشة): ليس يهودياً، ما الذي جعلك تفكر بذلك؟

هيرمان فوبلر: لأنه يحاصر بيع العقار- ويريد أن يحصل على التمثال، تمثال العار، كما تقولين.

ايفا بلينت: جدّ غروبش قتل في آوشفيتس، لم يكن يهودياً، كان عاملاً وشيوعياً- وكان في المقاومة، مع الكاثوليكيين البولنديين.

هيرمان فوبلر (ممعناً في التفكير): إعظام وإجلال- إعظام وإجلال- كان في وسعه أن يكسب مالاً كثيراً بصفة محامٍ ووسيط، وكان في وسعه أن يثري من وراء ذلك...

ايفا بلينت: لا تجعل تبعة ذلك على مثاليته الممكنة. فهو جد واقعي ويعرف كيف يقدّر المال لأنه لم يكن يملك قط أي مال في البيت- وإنّ تمثالاً من التماثيل واقعي مثله مثل المال. وهو يفضّل واقعية على واقعية أخرى. لا أكثر من ذلك.

هيرمان فوبلر: والآن نخبك. (يشربان الأنخاب). لن ألحّ، أستطيع

الانتظار- وآمل ألا يموت الصبي حين يبلغ الثامنة عشرة، في لبنان أو في هندوراس. لنشرب نخب حياته.

ايفا بلينت: نعم، هذا جيد. (كلاهما يشرب).

هيرمان فوبلر: أنا محامٍ وأمثّل مصالح عملائي من الزبائن، لا أكثر من ذلك. (يخرج من الجيب ساعة جيب ذهبية قديمة الطرز). الآن يتكلم كروملاخ عن الشباب المدلل.

ايفا بلينت: وأنّى لك أن تعرف هذا؟

هيرمان فوبلر: الساعة الثامنة وخمس وأربعون - والآن يعطى حق الكلام. أكان لك شباب مدلل؟

ايفا بلينت: أجل كان لي شباب مدلل! كان أبي مهندساً وكان عاطلاً عن العمل زمناً طويلاً. ولكن بعد الحرب وحين كبرت كسب مالاً كثيراً. لا أتذكر زمن ضائقاته. كان هناك دائماً طعام وكان الطعام على المائدة ساخناً بصورة دائمة - وفي المساء كان أبي و أمي يتقدمان دائماً من سريري ويضعان الغطاء كما ينبغي و بعناية . كنت آنذاك في الثالثة أو الرابعة . وكان أبي يعمل في مصنع لآلات الخياطة و لوازمها. كان كل شيء قليلاً، ولا سيما إبر آلات الخياطة، و النساء كلهن أردن الخياطة وتغيير الثياب . أنشأن تجارة سوق سوداء كبيرة بسلع آلات الخياطة ، وحين جاء إصلاح النقد كان لديه مصنعه الصغير الخاص به. كانت هناك ، كما هي الحال عند حديثي الثراء ، مدرسة ممتازة . عزف على البيانو وتنس ورقص ولعب ورق (كانستا) ، عملت بعد الشهادة الثانوية بصورة مؤقتة عند ابن عمي ألبرت بلينت في المكتب الكاثوليكي و تعرفت إلى كارل وصرت كونتيسة، ايفا ماريا كونتيسة

فون كرايل- وما زلت كونتيسة. أجل، أنا مدللة- إنما الصدمة مع كارل وتذكر حماتي التي نزلت إلى الراين. أجل، أنا مدللة- وغرويش أيضاً يدللني، فهو يحبني كثيراً.

هيرمان فوبلر: كونتيسة مدللة في كوبا، في هذه الحال أنا قلق وخائف يا عزيزتي ...

ايفا بلينت (في هدوء): الكونتيسة والتدليل- ليس هذا بشيء، إنما الرقص فقط ووضع اليدين على الكتف- وغرويش يجلس هنا، وحيداً بوجهه البروليتاري، هذا الكاثوليكي المنحط. لا. أنا أيضاً كاثوليكية منحطة. هؤلاء الكاثوليكيون ليسوا بحقراء ومشبوهين كما يسمونهم أحياناً.

هيرمان فوبلر: أنا أيضاً واحد منحط وكاثوليكي.

ايفا بلينت: أعرف- اريكا أيضاً وشوندت وبلاوكريمر- أعرف، وكذلك كارل. كان هذا مساساً بغرويش: كونتيسة- بينما كان هو عدواً للاقطاع- وهذا أيضاً كاثوليكي.

هيرمان فوبلر: وتنوين الآن أن تهجريه؟

ايفا بلينت: لا، ليس هجرة- أردت فقط أن أنظف أنوف الأطفال الكوبيين وأمسح مؤخراتهم وأسكب لهم الشوربة. الرقص مع عيسى والإحساس بيديه على كتفي.

هيرمان فوبلر: أعلن استعدادي أن أريك هنا بضع مئات من الأطفال الذين تطعمينهم وتستطيعين أن تنظفي لهم أنوفهم وتمسحي لهم مؤخراتهم، ربما قمنا بهذا معاً، أنت يا اريكا وأنا وكارل- فأنا لم أستطع أن أنظف أنوف أطفالي ولا مؤخراتهم. كأس بيرة آخر؟

ايفا بلينت: بيرة؟ لا. شكراً. أتصور أحياناً أنني أستطيع أن أشرب خمسة كؤوس بيرة، الواحد بعد الآخر، ثمّ يتبين لي أن كأساً واحدة تكاد تكون زائدة عن الحد. تنظيف الأنف ومسح الاست والإطعام أيضاً- هذا ماأقوم به أيضاً لدى أبناء وبنات أخ وأخت ارنست. ليس لهم شباب مدلل. هل كان لك شباب مدلل؟

هيرمان فوبلر: لا. كان أبي موظف بريد صغيراً؛ لم نكن على جانب كبير من الفقر، لكن كل شيء كان قليلاً. عانيت من الثياب التي كان علي أن ألبسها: كل الثياب المهملة من قبل إخوتي وأخواتي الأكبر سناً كان يتم تغييرها. لم أحصل قط على حذاء جديد، ولأنني كنت الأصغر وكانت قدماي صغيرتين جداً، كانت الأحذية كلها كبيرة جداً علي. الثياب، لا أحد يعرف ماذا يمكن أن تعني للناس،لا سيما الأطفال. ثم البدلة العسكرية، ولا بدلة سبق أن كانت على قدي، لا شيء سبق أن كان على قدي- وفي أثناء ذلك اهتممت دائماً بالزي، ربما بسبب ذلك أيضاً، لست أدري. الرجاء أن تلبسي غداً عند بلاوكريمر الأخضر الفاتح مع المشبك المصنوع من البلور الصخري والذي له شكل لؤلئي.

ايفا بلينت: ربما كان عليك أن تتجه إلى فن الخياطة الرفيع وابتكار الازياء عوض من أن تنخرط في خدمة شوندت وأن تتورط هكذا في مجالس بلاوكريمر وهالبيركام.

هيرمان فوبلر: ربما كانت لدي الموهبة لفن الخياطة الرفيع وابتكار الأزياء-لكن الشيء المحزن في ذلك كان سيمنعني. (ايفا بلينت تنظر إليه متسائلة). المحزن في ذلك أنّ قلة قليلة من النساء لهن شكل عارضات الازياء- هذا الانفصام كان سيجعلني تعيساً. وها إنّ عندي

انفصامات أخرى، وأغلب الظن انفصامات أصعب وأخطر. أرجوك كل الرجاء وبجد: انسي الذي سمّيته بلونيوس. وربما أيضاً صاحبك عيسى.ايفا بلينت: إنه يجيد الرقص- وحين يكون شيوعياً لن يكون عندئذٍ واحداً من النوعية الألمانية الثقيلة ثقل الرصاص. وهل ينبغي أن أكف عن الحديث عن أي شيء؟ حتى ولا عن بلوكانسكي ؟ على أنّ المرء يقول إنه لن يطول به العهد. المزيد من النفط والسجاد والأسلحة وراقصات هز البطن.

هيرمان فوبلر: ولا بهذا سيتعثر. اسمعي كلامي.

ايفا بلينت (تفرغ كأس البيرة): يجب أن أذهب الآن-نحن مدعوون أيضاً- في وقت متأخر إلى حفلة موسيقيةعند كابسبيتر. ابنته آديلهايد صديقتي من أيام المدرسةوستعزف مساء اليوم بيتهوفن على معزف جديد- إنها قادمة من نيويورك بصورة خاصة لكي تجربه.

هيرمان فوبلر: إذاً هل لي أن أدفع عنك ثمن البيرة؟

ايفا بلينت: أجل، لك هذا. كان الوقت لطيفاً معك- في إمكانك أن تكرر ذلك.(تنصرف. يبقى هيرمان فوبلر جالساً ممعناً في التفكير وهو يحتسي كأس بيرة أخرى).

الهوامش:

١) كنز النيبيلونغن ، تقول الأسطورة الألمانية إن كنزاً من الذهب كان في حيازة جماعة الأقزام النيبلونغيين فحاربهم البطل سيغفريد وانتصر عليهم واستولى على الكنز . وتقول الأسطورة أيضاً إن الكنز كان يحرسه تنين عظيم فقتله سيغفريد واستحم بدمه لكي يصبح جسده منيعاً أمام الحراب ، إلا موضعاً صغيراً بين الكتفين سقطت عليه ورقة زيزفون . ثم صار الكنز ملكاً لآل بورجوند ؛ إلا أن هاجن فون تونييه ، أشجع فرسان بورجوند ، أغرقه في نهر الراين لكي لا تستغله كريمهيلد ، زوجة سيغفريد ، في كسب أصدقاء للثأر منه بعد أن قتل زوجها غيلة .

٢) إشارة إلى كريمهيلد الجميلة التي كانت تعيش في فورمس مع إخوتها الملك غونتر وغيرنوت وغيزيلهير . تزوجها سيغفريد بعد أن عاضد أخاها الملك غونتر على أعدائه الساكسونيين . أما برونهيلد فهي ملكة ماوراء البحر التي كانت تتمتع بجمال بديع وقوة جسدية جبارة . وكانت تشترط على من يطلب يدها أن يبارزها برمي الرمح والقفز ، ومن لم يكن كفوءاً لها لقي حتفه على يدها . استنجد غونتر بسيغفريد الذي كان يملك الطاقية الخفية ليقف إلى جانبه في أثناء المبارزة . انتصر عليها بفضل سيغفريد وتزوجها .
وفي إحدى المناسبات التي لبى سيغفريد دعوة الملك غونتر إليها تتخاصم الملكتان ، إذ إن كل واحدة منهما تحاول أن تفتخر على الأخرى بفضائل زوجها ؛ وهنا تكشف لها كريمهيلد سر المبارزة وتعيرها بفوز زوجها عليها . فتحمل برونهيلد في نفسها على سيغفريد وتصمم على الانتقام منه لأنه أذلها أمام غونتر . وتكسب الفارس هاجن إلى جانبها . وبينما كان سيغفريد ينحني ليشرب من النبع يطعنه هاجن بالرمح في الموضع الذي لم يغتسل بدم التنين فيرديه قتيلاً . (م)

الفصل الخامس

(غرفة نوم ارنست غرويش وايفا بلينت. سرير كبير وعريض لشخصين موضوع بالعرض صوب المتفرج، كرسيان وكومودينتان وكومودينة أدوات الزينة، على الجدران صورتان من القطع الكبير على شاكلة إعلان: تشي غويفارا وملاك باروكي زائد الزخرفة. غرويش مستلقٍ في السرير والرأس إلى اليسار، ايفا تجلس إلى اليمين عند موضع قدم السرير. على إحدى الكومودينتين مفاتيح ومناديل وزجاجات. الوقت الساعة الثالثة صباحاً تقريباً، الغرفة منارة إنارة خفيفة بمصباح ذي حامل على الأرض).

ارنست غرويش (استيقظ لتوه): هناك رائحة طيبة- ماهي، -قويسة أم اكليل الجبل؟

ايفا بلينت: لا، خزامى- وقليل من الكافور (تنحني وتضع يدها على جبين غرويش). يبدو انها مرت.

ارنست غرويش (يريد أن ينهض. تمنعه ايفا): هل نمت طويلاً؟

ايفا بلينت: ثلاث ساعات- كان صعباً الإتيان بك إلى السرير. كمادات، تدليك بزيت الخزامى، دلكتك وأطعمتك حساء ساخناً، ثمّ غفوت. وطبيعي أنني صليت، فوق رأسك... طِلبة (ابتهال) عيد جميع

القديسين- وأفادك هذا. إهدأ، فالساعة لم تجاوز الثالثة بعد، وغداً ستلزم سريرك.

ارنست غرويش: جلست طوال الوقت هنا؟

ايفا بلينت: وسأستمر في الجلوس هنا. تكلمت في النوم كثيراً، أشياء مروعة، أشياء ماجنة، أشياء كثيرة من حياتك لم أعرفها- ودهشت إذ بدا لي الشيء القذر نظيفاً. (بهدوء أكثر). كلمات لم أسمعها أو لم أقرأها، ومع هذا عرفت ماذا تعني. هل من عجب ما إذا كان هذا كله موجودا فينا؟

ارنست غرويش: إذاً حكى لك فويلر كل شيء عن الكوبي وأظهر صفته عاشقاً وتكلم أيضاً عن العقار- أسمي هذا ثلاثي الأبعاد. ما قصة الكوبي؟

ايفا بلينت (مرتبكة): رحل- طار بعيداً. (متأثرة). يا إلهي- أجل- أنتم كلكم ثقلاء جداً- أنتم مثل الرصاص، وكارل أيضاً. (وبما أنّ ارنست غرويش ينظر إليها) أجل أعرف أنه لا يوحي هكذا، إلا أنه هو هكذا: كثير التفكيرو لطيف وفي إمكانه أن يكون أهوج. أما أنتم أيها الألمان فكلكم تحملون الدنيا كلها على صدوركم، وهو، عيسى، يستطيع أن يرقص مبتسماً رقصاً خفيفاً- دائماً سعيد، مع أنّ الوضع صعب عليه هنا، أصعب مما هو عليكم جميعاً.

ارنست غرويش: عيسى؟ أليس اسمه أيضاً بيريس ديليغاس؟ (بما أنّ ايفا بلينت تومئ بالإيجاب). هذا واحد من أصلب الشباب الموجودين هنا عندهم- أعرفه من المناقشات. ياالله، عيسى- عيسى- لوأني عرفت هذا، آه، يا عزيزتي ايفا، يؤسفني هذا. لا، لا- ليس هو بألماني- وأنت، أنت، ألست ألمانية؟

ايفا بلينت: يمكن إثبات ذلك، وتمّ إثباته- كان أبو جدي صانع قرميد، فوق في الشمال، إذاً كان عاملاً. وقبله تضيع الآثار في مستأجرين بؤساء رؤاة أشباح سماهم المرء أصحاب أكواخ- ألمان، ألمان، ثقلاء الدم ومكتئبون. كان جدي صانع أقفال وأبي كان مهندساً، ألمانياً، إنما كفّ عن أن يكون ثقيل الدم إلى هذا الحد. وأمي، إنها ابنة مدينة، كما يسمي الناس هذا هنا، إلى حيث جئنا، متدينة، حرة، معادية للقساوسة الكاثوليك، ابنة تاجر من الراين- وأنا الآن ...

ارنست غرويش: تحلمين بالراقصين الكاريبيين ... أجل، أفهمك يا ايفا.

ايفا بلينت (تتنهد): سيبقى الأمر عند الرجال الألمان. جلست هنا، يا ارنست، على الأرجح ثلاث ساعات، وأصابتك رعشة حمى، من غير أن يكون معك حرارة، لم يكن هذا فيروساً، ولا نزلة برد أو شيئاً آخر، ومصدر هذا غير هذا المكان. عرقت، هاك مناشف يمكنني أن أعصرها- ولحسن الحظ كان عرقاً ساخناً. ما كان ينبغي أن نذهب إلى عند كابسبيتر، كان كثيراً جداً ليوم واحد. العمل المألوف، ومن ثمّ نفخ بلوكانسكي، والغيظ من المناقشات- ثم الذهاب إلى الحفلة الموسيقية المنزلية ... لن نذهب بعد الآن إلى هناك، يا ارنست، أبداً. وقلت في المنام أشياء، تعود إلى أيام الطفولة، إلى أيام شبابك، الأشياء الخليعة الفاحشة، وجملة كررتها المرة تلو المرة بصوت عالٍ، إلى حد الصراخ: " ليس بيتهوفن من عداد هؤلاء. أينبغي أن يخصكم كل شيء، كل شيء- وكذلك بيتهوفن؟" كان مخيفاً يا عزيزي، كدت أفكر بتعزيم- كنت كمن مسّه مسّ، أجل، كنت ممسوساً. الشوربة والدفء ويداي وزيت الخزامى والصلاة- ربما فعلت فعل التعزيم.

ارنست غرويش: أية أرواح شريرة تمكنت من طردها مني؟

ايفا بلينت: غضبك، خوفك، كرهك- ضياعك. ثم كان العناء كله مع بلوكانسكي من غير جدوى.

ارنست غرويش: القليل من كل ما عددته، أود الاحتفاظ به، القليل فقط.وبلوكانسكي. لم يكن هذا من غير جدوى. تعلمت الكثير في أثناء ذلك.

ايفا بلينت (تنهض): سأسخن لك شيئاً من الحساء، ثم تعود إلى النوم.

ارنست غرويش: لا، ابقي معي- إذا أردت الصلاة، قومي بذلك، لكن بهدوء- لا أرغب في سماعها، هل سببت فضيحة؟

ايفا بلينت: لا، كنت هادئاً كل الهدوء، غاية في الهدوء- لن نذهب بعد ذلك إلى هناك يا ارنست. سألازمك، واتضح لي: كوبا شيء مبتذل. (تبتسم). نترك الصغير هذا.

ارنست غرويش: امرأة حساسة، مدللة، مثقفة- كونتيسة متدينة- في كوبا. ولم لا؟ نبلاء مثقفون، .حساسون، متدينون كثيراً ما صنعوا من الثورات ما يكفي وهيَّؤوا لها- في وسعي أن أفهم هذا. لا تحزني، لا تبكي يا ايفا، لكن صدقيني: هؤلاء لا يتعاملون على نحوٍ شديد الحساسية مع النساء، ولا مع زوجاتهم أيضاً. كنت ستبكين هناك أكثر مما كان يمكن أن تبكي هنا على حلم منسيّ. الأفضل ألا يغادر المرء الحلم. وبيتهوفن لا ينتمي إلى هؤلاء، قلت أنا- ولا إلى هناك أيضا؟

ايفا بلينت: لا، هنا- واعتقدت: أغلب الظن أنه يود الآن أن يحطم معازف أيضاً.

ارنست غـرويش: هناك حيث جلست أنا ظننت أنني سأجنّ وأنّ جنّةً أصابتني في اللحظة التالية. هؤلاء الناس هناك، حساسون إلى هذا الحد، طيبون وممتازون للغاية، متواضعون وذواقون، مثقفون ونبلاء فعلاً- كل شيء أصيل- وآديلهايد هذه جلست إلى المعزف وعزفت بيتهوفن. عندها فكرت فعلاً في كارل، زوجك، الغراف فون كرايل، فقد عددت تحطيم معزفه دائماً نوعاً خاصاً من التنفج الاقطاعي، وجدت الأمر مضحكاً، لا أكثر من هذا. وحين أعطى بعد ذلك هذه الفتاة مالاً من صندوق الدبلوماسيين لكي تستطيع أن تهرب من التعذيب والموت إلى كوبا، عندها قلت في نفسي: ما هذا! بل إنه طار من جراء ذلك من الخدمة وعوقب مع وقف التنفيذ. ثم جلست عند كابسبيتر وتمنيت على حين غرة أن أفعل الشيء الذي قام به هو- أنا الذي- كيف سمّاني أبوك؟

ايفا بلينت: بروليتاري بوجه اجتماعي.

ارنست غرويش: حسن. لقد أحسن الوصف. بلينت العجوز أبوك يتمتع بروح النكتة ومعرفة الناس. أجل، كان عليّ أن أتمالك نفسي عند كابسبيتر لكي لا أنهض وأحطم أي شيء، ولو كان الخزف المايسنري الذي لا أستطيع تمييزه على كل حال من الأشياء المبتذلة في المتجر. لا يا ايفا، لم يكن العمل الكثير ولم يكن نفخ بلوكانسكي، ولم يكن الغضب من النقاش في التلفزيون. آنذاك خطر في بالي شيء أخافني: لا بل بلوكانسكي الذي أكرهه- كان أقرب إليّ من هؤلاء الناس النبلاء الارستقراطيين في وسط هذا الأثاث الجميل الممتاز. والأنكى من ذلك: حتى شوندت الذي كان يمكن أن أقتله. هذا الوغد، وبلاوكريمر، هذا القذر. هم كلهم كانوا أكثر قرباً مني- لأننا نحن السياسيين نوسخ معاً

ونزيل القذارة لكي يتمكنوا من تنفيض التراب من دون أن يتوسخوا. جميل، ويسافرون إلى المزاد لكي ينقذوا صلباناً قيمة لوطنهم ولا يفكرون بالدم والعرق، الخراء الذي تصنع منه أموالهم. وكان هناك شيء آخر، يا ايفا، شيء: هو أنّ آديلهايد صديقتك في المدرسة التي توحي بأنها نؤومة أكدت تقريباً أفكاراً حين همست لك: " لم يكن سهلاً على بابا أن يدعو غروبش أيضاً." طارت خصوصاً من نيويورك إلى هنا لكي تجرب ببيتهوفن المعزف الجديد هنا وأن تراك؟قولي لي، يا ايفا، هل أنا عزيزك غروبش- هل أرادت أن تصرفك عن عزيزك غروبش؟

ايفا بلينت: (فاترة النفس ومحمرة الوجه): أجل، أنت عزيزي غروبش. كان ينبغي أن أنهض وأنصرف حين قالت هي هذا وأملت ألا تكون سمعت أنت ذلك. لقد غدرت بك يا ارنست، إنما أنت الآن غروبش حبيبي فعلاً. ألا ترى ذلك؟هي جعلت منك ذلك-هي وثقت بنا إن صح التعبير. وسأخجل من نفسي طوال حياتي أنني لم أنهض وأنصرف. وأخجل أن أقول الكلام الفارغ الواجب قوله الآن: اعذرني، يؤسفني. لم أستطع. أكره مشاهد وفضائح- كانت، اللعنة، مشكلة جمالية- أنت الآن قريب مني أكثر مما كان عليه كارل فيما مضى.

ارنست غروبش: مهما يكن فقد فهمت ولو أني لم أكن بروليتارياً بوجه اجتماعي. أنت ترين هذا اجتماعياً وأنا أراه سياسياً. على كل حال أنا نائب في مجلس النواب الاتحادي الألماني ومستشار ووزير- هذه هي المشكلة. واضح أن هؤلاء لا يحبونني حيث إني لا أعرف حتى اليوم ما يميز البتيك الأندونيسي من قطعة قماش قطنية مطبوعة. كما أنها لم تقل: السيد غروبش أو صديقك ورفيق حياتك، قالت: صاحبك غروبش.

وأنا، أنا كان ينبغي أن أنهض وأن أضرب بالقبضة على المعزف ضرباً قصيراً على الأقل: واقشعر بدني، يا ايفا، وخفت الخوف البروليتاري من الذوق السليم- كلانا رعديد على حد سواء...

ايفا بلينت: ارتعدت فرقاً واصطكت الأسنان- لابدّ أن يكون الأمر أكثر من ملاحظة غبية.

ارنست غروبش: كان أكثر من ذلك. (يرتمي إلى الوراء في المخدة ويتكلم بصوت أخفض، ممعناً في التفكير). كان بطريقة لا أستطيع أن أوضحها لك- كان، لاترتعبي أنت التي لها الذوق السليم نفسه مثل تلك، لا ترتعبي: كانت قشعريرة ميتافيزيقية- وخيل لي كأنّ ملاكاً لامسني، أجل، ملك من الملائكة الذين لعنتهم منذ التاسعة من عمري وسخرت منهم- وبلنا على صور الملائكة الصغيرة التي كنا نحصل عليها بشكل بطاقات اجتهاد. وفي وسط هذه النظافة الدالة على حسن ذوق اشتقت إلى قذارة السياسة. كان عملي أن أنفخ بلوكانسكي. كانت وظيفتي القيام بكل شيء لكي يختفي شوندت. قولي لي شيئاً واحداً فقط مع كم من أكثر ابنة مصرفي صحبت أنت راهباتك- آديلهايد كابسبيتر وهيلدي كرينغل- و؟

ايفا بلينت: أنت تنكّت من جديد. الحق أنّ هناك حفيدة لارفتلر تحب أن تتعرف إليك: اسمها مارون، وهي غير متزوجة وتعزف على البيانو. لا شأن لها بالمصارف، تدير مصنعاً للمطاط. نشيطة وصارمة. تتمتع بروح الدعابة والفكاهة- وتهدد دائماً بالاصبع حين ألتقيها.

ارنست غروبش: إنّ لهذا وقعاً لابأس به. تهددك بسببي؟

ايفا بلينت: أجل، على الأرجح، لكن أكثر من ذلك لأننا لم نتزوج. افرح لأنك تخلصت الآن من بلوكانسكي.

ارنست غـروبش: لكن وظيـفتي أيضـاً، وظيـفة المسـتشـار. وأغلب الظن أنّ بلاوكـريمر لن يتـبناني. سررت أيضاً سروراً شاذاً أنني ألهـمت بلوكانسكي خطبه. لم تحدثيني عن فوبلر.

ايفـا بلينت: الموضـوع مع عـيسى ملغى الآن. وقـد أنذرني فـوبلر عموماً، ألاّ أتكلم الكثيـر الكثير، واقترح عليّ اقتراحات ملابس وتكلم معي عن عقار أرغلوس وعن اليزابيت بلاوكريمر - هل نعرفها؟

ارنست غـروبش: أغلب الظن أنّ الحظ لن يحـالفـه مع أرغلوس. فالشاب حديدي. والسيدة بلاوكريمر: لابدّ أنك تعرفينها عن طريق كارل. أجل، لابدّ أنك تعـرفت إليـهـا حين كـان بلاوكـريمر لايزال رئيـسـاً لمجـالس العـاملين المنسـقـة. فكري، فـهؤلاء كـانوا يسكنون آنذاك مـباشرة قـرب المعبر.

ايفا بلينت: أي هذه، استقبـالات نبيلة، بوفيـه عـامرة، إنما ممتازة. كان لها أسلوبها، وكانت تقف وسط الصالة وتبتسم، غير مبالية، إلى حد الاحتقـار- طويلة، شقـراء وشاحبـة- والعينان زائغـتـان تقريباً إلى الداخل. لا، ليس الشيء الذي كـان المرء سيسميـه فـيما مضى اضطراباً عـصـبيـاً- بل أقـرب إلى أن تكون مرتبكة، ذاهلة، معـاندة، وبدت أشبه بطفلة كبيرة تمّ اغتصابها، ارتدت ثوباً فضياً مع ياقوتة حمراء كبيرة. ودخنت شيئـاً أنيقاً اصطناعيـاً للغاية. كان يمكنها أن تبدو رهيبة، إلا أنني كنت استخف ظلها.

ارنست غروبش: كانت هذه أيضاً كونتيسة أو شيئاً من هذا القبيل- لكنها كونتيسة بمعنى الكلمة.

ايفا بلينت: وأنا أيضاً كونتيسة بمعنى الكلمة، إنما لست كونتيسة بالولادة. كان لها وقع انذار حين ذكرها فوبلر.

ارنست غروبش: عليك أن تولي إنذاره أهمية. فحيثما تكن هي تقبع النسوة المهملات المنبوذات - في سجن نبلاء- لا بل يقال إنّ هناك شباباً لطفاء يرسلونهم إلى الغرف حين يخيل لهم أنهنّ يرغبن في ذلك. لا تخافي، لن تحلّي هناك أبداً، لن أتركك تصلين إلى هناك.

ايفا بلينت: خوفي عليك- وليس خوفي على كارل ...

ارنست غروبش: اعتذرت له كثيراً، مساء أمس، و تحررت أيضاً من حسدي. حسدته على إقدامه، على رشاقته التي يقدم بها على أموره- وحسدته على فهم النفس القديم قدم الزمن والذي لا أستطيع أن أتمتع به. كان أبوك على صواب: بروليتاري بوجه اجتماعي.

ايفا بلينت: لم أعد أرغب في الذهاب إلى الحفلات، ولا إلى الحفلات الموسيقية المنزلية. لا أستطيع أن أتحمل الموقف حين يسيء إليك شخص ما من جديد- وأكون أنا الجبان مرة أخرى.

ارنست غروبش: سنذهب حتماً إلى أحد الاستقبالات: حين يدعونا بلاوكريم إلى الاحتفال بمناسبة تعيينه.

ايفا بلينت: إذا كان هذا رأيك- لكنني لن أتركك تغيب عن نظري. بلاوكريم. ألا يلاحظ أحد أنه فعلاً بغيض يصعب التعامل معه؟

ارنست غروبش: ليس هو ببغيض ويصعب التعامل معه، كماترين. بلوكانسكي أيضاً كان، إن صح التعبير، بغيضاً ويصعب التعامل معه، وبلاوكريم أيضاً سيسقط، سيهوي. السادة فقط الذين لا يحكموننا، بل يسيطرون، هؤلاء لن يهووا أبداً، لن يسقطوا أبداً. لا بل سيسقط

هويلبوك ذات يوم- فلوريان وكابسبيتر وبرانسين وكرينغل وبلومشر لن يسقطوا أبداً، إذ إنّ هؤلاء لا يحكمون، بل يسيطرون فقط، ولن، لن يرى أحدهم سجناً من الداخل. إنهم باقون إلى الأبد، إنها الملكية المقدسة الخالصة للمال. وهم ممزوجون مزجاً جيداً؛ فلوريان بروتستانتي، متدين للكنيسة، صاحب بعض الشيء- كابسبيتر هادىء وكاثوليكي- وكرينغل عاد الآن إلى البروتستانتية. بل إنّ لديهم ملحداً: بلومشر- وهم جميعهم يجمعون أشياء نفيسة نفاسة مشهورة، كما أنّ كابسبيتر له ابنة كسولة بعض الشيء تطير على جناح السرعة من نيويورك إلى هنا لكي تستطيع أن ترى غرويش هذا بصورة دقيقة، قرد الحزب هذا الذي كان عليهم أن يتحملوه في حديقة الحيوانات هذه مكرهين ، إلاّ أنه محامٍ أيضاً، وليس باحثاً اجتماعياً فحسب. (يعتدل فجأة)- وهذا يؤثر تأثيراً معيناً في شاب يهودي حالم يملك عقاراً على ضفة الراين. يا عزيزتي ايفا، صاحبك فوبلر ليس مغرماً بك فحسب، بل إنه محامٍ وعضو مجلس إدارة عند كابسبيتر أيضاً، لابل هو شريكه، وفي إمكانك أن تتيقني أنّ مشيخات النفط تدفع أي ثمن لقاء النظرة على جلد التنين، أما الشاب فلا يعرضون عليه إلا سعراً جيداً، كل شيء ملكية مقدسة، وهذا هو سر ملامسة الملاك لكتفي- كابسبيتر وفوبلر، الحب والسياسة والتجارة- هذا هو مصدر القشعريرة الميتافيزيقية. لا، هؤلاء لا يحكمون أبداً ولا يمكن إسقاطهم أبداً، هؤلاء يظلون دائماً أنقياء مثل حكام الملكية المقدسة. حتى إنهم سيسقطون هويلبوك ويرمون بفوبلر خارجاً حالما كفوا عن الامتثال. أنا الملحد الأريب المحنك الذي ينبغي عليه أن يضبط نفسه بمشقة حين يرى قسيساً. هل تكلم فوبلر عن شخص اسمه بينغرلي؟

ايفا بلينت: أجل، وعلي ألا أتكلم عنه.

ارنست غرويش: لا بدّ أن يكون في حوزته شيء يرتعد منه الجميع، الأخيار والأشرار، اللطفاء والأوغاد.

ايفا بلينت: وربما المصرفيون أيضاً؟

ارنست غرويش: لا، ليس هؤلاء، ليس هذه المرة أيضاً، على أية حال لا يخافون على سمعتهم الطيّبة أو على انفسهم. فهذا ما أنجزه لهم السياسيون القلقون. وأكتشف أكثر وأكثر ما يربطني أنا البروليتاري بكارل.

ايفا بلينت: سيسره أن يسمع هذا. فهو يحبك أكثر مما تحبه أنت.

ارنست غرويش: إذاً سأقول له هذا ذات مرة. هل أنت غيورة من التي هي عنده الآن؟

ايفا بلينت: غيورة على الطفل الذي أنجبته.

ارنست غرويش: ليس الصغير غرافاً.

ايفا بلينت: ربما أنجبنا نحن الاثنين غرافاً صغيراً.

ارنست غرويش: لا، سيكون هذا من آل بلينت. ولكن لو كان هذا لآثرت أن يكون لي غرويش صغير- لا، وإن كان لغرويش وقع أحسن بقليل من بلينت-لا...

ايفا بلينت (ترفع النظارة عن أنفه): غريب كيف أصبحت عيناك الرماديتان أكثر سواداً وضخامة. فجأةً اختفى هو، البروليتاري، المحلل والباحث الاجتماعي، وها أنا أرى شخصاً خائفاً مذهولاً، جائعاً ويحس بالبرد. لا تنس أنه تم عقد قراننا، إنما لسنا بمتزوجين. وقد زوجتنا آديلهايد كابسبيتر- أنت لي، ولن أغادر هذا المكان، لن أفارقك إن لم تفارقني أنت.

ارنست غـرويش: لـن أرحل من هنا. هذه هي الدولة التي صنعـتني، وأريد أن أشـارك مع الآخـرين إلى أن تزول عنهـا أيضـاً سيطرة الذين لا يحكمـون-. لن أفـارقك، ولديّ هنا مـا أقـوم به، أريد أن أعـمل. طبـيـعي أني خـائف، لم أجـمع احـتـيـاطيـاً في طفـولة هادئة وسـعـيـدة- أنت لا تلاحظين إلا مـتـأخـراً أنك تفـتـقـدين ذلك. يجب أن أحـتـفظ بغـيـظي وسخطي، وربما أيضاً بحقدي الذي بروزه التحليل، إذا صحّ التعبير،. - وفي بعض الأحيـان أشذ عن المألوف. هل كـانت لكارل طفـولة، طفـولة سعيدة؟

ايفا بلينت: كـان في الخامسة من عـمره حين غـرقت أمـه في الراين، وسرعـان مـا صـار الأب شخصـيـة مـهـمـة تملأ العين إلى حد مـا، ولكن في هذه القصور وحيث نشؤوا- فليس الوضع مريحاً هناك. الجو بارد وفي معظم الأحيان أكل قليل.

ارنست غـرويش: كـمـا كـانت الحال أمس عند كـابسبـيـتر- فلا الأكل كان جيداً، ولا كان كافياً، كان رديئاً نوعاً ما.

ايفا بلينت: أجل. حتى الشوربة لم تكن سـاخنة- والسمك كان جافاً جداً وبكـمـيـات قليـلة- والعـقـبـة- مـثل الغـراء- نعم، أنت على صـواب. إنسَ الموضوع.

ارنست غـرويش (بـلطف ورقـة): لا، لن أنسى هذا- سـأنسى الأكل، أمـا الشيء الآخـر فـلا. ويخطر ببـالي أحيـاناً أنك تـتـعلقين باللقب ولهذا فلا تطلقين- إذ في هذه الحال...

ايفا بلينت: أجل، يجب أن أعـتـرف أنني مـتـعلقـة باللقب، ومن خلال اللقب صار لي حمٌ لطيف.

ارنست غروبش: ولك أب لطيف أيضاً، فأنت غنية بالآباء، مات أبي حين كنت في الثانية عشرة- بتشمع الكبد- وأمي ماتت غماً وكمداً. أجل، هكذا سمى المرء هذا- ماتت كمداً، بؤسنا، شتائمنا الغاضبة الدائمة، الحزن والخوف، وبهذا لن يكون في إمكاني أن أقدم لك حماة.

ايفا بلينت: ستحصل الآن على شوربة مرة ثانية، وسأدلكك مرة ثانية- وبعدذلك ستنام، أنا أيضاً سأنام، فأنا متعبة. ويسرني أن أكون معك وأبقى عندك.

ارنست غروبش: أكان هذا شفقة حين اصطحبتني وبقيت معي؟

ايفا بلينت: لا، ليست شفقة، لكن مساء أمس أشفقت عليك، أردت أن أعرفك- لا أن أتعرف إليك، أردت معرفتك. كاد قلبي أن يتفطر حزناً حين جئت معك المرة الأولى إلى غرفتك، إلى وجار الكلب هذا. ورق فقط، ورق، وبعض بقايا النقانق ولحسات خردل على غطاء الطاولة. إنه لمقيت كيف تسكنون هنا- حيث إنه ما من أحد يسكن هنا سكناً حقيقياً. إنه مثل شتى الأشياء فيما بين وجار كلب وغرفة مفروشة، إنما ليس سكناً. لم أعرفك إلا منذ اليوم في هذه الليلة، وقبل ذلك كنت أستثقل ظلك فقط. سأبكي قليلاً على عيسى - لم يكن بألماني إلى هذه الدرجة، وكان على جانب من الجاذبية.

ارنست غروبش: وكان قاسياً، يا عزيزتي ايفا، قاسياً مثل الحجر. والنساء من تلك البلاد يحببن رجالاً ألمانيين حباً جماً.

ايفا بلينت: شيء واحد لا أفهمه في القصة الكاملة، قصة بلوكانسكي وبلاوكريمر. عندما يصبح بلاوكريمر خليفة بلوكانسكي، فعليهما أن يكونا في هذه الحال في حزب واحد.

ارنست غرويش: هما أيضاً في حزب واحد- ألم تعرفي هذا ؟

ايفـا بلينت: لم أهتم قط للأحـزاب، لكنك على حق: إنه واضح جليّ، ، وفي هذه الحال أنت أيضاً في الحزب نفسه مثل بلاوكريمر ؟

ارنست غـرويش (يستـغرق في الضحك): يا إلهي، كم أنت فطنة، وكم تستطيعين أن تكوني منطقـية. أجل، أنا في حزب بلاوكريمر. ولي رجاء آخر يا ايفا، إذا ما رحلت ذات مرة فلا تذهبي إلى هؤلاء.

ايفا بلينت: إلى من ينبغي ألا أذهب؟

ارنست غرويش: الذهاب إلى كوبا أفضل من الذهاب إليهم!

ايفـا بلينت: لن أرحل إلى أي مـكان، أنا بـاقـيـة هنا- هنا مـعك- (ينطفئ النور).

الفصل السادس

(مونولوج ارنست غرويش).

حين أذهب إلى بلوكانسكي يجب أن أضبط نفسي بصورة دائمة لكي لا يطغى غضبي عليّ ولئلا أفقد السيطرة على عجلة القيادة وأصطدم بشجرة، بفانوس أو أصدم سيارة أخرى.. قد أخنقه يوماً ما، هذا اللاشيء، حتى ولا منافق هو، هو كما هو: لاشيء. ويسمونه الخد التفاحي، وفي الواقع أنّ بشرته قوية الأثر تلفزيونياً بطريقة لا تقدر بمال. وذات مرة همست لي عاملة مكياج: ليس من داعٍ لوضع الأصباغ على وجه هذا الآدمي، فهو يبدو دائماً مثل تفاحة سليمة ستسقط ناضجة من الشجرة بعد لحظة أو ستقطف، شهية للسوق على الوجه الصحيح، الشعر اشقر شاب في أثناء ذلك، كثيف، وما زال أيضاً إلى هذا اليوم وعلى حين شارف هو على الخامسة والخمسين يبدو مثل شاب يود المرء أن يشركه في اللعب في فريقه، فريق كرة القدم. لابل إنه يستطيع أن يبتسم ابتسامة ماكرة خبيثة، كما أنّ له غمازة أيضاً. لم يتم التحليل تحليلاً دقيقاً كم من الأصوات يجلب، المؤكد: أنه يجلب ما فيه الكفاية، وطبقاً لتحليل بعض أقوال الجماهير يعتبره العدد الأوفر نبيلاً خلع عنه لقب "فون" من باب التواضع الديمقراطي.

وفي هذا فهو إلى جانبي أحد البروليتاريين الحقيقيين في صفوفنا. وأبوه كان عامل فحم بدد ماله في السكر، وأمه كانت حسناء ذات سمعة مشكوك فيها، حسناء عرفت كيف تربط بين الخمول والطموح بطريقة نادرة، وفي تلميحات تزينها ابتسامة معبرة تعرف كيف تهرّب من تحت إلى تحت إشارات تقوي الظن أنّ الخد التفاحي هانز غونتر بلوكانسكي ينحدر من علاقة غرامية سابقة مع بارون انفطر قلبه كمداً لأنه لم يستطع أن يتزوجها، وتزوجت من بعد ذلك عامل المنجم بلوكانسكي لكي تثبت شرعية نسب الطفل غير الشرعي. وبالفعل ولد بلوكانسكي بعد خمسة أشهر من زواجها بيورجن بلوكانسكي. تقصيت هذا كله لأنني كنت مكلفاً بأن أؤلف له كراسة المعركة الانتخابية. وفي ملجأ للعجزة غالٍ حيث زرت العجوز المقيتة المنافقة غير مرة، كانت سيدة ولا كل السيدات في حوزتها طقم شاي انكليزي وأثاث جميل وقطع صغيرة أصلية وكانت خلقت لنفسها جواً من الترفع والتحفظ أظهر الحديث من جانبها بمظهر التكرم والتفضل. وفي نهاية المطاف لم تعد الزوجة العادية بلوكانسكي من كليسينهايم، مكان الفحم الرمادي المقفر، بل " أم الوزير بلوكانسكي". وعلى كل حال تأتى لي أن أكتشف أنها كانت قد عملت في قصر آل هيك بافينييه في حجرة الغسيل، و من الممكن أنّ أحد البارونات الشباب طرحها على ظهرها على كومة من الثياب. زرتها آنذاك عدة مرات حين كان عليّ أن أنظّم مؤقتاً كراسة المعركة الانتخابية لبلوكانسكي. لم تعترض على ذكر عملها في القصر، إلا أنها اعترضت بشدة على التعبير "خدمت" وأصرت على عبارة "وظيفة فيها مسؤولية".

وقبلت أنا هذا: ففي النهاية تكون الثياب في تدبير منزلي كبير ضمن القصر شيئاً يتطلب مسؤولية. وأناليس عندي أيضاً أي شيء ضد فتيات يخدمن في قصور. فأمي كانت مدى الحياة خادمة تنظيف إلى جانب وظيفتها وغسالة لأنّ أبي كان سكيراً. وحتى حين شارف الخد التفاحي على الأربعين لم تخجل أمه من أن تقول لي:" كنت أرى هانز غونتر دائماً أسقفاً وهوينحني بعطف على المثبّتين." فالاسم الذي له وقع بولوني يزعجها كثيراً، وأزعجها دائماً لأنه لايوجد أي شيء سلافي فيها ولافي هانز غونتر. وفكرت بين الآونة والأخرى بأن تغيّره إلى بلوكارد. فهي نفسها أحد أفراد أسرة مولر وتمتمت شيئاً عن "الاشتغال بالحبوب" الذي كان تقليداً في أسرتها. كما أنّ هذا أيضاً لم يكن كذباً: فجدها كان عامل مطحنة، وأبوها كان مساعد خباز- وكلاهما اشتغل فعلاً بالحبوب. وأعترف: أنني لم أطقها لا هي ولا ابنها. فالعينان الزرقاوان الكبيرتان اللتان وحدتا بينهما علتهما شهوة مخادعة يصعب تحديدها. وهي لا تتكلم عمن تزوجته بطريقة فيها ازدراء واستخفاف، بل في تلميحات:" كان موهوباً، إلا أنه لم يقدر على مواجهة الاغراءات التي جلبت معها البطالة."

هكذا عبّرت عما كان في الامكان التعبير عنه بطريقة مغايرة: لقد شرب أردأ أصناف العرق وأرخصها حتى الموت، العرق المصنوع من الشمندر الذي كان يصنعه هو ورفاق عاطلون عن العمل أيضاً. كانت هناك صور له: شاب جميل، طويل. أشقر- شبيه بصاحبنا الخد التفاحي شبهاً مذهلاً والذي يبدو أنه لم يرث من أمه إلا العينين الزرقاوين المخادعتين. وبطبيعة الحال أذنب العجوز عدة مرات، على أنّ هذا لا

يجوز ذكره في سيرة الخد التفاحي، ولهذا عزمت أنا على الصياغة:" كان أبو بلوكانسكي من ضحايا الأزمة الاقتصادية الكثر." وكان صعباً البحث عن مصدر نعمة Pinn المرأة العجوز، ويحتمل أنّ خدمتها في القصر كانت قد أيقظت فيها الرغبة بأن تظهر بمظهر " الذوات". كانت تتكلم بصورة دائمة مثل المشي على رؤوس الأصابع. والشيء الذي عرفته عن الخد التفاحي نفسه في كليسينهايم لم يكن مثيراً جداً. فقد علمه قس القرية اللاتينية وأرسله إلى الثانوية، ومن بعد ذلك إلى المدرسة الداخلية، وكانت هناك في الحقيقة صور له من أيام الشباب بدا فيها برداء من نوع الجبة مثل حداد جنازير صغير السن. وفي كراسة المعركة الانتخابية لم ندخل نحن هذا الصور. وإنّ عناصر مذهبية ستكون بصفة وسائل دعائية سياسية حساسة ومزعجة، وقد يفشل هذا. وكان في إمكان بلوكانسكي أن يصل بصفة "واحد منا"، ولكن أيضاً باعتباره "مارقا مرتداً"، وكلا الأمرين كانا سيجلبان لنا أصواتاً من زاويتين مختلفتين، ولكن كان من الممكن أن يكلفانا أيضاً أصواتاً في كلتا الزاويتين. " فالمارقون المرتدون" ليسوا بمحبوبين عند أولئك الذين هم أنفسهم مارقون، والأصوات التي قمنا بالدعاية لها كانت في هذه الزاوية موالية للكنيسة. وكذلك هي الحال بالنسبة للصور التي أظهرته بمظهر الطالب المقدام في الكلية العسكرية. وتروينا في الأمر طويلاً: ففي هذا الوسط ليس المرء موالياً بصورة خاصة للعسكر، ومن جهة أخرى فالمرء فخور " بأولادنا"، فهم كلهم يسيرون، كارهين أو راغبين، في أيام الذكرى إلى نصب الحرب التذكاري ويغنون أغنية "كان لي رفيق" ويضعون الأكاليل. هذه الطقوس الرجعية لا يستطيع المرء أن يأخذها

منهم ولا أن يصرفهم عنها. وفي النهاية أدخلنا الصور وأثبتت فعاليتها من الناحية التي تتجاوز الاقليمية، وهذا يعني في كل مكان حيث كانوا يعرفونه شخصياً، ولم يكن هناك من يتذكره أو يتذكر أسرته.

هدفي الرئيس: قصص شيطنة- في هذه الحال لم يكن في اليد حيلة.. فالمقالب تحرز نفعاً إن لم يكن إحراقاً أو تدميراً متعمداً، لكنني وجدت هذا بالذات، بعض محاولات الإحراق والتدمير المتعمد التي لم تتوضح كلياً كان قد تعرض هو فيها إلى الشبهة. في ضائقتي ابتكرت مقلباً: بأن تسلّق هو سطح الكنيسة وفكّ الصنبور واختبأ في قبو بيت القس، لا في مكان آخر، وهناك وجدته مدبرة المنزل من بعد ذلك. مثل هذا المقلب لابأس به: غرور شباب وجرأة جسدية، نكتة ونموذج أساسي للشيطنة.

ماوجدته فعلاً لا يمكن الانتفاع به. فقد التقيت معلمه القديم في مشواره اليومي إلى المقبرة، ومع أنّ السيد العجوز تمتم لي بأنه ملحد، إلا أنه ليس من الضروري أن أنشر هذا في القرية وقادني إلى ضريح القس بلايل، وظل هناك واقفاً وقال:" لقد أدمى قلب هذا، فطر القلب بمعنى الكلمة، لأنه طرد من المدرسة الداخلية. طرد لسببين: أولاً بسبب النزعة المرضية لاظهار العورة، إلا أنه كان يمكن أن يترك لهم المجال ليشفوه من ذلك بسهولة- فهؤلاء يقبلون كل واحد- " كل واحد؟" سألت أنا. " أجل، كل واحد"، أصرّ على القول،" على أنّ هذا الصغير الماكر هينيس، هكذا سماه المرء هنا، وثانياً كان غبياً بطريقة ما، بليد الذهن بطريقة لم يستطيعوا حتى هم أن يبدؤوا بها. واعلم أنه لم تنقصه إلا بداية بعدٍ يسميه المرء روحانية، بعد تجده لدى كل أبله- لنسمّه نحن حزناً، ألماً،

خوفاً، يأساً، شوقاً، هذا الوخز، أنت تعرف، موجود عند كل إنسان، عند السيد الغراف و عند عامل المنجم. كان صاحبنا هينيس فارغاً. كان في استطاعته أن يحفظ على ظهر قلب ما كانوا يقدمونه له دائماً- بطريقة بارعة رائعة، ولكن حين كنت أخاطبه إثر ذلك وأسأله عما تلاه هنا، عندها كان ينظر إلي كما لو أنه لم يعرف ماذا قصدت. لم أعرف قط ما إذا كان عليّ أن أعطيه درجة جيد جداً أم أرسبه. ومما يؤسف له أنني أعطيته درجة جيدة، وعلى هذا جاء إلى القس ودخل المدرسة الداخلية، ومن هنا التحق بالجيش. " وهذا الذي هناك، هذا الرجل التقي الصادق، أدمى قلبه، لا بصفته شخصاً- بل بصفته ظاهرة أيضاً."

كانت قرية كليسينهايم غاية في الضعة بأكواخها ذات السقوف المقرمدة المحصورة بين كاراجات.

كما أنّ هذا لم يكن أيضاً مثمراً لكرّاسي. هل كان عليّ أن أكتب: أن قلب قس عجوز ورع مستقيم قد انفطر؟ وأنه طرد من المدرسة الداخلية بسبب نزعته المرضية إلى إظهار العورة وأنه يفتقد إلى البعد الروحي؟ وأخيراً جربت بعامل إعلاني مهم جداً: هو الرياضة. أحسن شيء كان صورة من أيام الشباب أظهرته في لباس كرة القدم، متألقاً والكرة على القدم، مندفعاً إلى الأمام- أو بصفة حارس مرمى وهو يصدّ لتوه تسديدة عنيفة جداً. إنّ إشارة إلى مثالية رياضية مألوفة آنذاك، إلى وضع بدهي للهواة، كانت ستجعل مثل هذه الصورة سبقاً صحفياً. على أن رفاق المدرسة القدامى الذين توصلت إليهم اكتفوا بالابتسامة الشامتة حين سألت عن نشاطاته الرياضية، وقال أحدهم:" لم يسبب عاراً لمدينة كليسينهايم." وقال آخر:" الحق أنه نجح، أما أن أنتخبه أنا فلا، أنا

لن أنتخبه- وكرة القدم لم يلعبها قط، والدراجات النارية لم يكن معنا مال لها- والدراجات العادية، ربما كانت لديه دراجة. الحق أنه قدّم لنا شيئاً حين عاد من الأسر الامريكاني، وتكلم الانكليزية جيداً وساعد بصفة مترجم في إعادة البناء، وكانت له علاقات طيبة، يجب أن يقول المرء هذا- أما أن انتخبه فلا. أو حتى لو كان في الحزب الذي أود انتخابه."

إنّ صورة على الدراجة النارية ستكون جيدة تقريباً مثل صورة كرة قدم، أما الصورة الرياضية الوحيدة التي توصلت إليها عند عمة متقدمة في السن فقد أظهرته في نحو الخامسة عشرة على الدراجة ومعه حقيبة ظهر- على كل حال. وكتبنا تحتها: التجوال على الدراجة. كانت هذه هوايته في وقت مبكر"، وأجبرناه على أن يجلس وهو في الخامسة والأربعين على زلاقة جديدة في وضع أنيق. وأخيراً كان هناك في دائرته الانتخابية صناعة دراجات عادية. وصورناه وكتبنا تحتها:" ... وإلى يومنا هذا." شيء ما، شيء لم أفهمه، تّم التكتم عليه في القرية بعناد. هناك لم يتوصل إلا إلى ٢٨٪ مع أننا استطعنا أن نبيع فضله الفعلي في إعادة البناء من غير كذب أو تلفيق:" استثمر بلا كلل معلوماته في اللغة الانكليزية ومعلوماته في التعدين التي اكتسبها في الأسر لصالح وطنه المحبوب." وحين عثرت من بعد ذلك في أرشيف إدارة التعدين على صورة له بوجه تلوّث بتراب الفحم ما كان علينا إلا أن نأخذ صورة فوتوغرافية للخد التفاحي بالحجم الطبيعي الكامل وهو يربت أطفالاً ويبتسم لنساء، ومعه كلبه في أثناء نزهة، وحقق هذا أيضاً شيئاً ما، ولكن ليس في قريته حيث لم ألقَ إلا الابتسام بشماتة.

قوّمت الزوايا المعوجة في سيرة حياته بأن كتبت: طرق غير مباشرة

مؤلمة نفرته إلى حين من كنيسته المحبوبة التي اتجه نحوها فيما بعد مرة أخرى بشدة متزايدة. كان شجاعاً بصفة جندي، لكنه ارتاع مبكراً من الأهداف الحربية لحكومة مضللة". طبيعي كنت سأفضل أن أكتب " حكومة فاشية" أو "حكومة مجرمة "، إلا أن هذا تم حذفه بشكل مطلق. فاجأتني أيضاً بعض المغامرات النسائية التي علمت بها - ومن عجب أنها تروى من غير ابتسامة رضا، بل إنها لتروى على نحو أقرب إلى المرارة-، وقد خلته أقرب إلى اللواطي-، ولم أصنع من ذلك "معجزة أنه أدمى قلوب بعض الفتيات."

هناك قوانين غامضة، وبمقتضى هذه القوانين تنفع الغراميات النسائية سياسياً وتضرّ آخر. وفي هذه الحال يجب أن يكون لدوافع أسطورية لاعقلانية دورها الذي لم نستطع أن نحلله بعد. شوندت وبلوكانسكي نموذجان تنفعهما مثلاً الغراميات النسائية، وتفيد سياسيين مسيحيين بصورة دائمة تقريباً، ولا تفيد سياسيين يساريين أبداً. وقد يتوقف هذا على المطلب الأخلاقي الذي ينشره اليسار من حوله، على حين يكسب اليمين الأصوات من خلال اللاأخلاقية المكشوفة. وبهذا المعنى كان بلوكانسكي يمينياً بشكل واضح جلي. وأخيراً دخلت النبالة في الموضوع: فقد تزوج الكونتيسة آويل، امرأة ريفية خفيفة الظل ذات جمال بسيط وملكية صغيرة، إنما معتنى بها: مزارع فاكهة- وتربية أسماك من نوع السلمون المرقط. والشيء الأهم للصور كان: تربية الكلاب. كانت هنا صور رائعة: ظهر فيها وقد طوقته الجراء على شرفة القصر مثل لاووكون متألق ذي خد تفاحي. كما أنهما أنجبا أطفالاً أحسنوا فيما بعد لبس الجوخ الخشن بطريقة ريفية كونتية. هنا كان في الامكان استخلاص شيء ما من ذلك:" ابن عمال يتزوج كونتيسة.

الرابط بينهما هو الارث المسيحي." في أثناء ذلك لم يعرف منذ سنتين كيف تبدو غرفة نوم زوجته، وتنجب أطفالاً من عشيق يثبت شرعية نسبهم من غير أن يتأثر. روث التي هي الآن في الثامنة عشرة وهولدرايش الذي هو في السادسة عشرة هما وحدهما منه، إتيلبيرت ابن الحادية عشرة وميشتيلدي ابنة التاسعة هما من صلب غريب. وبهذا لا يتحطم الزخرف: في فترات الحملة الانتخابية يزور زوجته ويتصور معها، يجلس متأملاً، في حديث مع عشيقها، خبير زراعي لطيف، ذاهل على الشرفة يمتطي بين الحين والآخر حصاناً، لا بل إنه يتناول بيده مذراة لتعبئة الروث وقد شمّر كميه.

وفي أثناء ذلك لا يعيش إلا هنا، ويعتبر عنوانه متواضعاً- في حي سكني قديم حيث يؤثث منزل بالتناوب تأثيثاً أنيقاً ويخرب بيت آخر. هنا يسكن أتراك وطلاب، في مجموعات سكنية- في البيوت الأنيقة يسكن أطباء ومحامون ومليونيريون سرّيون- في مساكن ضخمة، أوسع من بعض القصور الصغيرة. على أية حال ليس هو بحي فيلات، والسيارات التي تصف على الشارع أشبعت ضرباً وملونة بألوان متعددة. بلوكانسكي نفسه لا يسوق سيارة، عنده سيارة رسمية وسائق وأحياناً يعتلي فعلاً متن دراجة عادية ويسوق حول مجموعة المنازل ويشرب في كشك مختلف عن غيره قهوة عند البوفيه. وعليّ أن أعنى بأن يتبلّغ المصورون في وقت مبكر بما فيه الكفاية. ثم يتصل بي هاتفياً ويقول:" غداً من العاشرة حتى الحادية عشرة ساعة نزهة على الدراجة." على أية حال يسكن في دائرته الانتخابية، وهنا يحقق نسبته من ٥٤ بالمائةإلى ٥٦ بالمائة، وحين يدخل أحد المقاهي يترك المجال لأن يعرضوا له "هموم

الشباب". فهو يستطيع هذا، يستطيع أن يدلي بأحاديث صحفية أيضاً: بدءاً من طريق الدراجات مروراً بالطاقة النووية حتى حبّة منع الحمل واصلاح الضرائب. وهاهي البكرات التي كلفته بها جاهزة عنده. هنا يعرف كيف يجد في زبالة العبارات التقليدية الزر المناسب، وهذا ما يستطيعه، فهو لكل الأحوال مبرمج برمجة ممتازة. لابل إني زخرفته ببعض التلجلج الناجم عن الحيرة والارتباك وبعض الآهات والتأوهات والهمهمات لكي لا يؤثر هذا كله تأثيراً غاية في البساطة والوضوح. أما الخطب فلا يستطيع أن يكتبها، وإذا ما كانت هناك خطبة في انتظاره تراخى وفتر كلياً وصار فاتر الشعور واكتأب، في هذه الحال يجب أن أذهب إليه لكي أرفع من معنوياته. وأكتب له الخطبة من أول حرف حتى آخر حرف وأدخل فيها بعض الاشياء المرتجلة التي توحي بالبساطة، وعليه هو أن يبيعها من بعد ذلك من خلال وقفات قصيرة وامساك عن الكلام ونحنحة بأنها شيء من هذا القبيل، مع أنه تمّ التخطيط لها تماماً مثل بقية أجزاء الخطبة. وفي هذه الحال أضع له بين قوسين IMP (ارتجال) وأضع خطاً أحمر تحت الموضع - عندئذٍ يستطيع أن يمسّد شعره أو أن يتحسس أنفه في حيرة، ولا مانع من أن يمدّ يده إلى ما وراء الأذن أو أن يحدق في الناحية متأملاً مفكراً، متظاهراً بأنه يبحث عن كلام. وأقسّم له الخطبة إلى رؤوس أقلام وأدخل فيها انتقالات منطقية وألقنه كل شيء بما فيه الأشياء المرتجلة. وعليه أن يقرأها لي ثلاث وأربع مرات، إلى أن يضج صوته الجهوري الرنان رنة القناعة الخالصة. إذ إنه يمتلك الصوت الذي لا أمتلكه أنا. وبصوتي الصادح الرفيع ستذهب حتى الخطبة الأكثر رزانة مع الريح وستذروها

الرياح؛ ولن أستبقي مستمعاً واحداً أكثر من ثلاث دقائق. أما هو، ولأنه لا يكترث كلياً لا للمعنى ولا للمضمون، فإنّ له صدى مثل ماريو ديل موناكو. فهو بطريقته الخيالية فارغ وأجوف - وهذا له وقع ورنين ودوي أيضاً. وأسميه أحياناً "أفضل طبول الغرب التي نملكها".

الحيرة على وجهه والاضطراب، كما أسمي أنا هذا، حين تعاوده حالة " الفتور والخمول "ويكون عنده شيء من الهرم، وآمل في سري أن تأتيه السكتة على الفور.. وللأسف لايزود تشخيص الاطباء هذا الأمل إلا بقليل من الغذاء. وبصورة دائمة ليس لدي إلا رغبة واحدة: أن أخمش وجنتيه المتوردتين طويلاً إلى أن أكتشف أي نوع من الدود سيلتهمه من الداخل. ويتمتع بذوق ورثه عن أمه التي أخذته بدورها من عند آل هيك-بافنييه، ذوقه بالنسبة إليّ أنا الذي لاذوق لي، دفع إضافي للسخط والمرارة.

استقبلني متهلل الوجه في معطف حريري ذي لون بني أحمر، وإلى ذلك شال أبيض والوجنتان منقوطتان أكثر من ذي قبل، والشعر الفضي سائب وكث على حد سواء. ثم حركاته التي فيها شيء يبارك في الواقع أستطيع أن أتصوره جيداً بصفة أسقف ،اخشى للحظة من الزمن أنه سيحتضنني. وطبقاً لأحدث المعلومات فهو ثنائي(الجنس)، وحين أسائل نفسي عما إذا لم يكن لديه أية انفعالات انسانية فلا بدّ لي من أن أعترف بأنّ لديه بعضاً منها: انفعالات جنسية ومال. كانت النار تتقد، وقال لي بصوته الفريد من نوعه والذي أحسده عليه طبعاً- فهو خافت ولكنه مدوٍّ- " يا عزيزي غروبش، ما الذي سأفعله من دونك؟" لاشيء، قلت في نفسي، لولا أنا لما كنت شيئاً.

ونهضت من على الأريكة شقراء فاتنة كان يمكنها أن تشبه إلى حدّ ما غلاماً تجدد مظهره وقدمها لي:" هذه لوري، ولا أخفي عنها أية أسرار." الحق أنها كانت حسناء، هيفاء القامة، شقراء، وفكرت بالطريقة التي يمكنني أن أستعمل بها الحيلة القديمة التي أثبت بها ما إذا كان شخص ما أنثى أم ذكراً. فالمرء يلقي بتفاحة أو كرة في الحضن: فإذا أفرجت (أفرج) الساقين فهي(هو) امرأة- وإذا ضمت(ضم) الساقين فهي(هو) رجل -على أية حال في أجواء غريبة حيث تلبس النساء عادة تنورات ويلبس الرجال سراويل. نظرت في عينيها، فابتسمت كأنها أرادت أن تقول: لا تقلق بالك فأنا حقاً امرأة.

جلست، وصبت لي لوري كأس شمبانيا. أربع مرات على الأقل في الشهر ومنذ عشر سنوات، أي نحو خمسمئة مرة كنت عنده في المنزل، ولم يفهم بعد أنّ الشمبانيا تنعسني كما تفعل القهوة أيضاً على فكرة.وإذا كان عليّ أن أعمل فأحتاج إلى شاي ومياه معدنية، وأحياناً تهيجني البيرة تهييجاً. فأعضائي البروليتارية لا تستجيب للشمبانيا. ومعدتي المرتبكة - الكثير الكثير من النقانق الرخيصة، والكثير الكثير من سلطة البطاطا دمرني، وكان عليّ أن أعمل في وقت مبكر جداً لكي أصل إلى الثانوية والجامعة.

للمرة الخمسمئة رفضت الشمبانيا بلباقة إلى حد ما، وللمرة الخمسمئة امتدت يد بلوكانسكي إلى جبينه لكأنّ شيئاً ما خطر بباله. وأبعدت لوري الشمبانيا وأحضرت بيرة، وبدأنا. خطبة تستغرق ثلاث عشرة دقيقة حول فرص وسائل الاتصال الجديدة وأخطارها. وأدرك الحزب أنه ليس جميلاً إذا رحب الأعضاء القياديون جميعهم بوسائل الاتصال

الجديدة بلا حدود. ويجب أن يكون صوت ناقد واحد مسموعاً، ويجب أن يكون هو هذا الصوت، وكنت قد ألفت له النص المناسب. وكما جرت العادة فقد تركته يقرأ المخطوط أولاً، ولأنه نهض، نهضت أنا أيضاً، وتمشيت جيئة وذهاباً وأعجبت بالأشياء الأثرية عنده والآثار الفنية. ومن بينها أشياء عرفت جمالها وقيمتها، لا بل أعجبتني الكسوة الخشبية الجدارية الزخرفية المخرمة المثبتة على قطيفة برتقالية اللون، وأغلب الظن أنه جيء بها من إحدى السرايات. واللوحات الداعرة الصينية هي من الإغراء حيث إني كنت أقع رغماً عني فريسة لإثارة جنسية، وهذه المرة وجدت نفسي أرسل نظرات شهوانية إلى لوري التي أزاحت رداءها الحريري للحظات حيث إنني استطعت أن أرى : أنّ صدرها كان في الحقيقة صدر امرأة. عندئذٍ رفع الخد التفاحي يده:" مرة ثانية على خير الوجوه ياغرويش."

ما الخطب التي لم أرتبها له في عشر سنوات، خطب عن الأحذية تارة، لكن أيضاً عن المدارس والكنائس والكوارث والأشجار وعلم الاجتماع وعلم النفس والاعلان والقانون - درست هذا وتعلمته وزدت في ثروة هذا كله ببعض المبادئ اللاهوتية. "حساء من أسلاك توصيل، خضراوات من أسلاك توصيل، وجبة أساسية من أسلاك توصيل، عقبة من أسلاك، سلطة من أسلاك توصيل، ووجبة من أسلاك توصيل بصحن واحد، وسلك توصيل للخنق، مخنوق بأسلاك توصيل مثل لاوكون Laokoon، دعاية أسلاك توصيل، وأسلاك توصيل بصفة خنق دعاية"، دوّى هذا في صوتها، معها. كان قد نهض واقفاً، المخطوط في يده : كانت في صوته رنة الاقتناع والمقتنع، وكلما ازداد ثقة في نبرة صوته ازداد يقيناً: أنّ هذه لم تعد كلماتي، كانت كلماته، ورأيه كان هذا

وتصوره. قبل هذا وتبنّاه، وجعله ملكاً له، ولا ريب في أنّ هذا كان هو الكفاءة تماماً، الكفاءة التي جعلت منه شخصاً لايعوض في الحزب: الصوت والحركات والمظهر - ووضع اليد النهائي على أفكار غريبة وعبارات ومعارف.

وعلى حين كان يمشي جيئة وذهاباً صار مثقفاً وصار في الوقت نفسه شعبياً، وأشيائي الذهنية المشوشة كلياً صارت في فمه مفهومة. وأدركت لماذا كان قد استهلك بمثل هذه السرعة مستشاريه السابقين كلهم وكاتبي خطبه، كان قد استهلكهم بأسرع مما استهلكني وأجزل لهم العطايا الكبيرة: صاروا محافظين ومديرين ومديري مصارف ومبعوثين. كان قد نحاهم لأنهم كانوا قد اعتزوا بحيازتهم الفكرية في إصرار ووضوح شديدين. كانوا قد أظهروا له تفوقهم الفكري. وهذا ما لم أفعله أنا قط: ما كتبته له كان خاصاً به، وكان فخوراً بذلك. الشيء الذي رغبني لم يكن إلا الفكرة بأن أدس له ذات مرة خطبة قد تجعل منه أضحوكة، قبل أن أخنقه: ماركسية كلية صيغت صياغة رشيقة، وفوضوية تم تنظيم إيقاعاتها بمهارة. كان جليلاً مهيباً وهو يمشي جيئة وذهاباً، خد تفاحي مع لبدة أسد، وإشارات تارة قليلة وتارة ذات موضوع و يتوقف عن الكلام، ويلقي خطبة، خطبته الخاصة به، وينطق بهذا: "التبشير الخائب بالبشرى السارة المفضوحة في جهنم أسلاك التوصيل."

تلقيت أمراً - ليس منه، بل من فوق -، بأن أدخل له بصورة دائمة أيضاً "في الموضع المشروع"بعض المفردات الدينية أو الميتافيزيقية التي استطاع صوته أن يلعلع بها مثل واعظ كفارة من عصر الباروك:" كلمة الرب الملوثة."

أنا، أنا كنت سأحول خطبة أفضل بكثير إلى كلام فارغ. وخطر ببالي كيف سيكافئني: بصفة سفير لاترجى منه فائدة وأنا ضائع من دون إيفا، وبما أنها لم تكن زوجتي الشرعية لم أستطع أن أصطحبها، لكنها تسترت بقدر الإمكان بستار كاتبة محضر. لن أتعلم أبداً أن أميز كوكتيل سرطان البحر من مقبلات سمك عادية، ويحتمل أن أهمس في أذن ربة المنزل:" لكن هذا سمكة رنجة رائعة." ولا أصلح أيضاً لوظيفة رئيس مصرف لأنني سأفكر كثيراً جداً أين سيصب المال وكيف يعود ضعف ما كان عليه. يا إلهي، بيتهوفن، والصناديق ذات الطراز الأصيل، سواء أكانت من عهد جورج أم عهد إدوارد- كل شيء سدّد بالمادة الالهية التي تجري بالنسبة إلينا في عوالم ماركو المغبوط أو بينوشيه المغبوط، لا بل تجري مثل الحليب والعسل في عوالم بريجينيف، أكثر الناس غبطة، هذه المادة الالهية التي تصنع من عرق ودم، من دموع وخراء. وإذا ما ذكرت كابسْبيتر اضمحلّ بلوكانسكي نفسه إلى أحد الأوغاد السوقيين الذين يتم إرسالهم إلى السياسة لكي يأكلوا خراء. كان كابسْبيتر يستحم يومياً بدم التنين، ولم تسقط ورقة زيزفون على جسده الشيخوخي الناعم الأبيض البشرة. أين بقي المال والشعر والذهب من آخر الأسنان الذهبية المنتزعة، أين بقي هذا؟ من ذا الذي قبض عن الصابون الذي صنعوه من الجثث، وعن الشعر الذي صنعوا منه فرشاة؟ أين كان السادة ذوو الوجوه الدقيقة القسمات والأيدي الناعمة كالايدي للعزف على معزف قديم؟ على أية حسابات كانت قد حوّلت هذه الأموال؟ يا إلهي، أي ملاك، منكم ايها الملائكة مسني في كتفي ونقل إليّ هذه الكهرباء الميتافيزيقية التي تجعلني أحسّ برجفة، أنا التهكمي

المعروف بعامة، المحلل والمفكك والمركّب. أنا الذي لم يبهرني لا شوندت ولا بلاوكريمر، لا هابيركام ولا بينغرلي؟ من ذا الذي شحنني بالقلق والقوة اللذين لا يمكن أن يهدئهما إلا حساء ايفا وزيت الخزامى الخاص بها؟.

يجب أن أبكي مع بيتهوفن دائماً، وأعرف أنّ هذا مبتذل وأعرف أن المرء لا يفعل ذلك. هذا أمر لابدّ منه ولا سبيل إلى غير ذلك. أمس فقط كبتّ الدموع عند كابسْبيتر وقلت في نفسي: لابكاء أمام هؤلاء، ليس أمام هؤلاء. في هذه الحال كنت سأفضل البكاء في حضرة بلوكانسكي. حساء كزبرة مع قليل من الحليب وقليل من العسل والشيري ولحم منسّل طري كل الطراوة. أنى لي أن أحيا من دونك يا ايفا ومن دون شورباتك التي لا أستطيع أن أتناولها للأسف قبل التلفزيون لأنّ نظارتي تكتسي بالبخار. آه، يا ايفا، لا ترحلي عني، اتركي صاحبك الكوبي يرحل نهائياً، فهو شكلاً ومضموناً ليس تافهاً: شاب عنيف له جاذبية ذكر شيوعي، وأنت ستقبعين في كوبا ولن تغادريها بعد ذلك. لا، فالصبي ليس تافهاً مبتذلاً - فهو يتحمس لفيديل ويحلم في تشي، ويفضل أن يكون في الخارج على أن يكون في الداخل حيث تخنقه البيروقراطية. وفي وسعي أن أفهم أنك تريدين أن تكوني عنده ، فهو لايزال يتمتع بشيء من التهور المشرق الذي يخالطه غضب ثوري، شيء هزنا كلنا ذات مرة، وهزني أنا على أية حال. لكن لا تتوهمي أنه يمكنك أن تبدئي معه مغامرة. لازميه، وإذا قر قرارك على الذهاب إلى كوبا فانتظري إلى أن أصطحبك أنا. فأنت في حاجة إلى متهكم ساخر، إلى محلل ورجل قانون وعالم اجتماع، أنت في حاجة إلى

سياسي، إلى شخص يصنع سياسة. لازميني ولا حاجة إلى أن تتزوجيني، وإذا ما كافؤوني من بعد ذلك على خدمات مخلصة سريّة، ففي مثل هذه الحال أريد مركز مدير، السلطة الحقيقية إلى جانب المصارف. وإنّ كونتيسة حقيقية، وإن لم تكن خلقت كونتيسة، ستناسبني باستهتارها العفّ وذوقها المعصوم عن الخطأ، ومن ثمّ، وبعد ذلك أستطيع أن ***أصنع*** سياسة في النهاية. لاأزال باقياً هنا وآمل بصورة دائمة: هذه هي دولتي، هي صنعتني وأنا صنعتها. وإذا ما سمح كابسْبيتر بدعوتي ***ترك*** ابنته تفعل ذلك يا ايفا - بدافع الفضول والتفضل، بقليل من الاشمئزاز والاحتقار، يسمح إذاً بدعوتي - وهل أدعوه أنا؟ اضحكوا واضحكوا ، اضحكوا، وهل تفهمين الآن أنني في ذلك الحزب الذي كان سيكون أبعد شيء عن ظنك بأنه سيكون في إمكاني أن أكون فيه؟ مكاني الحزب، ذلك لأنني بلت لتوي على صورة تمثل عيسى والقلب على الصدر محوط بهالة.

ويحاول الخد التفاحي المرة تلو المرة أن يتهرب من نتيجة التلقين الأخيرة الحاسمة التي أجبرته عليها وعليّ أن أجبره: بأن يذهب إلى إحدى المكتبات ليسجل بنفسه وبصوته على الشريط الوساخة كلها لنستطيع بعد ذلك أن نستمع إليها معاً - على نحو موضوعي إن صح التعبير. فأنا أسمعه وهو يسمعني، لا من فمه، بل من المكبّر. ولا أستطيع أن أعفيه من هذا: إنها التجربة الأخيرة والأهم لضبط الإيقاع والنغمة ومصداقية الارتجال، وإنه لجميل إذا ما تقزز هو من خطبته بعد ذلك. فيتقيؤها بشكل سليم حين لا يجد مناصاً من إلقائها، وعليه أن يعرف ويشعر : أنّ السياسة صعبة، قذرة وضرورية - وبغيضة ممقوتة.

يحاول المرة تلو المرة أن يتهرب، إلا أنه من طبيعتي أن أنظر إليه

وأوجهه إلى الغرفة المجاورة بحركة من الرأس لا يستطيع أن يقاومها، وهكذا يتسلل إلى الخارج مثل كلب يرغب في العض، إلا أنه يقرر بعد ذلك أن يحرك ذنبه. وبذلك بقيت وحدي مع لوري التي جلست إليّ وانتقلت أيضاً إلى البيرة. سألتني عن نشأتي - وكتمت منبتي البروليتاري وأوجزت في وصف المدرسة والجامعة والعمل السياسي: نائب وعمل في اللجان. لا شيء عن أبي، مشوّه ذو عاهة في العمل بساقين مشوهتين ضربه بعنف سير نقل حركة محولاً إياه إلى مشوه وغشوه بعلة إهمال مزعوم بمعاش ضئيل. لاشيء عن أمي، امرأة جميلة وحازمة لديها مشاعر ورغبة قاسية أن "تتركنا كلنا نصبح شيئاً ما". فناء خلفي في مدينة فوبرتال: رائحة النفايات وجرذان تمرق بسرعة خاطفة والغسيل الرمادي الذي ينقّط على المنشر. أكان من الضروري أن أحكي لها هذا، هي التي كانت تجلس هنا في ردائها الحريري؟ الأم كاثوليكية، والأب بروتستانتي ينحدر من بروسيا الشرقية ، أب لم يتمتم دائماً وفي كل مكان بأي شيء، بأي شيء، بأي شيء حتى إنه لم يؤمن بالاشتراكية. كان يعرج إلى رفاقه الذين دسوا له في الجيب صاحبهم كربوتكين: غرفتان ومرحاض وصنبور ماء أوطأ بنصف درج. وما يسميه المرء اليوم" خبرة جنسية أولى"، في الدهليز، كان علينا أن نعرض للفتيات "ما كان لدينا" وهن كنّ يعرضن لنا ما كان لديهنّ، كنا نتحسس بعضنا بعضاً إلى أن تنشأ التهليلات ونكتشف مصدر أفراح مجانية، ومن ثم كانت الفتيات يردنه "بشكل صحيح"، وكنا نعطيهنّ إياه بشكل صحيح.

أكان علي أن أحكي هذا كله للوري المتلفعة بالحرير والتي أظهرت على نحو أكثر وضوحاً أنها حقاً امرأة وأعترف لها أيضاً أنّ صدمتي

النفسية الشديدة كانت في أنني لا أقدر أبداً على هذا في الاستلقاء، وإنما في الوقوف فقط، ولم أعرف إلا رقم درج القبو البروليتاري. كانت ايفا علمتني بصبر وحنان والدموع ملء عينيها أحياناً أن أمارس الحب في الاستلقاء. كم كان الاستلقاء جميلاً، وقبل كل شيء: أن يستطيع المرء البقاء مستلقياً. نحن في البيت ماكنا سنعرف أين نستلقي. صاحبتي ايفا الفطنة التي يحمر وجهها خجلاً ولو لم يتم الإفصاح إلا بأقل تلميح بعبارات مكشوفة، علمتني هذا، لا في السرير فحسب، بل في الغابة أيضاً، على المروج، في الصيف، مستلقياً. في السابق لم أستطع في الحديقة حيث كان يمكن أن نستلقي، دائماً على الشجرة ومسند المقعد. كان هناك زمن اعتبرت فيه أولئك الذين كانوا يستلقون على السرير منحرفين جنسياً. ونحن بلنا على صور القديسين وذهبنا مع ذلك إلى تناول القربان المقدس الأول، وحصلنا على ثياب وهبتها لنا سيدات محسنات جلبن بأنفسهن أيضاً كعكاً بيتياً وبويقات زهر وشرائح من اللحم البارد، ولكن لا مال لأننا لم نعرف كيف "نتعامل" مع المال. أجل لم نتقن هذا لأننا لم نملك أي مال. وطبيعي حصلت على تشجيع ثقافي وتمتعت بمنح، إذ إنني كنت "موهوباً جداً"، إلا أنه كان عليّ أن أعمل أيضاً: أن أعتل وأعزق وأنقل أثاثاً وزبالة، وكان عليّ أن أبتلع أبخرة القيء في الكيمياويات ولعنت أحياناً موهبتي حين كنت أكدّ وأجدّ في القراءة مساءً في ضوء معتّم، لأنّ أخي وأختي كانا نائمين في الزاوية وأحفظ جاهداً اللاتينية أو آدورنو، هيجل وهولدرلين، وكنت ألعن الشيخ إذا ما عاد ثملاً من جديد، وكنت أشتري له العرق إذا لم يكن عنده عرق، بدافع ***التضامن***، رغم آدورنو وهيجل وهولدرلين. طبيعي أنني كنت

أذهب إلى فريق السيدات المحسنات لا إلى فريق آخر. كان في إمكاني أن أرقى عندهن إلى ما أريد على نحو أسرع. وأردت الارتقاء، وكان هذا عند الأخريات عملاً صعباً جداً. إذاً التحقت بفريق السيدات المحسنات اللواتي لم يعطيننا نقوداً لأننا لم نستطع أن نتعامل بذلك. وطبيعي أنني كنت أذهب إلى الكنيسة، من أجل أمي، ولم تعق الكنيسة صعودي، وما زلت أذهب حتى اليوم إلى الكنيسة ولو أني لا أستطيع أن أتحمل منظر قس إلا بجهد جاهدٍ.

أحياناً أذهب إلى المصرف وأجلب نقوداً، نقوداً كثيرة مع أنّ بدني يقشعر حين أسائل نفسي عن مصدر هذا المال، وما زلت لا أحسن" التعامل" مع المال. إنه لا يناسبني، إذ إنني أفتقر إلى الذوق. ولكي يستطيع المرء التعامل مع المال يجب أن يتمتع بذوق، وهذا غير متوافر لدي، وايفا أيضاً لم تستطع أن تعلمني إياه؛ لابدّ أن يكون المرء قد خلق لذلك أو تربّى تربية مغايرة. وأمّ بلوكانسكي تتمتع بذوق، وهونفسه، وايفا وكرينغل وكابسْبيتر. أين يستطيع المرء أن يتعلم هذا ؟ كم ذعرت ايفا حين زارتني أول مرة في حجرتي النيابية المقفرة، فقد وجدت كل شيء "فظيعاً ومقيتاً"، وسمتها وجار كلب، ومنذ ذلك الحين صار الذوق والطبع أحد موضوعاتنا المحببة المزعجة وكيف أنّ أكثر الناس من ذوي الذوق السليم يتمتعون بطبع رديء وأنّ أكثر الناس من ذوي الذوق الرديء يتمتعون بطبع حسن. ما كنت لأستطيع أن أشتري كرسياً أو أختار ورق جدران، وإذا ما كان عليّ أن أشتري أدوات مطبخ بحثت بشكل آلي عن سقط السنوات الأربعين الأخيرة الذي لم يعد لحسن الحظ متوافراً. وأحياناً وحين أكون مدعواً إلى مأدبة دبلوماسيين ممتازة، عندها

أسير سراً إلى أقرب كشك للمقالي وآكل سجقاً بالبهارات مع بطاطا مقلية ومايونيز (صلصة كثيفة من صفار البيض المخفوق والخل والزيت والملح) لكي أشبع لأنني لا أستطيع الانتظار إلى أن تقدم لي ايفا شوربتها الرائعة.

فجأة عرفت هذا، ولست أدري إذا كنت شممت ذلك أو رأيته في عينيها: كانت لوري على شاكلتي. وحكت لي ما لم أحكه لها: عن ماضيها البروليتاري، لا في فوبرتال وفي كولونيا، وبعد ذلك بجيل تقريباً، ليس فناء خلفياً، بل مساكن انعزاليين لااجتماعيين خاصة بالسنوات الخمسين الأولى، وهي عرفت: رقم درجات القبو وهتافات مسرات مجانية، وعرفت السيدات المحسنات اللواتي جلبن المنتجات الطبيعية لأنّ المرء لم يستطع أن يتعامل مع المال. وأبوها، ليس مشوّهاً، كان أيضاً سكيراً، إنما "شخص له سحره وهذا الصنف هو الأدهى "، وهي أيضاً تعلمت التقيؤ في مصنع كيميائي، وهي أيضاً اشترت لأبيها عرقاً مع أنها كانت تكره سكره، وهي أيضاً أرادت الصعود في وقت مبكر بما فيه الكفاية قبل أن يدمرها العمل. ووجدت أنه أنسب لها أن تصبح صاحبة بلوكانسكي من أن تدس السيدات المحسنات شيئاً ما في يدها: بعض الجوارب، قطعة صابون، لا بل بطريقة سرية علبة من علب منع الحبوب كي لا تحبل أيضاً إذا ما "مارست الحب بطريقة لا حدّ لها". آه، يالوري، ليس في مقدور المرء أن يحب امرأتين، فهذا حلم بورجوازي، والمثلث المنشود دائماً الذي يكون إيجاده أصعب من تربيع الدائرة. لا يمكن أن يكون للمرء امرأتان، إما واحدة وإما - عشرات كما الحال عند شوندت. وإلا أخذتك معي، إذ إنك راهنت على المزيف الذي سينتهي

صعوده قريباً، وإلى أين تريد أن تصعد من بعد ذلك؟ ماذا تعلمت: المدرسة بقدر، والمصنع الكيماوي وقليلاً من البغاء. أيتها الفتاة، كان يجب أن أشتمّ بأننا على شاكلة واحدة.

ما كانت ستفعل ذلك: أن تنهض وتضع الشريط في الجهاز. بيتهوفن - لا. كنت في الخامسة والعشرين قبيل نيل إجازة الدكتوراه حين أخذتني صديقة معها إلى الحفلة الموسيقية. حتى ذلك الحين كنت أكتفي بالدندنة والرقص في المرقص والاستماع إلى موسيقا الجاز. وحين استمعت إلى بيتهوفن كان عليّ أن أبكي، لم يكن الذنب ذنبي، في هذه الحال ليس في اليد حيلة. لا علم لي بالموسيقا، لم أصغِ قط إلى ذلك في المدرسة لأنني كنت متعباً. أما بيتهوفن فأنا أعرفه، وأتعرف عليه - من أين؟ من أين عرفت لوري؟ اللعنة، هي أيضاً بكت، وأنا قبلتها.

كان هو مستلقياً حين تذكرناه أخيراً وفكرنا طويلاً أين بقي طوال هذه الفترة الطويلة: هناك استلقى، هينيس من كليسنهايم، كان في غرفة العمل، كان قد استلقى فوق مكتبه يلتقط أنفاسه. وذعرنا من اصفرار وجهه: لا أثر لاحمرار الخدين. كانت سماعة الهاتف تتدلى، ومن الشريط كان ينطلق صوت مدوٍّ:" في التقيؤالكابلي ستختنق الكلمة الربانية - ستختنق." لم يكن مخنوقاً، على أنّ الاصفرار في وجهه الذي لم نعرفه إلا وردياً أظهر غريباً ظننت أني أعرفه. اندفعت لوري صوبه وقبلته على وجنته الصفراء وصرخت:" كنت دائماً طيباً معي، دائماً طيباً!" وبكت فعلاً، وتحت طلاء وجهها بانت بشرة درج القبو البروليتاري: صفرة منعكسة في الخضرة التي هي علامتي أيضاً. وأوقفت جهاز التسجيل الرهيب ورفعت السماعة المتدلية إلى أذني وقلت:" آلو؟" وسمعته

وسمعت الصوت الذي أعرفه المعرفة الجيدة، عضو بلاوكريمر الحاد العنيف:" ألم تفهم بعد؟ قضي عليك. لقد أنجز البولونيون ما لم ننجزه نحن."

أخذت لوري السماعة من يدي." الطبيب أم الشرطة؟" سألت متخوفة قلقة. قلت:" الطبيب"- لم أعرف هل كان شفقة، خوفاً أم كان أيضاً رعباً فقط حين رأيته ملقى هناك، غير معرّف بسبب شحوبه، لكنه معروف: إنه هينيس من كليسينهايم الذي تقدمت به السن ولم يحقق مأربه.

الفصل السابع

(غرفة اليزابيت بلاوكريمر في فندق حمامات معدنية، غرفة واسعة فيها مكتب وهاتف وتلفاز، فيها نافذتان كبيرتان تطلان على المروج باتجاه طرف الغابة. على الجدران طبعات من رسوم كلي Kleeوشاغال وهوندرت فاسّر أو بيكاسو، وهناك زهور على الكوميدينة. الغرفة محافظة دائماً على درجات لون بين الأصفر والبني وكثير من ألوان بايغي، والسقف مزدان بإطار مذّهب بذهب قديم. في الصدر، إلى يسار المكتب الصغير نوع من السفرة يحيط بها طقم من مقاعد يتألف من أريكة ذات ثلاثة مقاعد ومن مقعدين مريحين. السيدة بلاوكريمر تجلس على الأريكة وتجلس قبالتها السيدة الدكتورة دومبلر في أحد المقعدين المريحين وهي امرأة في منتصف العقد الرابع. ولا يمكن التعرف على السيدة دومبلر بأنها طبيبة، كلتا السيدتين تلبسان ثياباً هادئة. على المنضدة إبريق شاي وفناجين وكعك في طبق.)

د. دومبلر: لو أنك فهمت أنك جمّلت ذكرياتك، ولنقل بشّعتها على حد سواء لما كان هناك من داع إلى أن تخجلي من نفسك. معظم الناس يجمّلون ذكرياتهم ويجعلون أسباب صدماتهم النفسية أسوأ. في كثير من الصدمات النفسية التي نشأت فيما بعد تعود أسبابها في عهد

الصبا والطفولة إلى الآباء والمعلمين. ويجمّل المرء ذكريات أخرى بشعة. وهناك حالات ثبت فيها أنّ الآباء كانوا لطفاء وعطوفين ودقيقين، أما في الذاكرة فتمّ تحويلهم إلى فزاعات حيث تستحيل تجارب حب لطيفة إلى تجارب حب كريهة وبالعكس. وإنّ رجالاً تم إغواؤهم يتحولون إلى غزاة وغواة. وعندهم يكون كلا الأمرين: تجربة بشعة جداً يتم تجميلها أو يتم تلوينها إيديولوجياً على غير وجهها. ولدينا أقوال مؤكدة، بعضها مثبت قانونياً ومعظمها شهادات مكتوبة عن موت أبيك وأخيك وكذلك عائلة بلوتسيك. فأمك وأختك المرحومة وتيني بلوتسيك الناجية وهي الآن زوجة إرميك، أقسموا إنّ أباك أعدمه الروس رمياً بالرصاص، ثم شنق قبل أخيك ... وكذلك أسرة بلوتسيك. أما أنت فقد بقيت على عنادك أنّ المسألة كانت مسألة قتل وانتحار. (تبتسم) يجب أن يكون فيك آلية تبرير عجيبة للروس لها علاقتها بالتجربة الثانية التي تضفي عليها بعناد طابعاً رومانسياً.

اليزابيت بلاوكريمر (بهدوء): أعرف أنّ أمي وأختي تزعمان أنّ ديمتري اغتصبني وأنّ علاقة غرامية رومانسية كانت ستربطني بإيبرهارد بلوتسيك ابن السادسة عشرة. وذلك وفق نموذج انكليزي اسكوتلندي رومانسي مجرب: فتاة نبيلة عريقة النسب تحب سائس خيول. لا شيء رومانسياً كان في هذه العلاقة بإيبيرهارد: كان يمد يده المرة تلو المرة تحت التنورة، وكل مرة كنت أصفعه. لم أرغب في أن أفضحه، وعرف هو هذا وأراد أن يغتصبني اغتصاباً. وديمتري (تبتسم) لم اغتصبه اغتصاباً، بل أرغمته إلى حد ما على أن يقبلني وأن يعترف لي بحبه. كان خجولاً خجلاً يفوق كل وصف. كان يجلب لنا دائماً السكر والشاي أيضاً، وتارة

لوحاً من الشوكولا وشحم الخنزير أيضاً. كان خجولاً إلى حد الشفقة، يضاف إلى ذلك احترام النبالة الخرائية التي يحملها الروس كلهم بدمهم. كان قد أوى مع رئيسه، ضابط عقيد، إلى منزلنا. (تريد السيدة د. دومبلر مقاطعتها، لكنها تنهض وتنفجر وتتكلم بصوت عالٍ.) أبي وأخي وآل بلوتسيك أعدمهم الروس - مهما يكن السبب! فقد توافق هذا بشكل جيد مع قصة الهرب. كان قتلاً وانتحاراً. أول الأمر رموا بالرصاص كلا فرسينا الأخيرين، وكان دم على أرضية الاسطبل، دم سميك، دم كثير، بل إنهم شنقوا اريش الصغير المصاب بالاستسقاء الدماغي. كان كثيراً على الألمان أن يبقوا على ألماني صغير مصاب باستسقاء دماغي. سمعت هذا ورأيت هذا. (تشير إلى إطار السقف.) هناك على عارضة السقف علقوا ولدين من أولاد بلوتسيك، أبي وأخي وبلوتسيك نفسه. وقالوا لا خسارة على النساء، جميعهنّ عاهرات على كل حال. رموا الجميع بالرصاص وشنقوهم ثم شنقوا أنفسهم إلى جانب ذلك.

أجل، يسمي المرء هذا صدمة نفسية عنيفة. ثم سارت الأمور بسرعة، وكان علينا الرحيل، وأمي لم يكن في ذهنها شيء آخر: هل في الامكان أخذ لحم الخيول - لم تفكر دائماً إلا بالأكل. ربما جاء من بعد ذلك آخرون اغتصبوا وقتلوا وشنقوا، ربما، لكنني لم أغتصب. (بصوت خافت). دلَّ مظهره أنه في السابعة عشرة، وكان في الثانية والعشرين، كان ترجماناً، أجل، أحب كلٌّ منا الآخر ومارسنا الحب معاً، لكن بعد ذلك، بعد ذلك كان غاية في رقة المشاعر لكي يجلب معه شحم خنزير أيضاً. شحم خنزير وحب، وهذا ما كرهته روحه الشاعرية، اكتفى بالشاي والسكر، وسألتني أمي لماذا لم يعد هناك شحم خنزير - أنت ترين لماذا

لم يعد هناك الآن شحم خنزير. عرفت كل شيء وارتاحت للأمر. تمنت شحم الخنزير في المقلاة وفي الخضار وعلى الخبز، وأختي الصغيرة أبدت سخطها على الحليب والكاكاو، وأنا، أنا لم أكن رقيقة المشاعر مثل ديمتري.

(تريد السيدة د. دومبلر أن تقاطعها مرة أخرى، و تستوقفها اليزابيت بلاوكريمر بحركة من يدها.) لا، انتظري، فقد حكى لي ديمتري الكثير، الكثير جداً عن الاستجوابات التي ترجمها في أثناء ذلك. كل شيء عن القتل والحرق والتدمير، وكذلك أيضاً استجوابات كان في غنى عن ترجمة ما يجري فيها، استجوابات مع روس حول نهب واغتصاب. أحب كلّ منا الآخر، إذا ما فهمت معنى ذلك، دلفنا معاً إلى المخدع. وأمي تمنت شحم الخنزير، والزبدة أيضاً لم تحتقرها. وظل ديمتري يوقرها لأنها كانت بارونة. ثم ألقي القبض عليه، وطبيعي أنه لم يعد هناك شحم خنزير ولا زبدة، ولا حليب ولا شاي ولا كاكاو، لا دقيق لكي يخبز الخبز. كما أنّ العقيد ، رئيس ديمتري، ألقي القبض عليه. عندها كان قد آن أوان الذهاب من الشرق إلى الغرب وآن الوقت أيضاً لبناء القصة.

د. دومبلر: القصة التي شاركت فيها؟

اليزابيت بلاوكريمر: أجل، شاركت في قصة مسدسات اللصوص كلها.

د. دومبلر: كذبها مفترى إذاً - بحسب فهمك تمّ الكذب بما يمكن أن يكون صدقاً.

اليزابيت بلاوكريمر: أجل، تم الكذب. حاولت أن أعرف شيئاً عن ديمتري - لا شيء - لاشيء، لاشيء.

د. دومبلر: نشطت أيضاً في الصداقة الألمانية السوفييتية؟

اليـزابيت بلاوكـريمر: أجل، نشطت، أردت البقـاء أيضاً في الشرق، آه، ليتني بقيت هناك. (تجلس منهكة القوى وتأخذ في البكاء.)

د. دومبلر: أردت البقاء في المنطقة الشرقية طوعاً واختياراً؟

اليــزابيت بلاوكــريمر: أجل. رأت أمي أنّ الاقــامــة هنا أفـضـل من الاقامة في الجانب الآخر: الاصلاح والسكن والمال، وقبل كل شيء كان هنا أقرباء ملزمون بإيوائنا. وجئنا في بادئ الأمر إلى المعسكر المؤقت.

د. دومبلر: لا بدّ أن يكون اضطرابك بدأ آنذاك. عليك أن تفـهـمي أننا نريد أن نسـاعـدك ونشـفـيك ونريد أن نسـاهم في أن تتـمكني من استعادة سعادتك. هاتان الحادثتان كلتاهما اللتان يتم تصويرهما تصويراً متناقضاً هما الأساس واللب لبقية مصيرك. أمك وأختك المتوفاة اجتمعت شهادتهما على: الاغتصاب - والقتل.

اليزابيت بلاوكريمر: كذبتا باجماع الرأي ...

د. دومبلر: وأنت نفسك تقرين أنه تم الكذب.

اليزابيت بلاوكريمر (في عصبية): أردنا الخروج من كوخ اللاجئين هذا، الخروج أخيراً. عندها جاء بلاوكريمر مع لجنة حزبه وعرض علي الزواج ومنحني يوماً للتفكير، وقالت أمي: " تزوجيه، تزوجيه - وفي هذه الحال سنكون في غنى عن الذهاب إلى ابن عمي البخيل بلودينهوفل. بالله عليك تزوجيه، وإذا لزم الأمر صرنا كاثوليكيين." (بصوت خفيض) عندئذٍ تزوجته - وعلمت أنّ ديمتري ومعه عقيده لم يعثروا لهما على أثر.

د. دومبلر: وبقيت على اتصال بالمنطقة الشرقية؟

اليـزابيت بـلاوكـريمر: أجل، جـاء أيضـاً إيفـان، صـديق ديمتـري، إلى هناك، كـان خطراً عليـه، لكنه جاء وقـال لي إنّ علي الرحيـل نحو الغـرب إلى أبعـد مكان ممكن. (بصـوت خافت). عندها تزوجت بلاوكـريمر، وكـان الذنب ذنبي لا ذنبه.

د. دومبلر: زواجك بالدكتور بلاوكريمر كان يقوم إذاً على كذب؟

اليزابيت بلاوكريمر: طبعاً. (ببرود) ومن جهته أيضاً، لم يكن مغرماً بي، فقد فـتنه الاسم النبـيل الرنان. عـرف كل شيء، وحكيت له كل شيء عني وعـن ديمتـري. عـرف كل شيء وعـرف أيضـاً أنني لم أغـتـصب. **هو** اغـتصبني من بعد ذلك. واستعـمل كل شيء، كل شيء لكي يظفـر أيضاً بطلاق كنسي.

د. دومبلر: تقصدين الفسخ، إذ لايوجد طلاق كنسي.

اليزابيت بلاوكريمر: حسن، ليكن... فسخ. لم أفهم قط ماالفرق.

د. دومبلر (بقسوة): إنه فرق قانوني. لا يوجد طلاق كنسي.

اليـزابيت بـلاوكـريمر: حسـن، فرق قـانوني، إنما كـان السـبب الأسـاسي أنني لم أرغب في أن أنجب أطفـالاً منه. لم أرد أيَّ أطفـال بعـد أن رأيت الكثـيـريـن هناك فـوق (تشـيـر إلى السـقـف) مـعلقين - أطفـالاً ألمانيين. (بصوت أكثر خفوتاً). ملفات الطلاق، لا، ملفات الفسخ يمكنك أن ...

د. دومـبلر: لايحق لنا الاطلاع على الملفات الأسقفـيـة، ليـست في متناولنا.

اليزابيت بلاوكريمر: طبعاً لا - لكنه مسجل فيها، هكذا، كما رويت لك - (بهدوء)، كل شيء. وطبعاً: ما كان يحق لي أن أتزوج بلاوكريمر،

فقد خدعته، وهو انخدع بي. لا أدعي على أحد، أشكو فقط - لو، لو، لكان، لكان، لكان - لكن ليس بشيء، لم يكن هناك شيء. وأنا الآن في منتصف العقد الخامس، والشيء الوحيد الذي كان هو ديمتري والأموات فوق في السقف في اسطبلنا، اسطبل الخيل - ودم خيول، كثير وسميك على الأرض ...

د. دومبلر: خيالك - عليك أن تروضيه.

اليزابيت بلاوكريمر: لا ذرة خيال عندي. ربما كان هذا سوء حظي، ربما كان هذا علتي التي كان عليك أن تشفيني منها. لا خيال عندي، ذكرى فقط، هبيني خيالاً - وسروراً.

د. دومبلر: ثم ستندس فيما بعد أشياء في ذاكرتك- أود أن أقول، أشياء لايمكنها أن تعتمد إلا على المخيلة، وهذه الأشياء تجعل الأمر صعباً أن نصدقك فيما تحكينه عن تجربتيك الأساسيتين كلتيهما.

اليزابيت بلاوكريمر: مثلا؟

د. دومبلر: يقال إنّ الملفات أتلفت، ويقال إنّ حبراً تقّرب بطريقة مخالفة للآداب، ويقال إنّ شوندت تسلل إلى غرفتك - بإذن من زوجك السيد الدكتور بلاوكريمر.

اليزابيت بلاوكريمر: رأيت هذا ومررت به مثلما رأيت أولئك معلقين هناك فوق. وما كان يصح أن أحكي قصة الحبر، كانوا قد سكّروه، ويطيب لهم أن يفعلوا ذلك، لاسيما مع رجال الدين، والمسكين لم أكن غاضبة عليه، بل رثيت له. كان ينبغي أن أسكت على ذلك، وكذلك على شوندت الذي دخل غرفتي وهويبتسم ابتسامة الشماتة، وسمعت بلاوكريمر يضحك في الخارج.

د. دومبلر: تجارب جنسية لاغير. وبعد نهاية مريرة على هذا الشكل لاولى مغامراتك العاطفية - ولنفترض أنّ هذا صحيح، - بعد التجارب السارة بعض الشيء مع بلوتسيك الشاب، ولنفترض أنّ هذا صحيح أيضاً -، بعد هذا كله يجب أن تفهمي أننا نفترض هنا نموذج مخيلة يناسب التجارب النفسانية. والنار أيضاً، النار التي أتت، كما يقال، على ملفات بلوتغر- النار رمز جنسي أساسي.

اليزابيت بلاوكريمر: في إمكانك أن تعكسي الحجة أيضاً (بما أنّ د. دومبلر تنظر إليها متسائلة) .لم يستطع بلاوكريمر أن يظفر بي، لم يظفر بي قط، ولهذا أرسل إليّ هذين الشخصين إلى الغرفة: الحبر الذي كانوا قد صبوا له خفية الكثير من العرق، وشوندت. وكلاهما لم يظفر بي ذلك، لأني كنت ذات مرة ملكاً لديمتري وسأبقى. والنار أيضاً - لم تكن بي رغبة في الذهاب إلى رحلة الصيد هذه، هنا التفوا حول النار سكارى وألقوا بالملفات فيها - ما من شيء، ما من شيء أستطيع إثباته- لا شيء. إلا أنني رأيت.

د. دومبلر: لو عرفت ما يدعي بعض ضيوفنا أنهم رأوه هنا وسمعوه وعاشوه.

اليزابيت بلاوكريمر: نعم، السيدة شفيتس البدينة وبيبر الصغيرة. فالسيدة شفيتس تذهب ثلاث مرات في اليوم إلى الخزنة الفولاذية وتراجع عدّ النقود: فقد أعطاها شفيتس ٢٥٠٠٠٠ مارك لكي تتركه وشأنه، إذ إنه ليس في الإمكان تطليقه منها. إنها ٢٥٠٠ ورقة مالية من فئة المائة مارك - خمسون رزمة في كل منها ٥٠٠٠ مارك - ثم تعيد عدها لأنها لم تصل إلا إلى ٢٤٩٥٠٠ مارك. لم أعطاها هو هذا

المال؟ وتستحم بيبر الصغيرة وتستحم وتستحم طوال النهار، فلا تزال تغسل بشرتها. ثم تستصرخ يسوعها بصورة دائمة. عرفتهما كليهما حين كانت إحداهما لاتملك أي مال وحين كانت الأخرى تقوم بكل شيء إلا استصراخ يسوعها: الرقص والتنس والغزل والثياب - على براءة - شقراء صغيرة لطيفة فعلاً. لماذا تستصرخ الآن يسوعها، لماذا ينبغي على هذه أن تستحم بصورة دائمة و تغتسل وعندها دائما كدسة جاهزة من الثياب؟ كما أني عرفت أيضاً زوج كل منهما: شفيتس وبيبر. لم أعطاها شفيتس هذا المال الكثير؟ ما علاقة هذا بالخيال؟ (بصوت أعلى فيه لهجة التهديد إلى حد ما.) أي شيء ينبغي أن أصرخ به؟ ماذا؟ ديمتري الذي مضى على موته نحو أربعين سنة، وأنا لا أملك الخيال لأتصوره وأنا امرأة في الثانية والستين، وهو الذي ترجم هولدرلين إلى الروسية. فأنا لا أراه هكذا ولا أستطيع أن أستصرخه. ورأيته شاباً ولم أعد أرى نفسي شابة.

د. دومبلر: على كل حال عشت مع السيد الدكتور بلاوكريمر في سلام في مدينة هولزبولتسينهايم.

اليزابيت بلاوكريمر: نعم، بل أحببت هذا أحياناً، جلسة قهوة، حفلات، حفلة رماة، لابل كنت أذهب إلى حفلة رقص رجال الاطفاء: كنت راقصة كثيرة الطلاب، طبعاً حفلة تدشين كنسية، كل شيء من أجل الحزب، فقد جلب هذا أصواتاً مع أنه كان لديهم ما يكفي من الأصوات. على أن بلاوكريمر كان يرى أنّ المزاج يجلب أصواتاً وقد لا يشبع المرء من الأصوات. ومع أني ما كنت سأضطر إلى اعتناق الكاثوليكية، إلا أنني اعتنقتها. وقال بلاوكريمر: حسناء بروتستانتية بروسية نبيلة- هذا

مناسب، كان هناك شيء دخيل مجلوب. لكنني أعجبت بالكاثوليكية، وبذلك غيرت مذهبي، وأرضاني أن يكون لبلاوكريمر غرامياته - وبهذا تركني في سلام. أراد أن ينجب أطفالاً - وتساءلت لماذا يريد شخص كهذا أن يكون عند أطفال. لم أرغب في أي أطفال - كنت أرى بصورة دائمة أخي وأولاد بلوتسيك معلقين فوق على عارضة السقف. دائماً. أخفقت مع العشاق - شربت وقرأت ستيفنسن. ما من عاشق أسعدني، كنت أحياناً سعيدة حين كنا نسكن على الراين، كنت أجلس وحيدة في الكرم وكنت أسكر شيئاً فشيئاً، وحدي مع نهر الراين وكنت أسكر. كان في وسعي أن أجلس هناك ساعات وساعات. اريكا فوبلر فقط استطعت أن أتحملها صاحبةً. كانت تصمت وتشاركني الشرب، وكان نهر الراين ينساب أمامنا. يؤسفني أنني رويت القصة مع الحبر. فعلى الراين كنت سعيدة لساعات على الأقل. على أنكم سلبتموني إياه ولم يعد يسمح لي في أن أظهر للعيان.

د. دومبلر: الأفضل لا! هل ترجعين في قصة الحبر بأنها مختلقة؟

اليزابيت بلاوكريمر: أرجع فيها، لكن لا عليّ أنها مختلقة، بل لأنه لم يكن هو نفسه حين دخل عليّ في الغرفة. لم يكن في وعيه - كان قد سمموه كما ينبغي. ولا أسحب كلامي بخصوص شوندت.

د. دومبلر: ازداد وضعك حدة وصار لا يحتمل حين اعتقدت أنك رأيت بلونيوس.

اليزابيت بلاوكريمر: نعم، بليتش الذي يسمي نفسه الآن بلونيوس. سفاك الدماء. رأيته ذات يوم في غرفة الصيد الخاصة بشوندت. حين دخلت خيّل إلي أنه يريد أن ينهض ويحييني؛ لكنه بقي جالساً؛ والأرجح

أنهم منعوه. عرفته: كان في بيتنا عدة مرات، من أجل الصيد ثم الشرب عند الموقد. سفاك الدماء. رجل جميل، شديد الباس ويعرف أصول اللياقة - لابل رقصت معه آنذاك. أغلب الظن أنه لم يتغير، مرت به السنوات الأربعون معدومة الأثر تقريباً. طبيعي أن شعره ابيضّ وبانت على وجهه أيضاً عدة تجاعيد. حافظ على رشاقته وصوته - صوته - كان ذلك الصوت الذي أمر بأن يقتل الناس أنفسهم وأطفالهم لو جاء الروس. وجاء الروس وقتلوا أنفسهم وقتلوا أطفالهم. وكان هذا بليتش الذي سموه سفاك الدماء وكان فخوراً بهذه التسمية. وأعتقد أنه كان آنذاك أحد أصغر الجنرالات. شديد البأس ويعرف أصول اللياقة ويقبل الأيدي وما شابه ذلك. ظننت فيما بعد أنهم أتوا بي لكي يختبروني فيما إذا استطيع التعرف عليه. وتعرفت عليه.شحب وجهي شحوب الأموات وجريت من الغرفة صارخة، صارخة، وصرخت طوال الليل، وجريت عبر القرية وأنا أصرخ.

د. دومبلر (هادئة هدوء اليزابيت بلاوكريمر): إن لم يكن هذا تخيلاً فهو خلط كلاسيكي أو جنون الاضطهاد الذي له علاقة بتجربتك الأساسية الأولى. بليتش مات، وأعلن رسمياً أنه مات، حتى الروس أعلنوا ذلك. لا يمكن أن تكوني رأيت بليتش. رأيت بلونيوس الذي ربما شابه بليتش بعض الشيء أو ربما شابهه شبهاً كبيراً.

اليزابيت بلاوكريمر: وصوته وعيناه، عينا رجل لونهما أزرق فولاذي - والندبة في عنقه؟

د. دومبلر: ندبة في العنق؟

اليزابيت بلاوكريمر: رأيت هذه الندبة آنذاك في أثناء الرقص، كانت بحجم حبة الفاصوليا، بقعة بيضاء في عنقه، وراء الأذن مباشرة-

رأيتـهـا في أثنـاء الرقص. في هذه الحـال لايصح أن أصـرخ إذا مـا رأيت سفاك الدماء جالساً هنا في ارتياح مع شوندت وبلاوكريمر وهالبيركام. لم يسبق لي أن صرخت وتحـملت كل شيء، كل شيء - شربت قليلاً وقـرأت كـاتبي سـتـيفنسـون، تمشـيت و هيـأت جواً عـامـاً من المرح لكي يحـرزوا أصواتاً. لكن بليتش:لا!لا.

د. دومبلر: بليـتش مـات، وبلونيـوس اسـتـردّ اعـتـبـاره. مـا من أحد يجادل في أنه كان متورطاً، لكنه استرد اعتباره - فهو ليس بليـتش. لن يجديك نفعاً إذا ما استمر خداعك لنفسك. (تـتنهد). كل هذا يعـود إلى أكـثر من أربعين سنة. وزواجك فسخ مـنذ سنوات. أنت امـرأة ناضجة في الخامسة والعشرين من عمرها، سليـمة الجسم - وتريدين العيش، يجب أن تعيشي. أليس عندك أيّ - أعني: أيّ عزاء ديني؟

اليـزابيت بلاوكريمر: تقصـدين أنه ينبغي أن أصرخ مطـالبة بالمسيـح؟ (تهـز الرأس). لا، لا أسـتطيـع هذا. كـان لي ذات مـرة يسـوع خـاص بي وأنا طفلة وصبية - وفي هولزبولتسينهايم أيضاً، وبلاوكريمر جسّد صلبي - أجل _إلا أنهم أخـرجـوا مني يسـوعي- تركـتـهـم يفـعلون ذلك. حين كانـوا يركعـون جميـعاً صبـاحاً في الكنيسـة بعد سـكر وفجـور وقذارات - كانوا يركعون ملؤهم التوبة والندامة ، الأيدي أمام الوجوه، وكانوا ورعين ورعـاً خـالصـاً. كـمـا أنّ بلاوكـريمر كـان ورعـاً، ولا مـراء في ذلك. حـتى شوندت فـهو نصف متـصوف. والحبـر اللطيف قرأ القداس - كان يمكن أن أحبه، ربما كانت غلطتي أنني لم أتركه يدخل عليّ - إنسان ظريف.

لا، هناك تحت في الكنيسة الصغيرة، هناك طار يسوعي - إلى غير رجعة- وبعده بليتش، لا -

د. دومبلر: ليتني أعرف ما بك - وليتني أستطيع أن أمنحك إياه...

اليزابيت بلاوكريمر: انا في صحة وعافية وأستطيع الذهاب إلى السباحة ولعب التنس والتنزه، وعندي من الأكل ما يكفي وما لذ وطاب، وكل يوم تقدم لي ثلاث وجبات، وتحت في البار يجلس راقصون محترفون مأجورون سيراقصونني لو أردت، إلا أنني لم أعد أرقص - في المساء تأتي الغزلان الصغيرة من طرف الغابة إلى المرج.

د. دومبلر: لماذا تقولين "غزلان صغيرة" بدلاً من غزلان؟ ليس ظريفاً أن نعلّق تعليقاً ساخراً على جمال الطبيعة. والراقصون المحترفون المأجورون إهانة لمستخدمينا المتفانين الذين تدربوا منشّطين على الوجه الأفضل. وتتمتعين بكل حرية: سيارتك تقف أمام الباب، ومفتاح السيارة في الجيب، والدكتور بلاوكريمر ينفق عن سعة ولا يقتصد في مال. تستطيعين ان تتناولي طعامك في الغرفة أو في صالة الطعام، ومكتبتنا تحت تصرفك، وغرفة الموسيقا. وعندك تلفاز وراديو - ومساعدة طبية ان احتجت إليها. لكنك لن تحتاجي إليها، فأنت من الناحية العضوية في تمام الصحة والعافية.

اليزابيت بلاوكريمر: ولو سافرت إلى الراين، هل سأعود غداً من تلقاء نفسي إلى هنا؟

د. دومبلر: حتى لو سافرت مرة أخرى إلى هولزبولتسينهايم. أنت تخلين بالسلام في كل مكان، وتحكين قصصك المخيفة في كل مكان، تتكلمين عن بليتش وتسببين فتنة وكراهية وعداوة، تروين تفاصيل ماجنة، مسدسات لصوص على ملفات مفقودة. ليس الاستياء العام جرماً

خاصاً، إنه يدخل في باب القانون الجنائي، يجب عليك الشكر والامتنان أنك هنا.

اليـزابيت بلاوكـريمر: لا في السـجن حـيث هو مكاني في الواقع، أليس كذلك؟

د. دومـبلر (تضع يدها على ذراع اليـزابيت بـلاوكـريمر): لماذا أنت وحدك، لماذا تفكرين أنت وحدك بالتدمير؟

اليزابيت بلاوكريمر: لأنني محطمة: شيء لم تعرفوه بعد. كان يجب أن أبقى في بلايبنيتس، سائس خيل عند الروس. كان يجب أن أصحب ديمتري إلى الغرب، لا أن أصحب أمي - فقد أحببته. وما كان ينبغي أن أتزوج بلاوكـريمر- لو، لو، لو، ولم يكن. واسم النبـالة الخرائي هذا الذي يهابه الجميع كثيراً - وأمي امرأة رهيبة. وأختي، أنت تعلمين ...

د. دومبلر: اختك انتحرت قبل أسبوعين...

اليزابيت بلاوكريمر: لأنها كانت تعيش مع أمي. لا تعرفين بلاوكريمر ولا تعـرفين هالبـيـركـام ولا شـوندت - الذي صـار أخـيـراً وزيراً. (تضحك).سمعت من الاذاعة.

د. دومبلر: السيد الدكتور شوندت رفيق زوجي في الجمعية نفسها، شخص جذاب متحفظ.

اليزابيت بلاوكريمر: كلهم رفاق في الجـمعـيـة نفسـها، حتى فـوبلر الطيب واحد منهم. هل تعرفين زوجك دومبلر الرفيق في الجمعية نفسها؟

د. دومبلر: أرجوك.

اليزابيت بلاوكريمر: لماذا اغتظت ؟ ألم يحاول شوندت أن - أنى لي أن أسـمي هذا - يجـرب حظه عندك؟ لماذا احمـر وجـهك ولماذا اغـتظت؟

كلهم ورعون، رفاق الجمعية، ورعون ورعاً خالصاً ويغطون وجوههم بأيديهم، يعترفون بخطاياهم ويذهبون لاقتبال القربان. أين مكاني هناك؟ إلى أين؟ إلى أين بذكرياتي التي لا أستطيع أن أمحوها ولا أن أدسها. أنت، أنت التي تصدّق أكثر مما ينبغي، أنت، أنت تصدقين عينيك وتصدقين الشيء الذي تعلمته. تصورك عني منطقي مثلما هو غبي، بل إنّ بعضه صائب، بعضه فقط - وهذا "البعض" يجعلك عمياء. أنا أرى الشيء الذي لاترينه، أرى أطفالاً ألمانيين هناك فوق يتدلون ويتأرجحون - أراهم ينهالون ضرباً على ديمتري. هل أنا عصابية؟ أجل، أأنا كاذبة؟ أجل، ومريضة؟ أجل. هل أتألم؟ أجل - ألا ينبغي عليّ في هذه الحال أن أسمي غزلانك غزلاناً صغيرة؟ أنا على يقين أنّ هناك فوق وراء حافة الغابة شخصاً يجلس ويحقنها بالفاليوم قبل أن يسمح للغزلان اللطيفة بالنزهة المسائية عند الغسق، فتمشي في خطوات متقاربة مشياً رشيقاً وتشمشم بطريقة حساسة جداً. أحب شيء إلى نفسي الجلوس هناك حيث لا يسمح لي بالذهاب إليه: على الراين - والآن اذهبي، اذهبي ! اخرجي إلى رفاق الجمعية الواحدة!

(تخطو اليزابيت كريمر صوب النافذة، د.دومبلر تنهض منزعجة.)

اليزابيت بلاوكريمر: اليوم تأتي الغزلان الصغيرة على نحو أبكر بقليل، -حلوة، جفولة لكنها أليفة مستأنسة. قد يحقنونها في أثناء ذلك بالهيروين - ومؤكد على أية حال أنها تتلقى العلف مخلوطاً. اعترف لي بول ، حارس الصيد، بهذا. ابتسم ابتسامة عريضة حين سألت عن هذا - في هذه الحال لا أحتاج إلى ما لا أتمتع به: إلى الخيال لكي أعرف أنّ الحيوانات اللطيفة يتم التحكم بسلوكها والتأثير فيها. أحتاج فقط إلى

الضغط على زر واحد ويأتيني شوبان أوفيفالدي في أفضل نوعية. وحين لقيت بيبر الصغيرة من عهد قريب في الدهليز وأوقفتها وقلت:" أنت، يا إديث، موجودة هنا بصفة مريضة؟" غضبت فعلاً وتطاير الشرر من عيني هذه الطفلة الناعمة المتعبة قليلاً وقالت:" أنا هنا ضيف لا مريضة، أنا ذاهبة للاستحمام" _تركتني واقفة وهي التي كانت دائماً مهذبة كل التهذيب. ضيوف نحن لا مرضى. يهمهم هذا كثيراً. وتحضر لي الشاي واحدة متأنقة ترتدي الثياب البيضاء وتبدو مثل ممرضة، لكنها لا تريد أن تسمى ممرضة. ألقت علي خطاباً حول نوعية الشاي وشرحت لي المراحل الست بين البيكو، الشاي الزهري البرتقالي الأسود، والكونكو، ألقت علي محاضرة بكل معنى الكلمة. والزهور، دائماً زهور- في كل مكان زهور. حتى الاله موجود هنا بكل التنوعات المذهبية - كاثوليكي، بروتستانتي وحتى أورثوذكس. لم أدرك إلا متأخراً أنّ المسألة عند السؤال عما إذا كان موت أبي قتلاً أم انتحاراً كانت مسألة تقاعد عقيد: في حالة القتل كان الوضع القانوني واضحاً، وفي حال الانتحار كان موضع خلاف وجدال. أخي الصغير كان سيقارب الآن الستين - وربما كان أيضاً عقيداً- كان قادراً على ركوب الخيل واطلاق النار؛ طلقة واحدة، وإذا بالغراب يسقط من على الشجرة أو من على سلك الهاتف. حسن، وماذا عن أبي؟ كان سيقارب التسعين. لم يكن حقيراً إلى هذا الحد، كل ما في الأمر أنه ترك بليتش يسممه ويحرضه. ومع أننا ضيوف هنا، شركة التأمين تدفع معظم الأشياء، نحن ضيوف شركة التأمين. لم يكن بلاوكريمر كريماً إلى هذه الدرجة كما يفعلون، وزوجته الثانية ترودي، لا تنجب أيضاً أطفالاً وتريد أن يكون عندها

أطفال، لكنها لا تنجب. لم أجازف قط لكي أجرب إذا كان في إمكاني أن أنجب أطفالاً - لم أحس قط أنَّ في داخلي روحاً لم تولد بعد، ورأيت الكثير الكثير من الحيوات معلقة هناك. بيوتنا هنا عامرة بالخير، لاشيء ينقصنا، حتى الحب نستطيع أن نحصل عليه، نستطيع - لا نفع لي من ذلك. أما الأصغر سناً فيحصلون عليه - رجال لطفاء، مهذبون ومحبوبون، وإن شاؤوا فهم أيضاً طلاب متوحشون متفانون وجنود مقاديم. وأختي كريستيني انتقلت أيضاً إلى العالم الآخر. كيف قدرت أن تتحمل مع أمي أربعين سنة؟ لست حانقة عليها لأنها حلفت يميناً كاذبة بسبب اغتصابي، وناسب هذا قصتنا جيداً: نبيلات شابات اغتصبن. كنا نضحك على أية حال كلما وجب علينا أن نحلف على شيء ما، كنا نرفع الأصابع ونقول من غير تأثر: والله على مانقول شهيد. من أول نظرة لم يبد بلاوكريمر سيئاً. جاء في البداية مع مجموعته، مجموعة النواب، وفي المساء جاء وحده. وما أن طرق الباب حتى دخل ، وعرفت أنّ المسألة جدية. هو ذكي كل الذكاء كما أنه يستطيع أن يدخل في الموضوع مباشرة، وبدا على خير ما يرام: طويلاً، أسمر بحاجبيه الانسيابيين المتكونين تكويناً بسيطاً - لكن فمه لم يعجبني، ويداه! لم أر يديه، فلو رأيتهما لقلت"لا". كان ممسكاً بسقاطة الباب حين سألني: " اليزابيت فون بلايبنيتس، أتريدين أن تصيري زوجتي؟ سأعود غداً مرة أخرى"- وذهب. عندئذٍ أخذت أمي تولول وقالت:" تزوجيه، تزوجيه، ثم نأتي سريعاً إلى الغرب. يبدو في حالة جيدة، فهو أكاديمي، محامٍ وذو نفوذ، وسيتولى قضية تعويضنا، أرجوك يا اليزابيت- سنكون بعد ذلك في غنى عن هؤلاء الأرذال المرعبين."تزوجته ولم أنظر إلى يديه. مشت

أمور المعاش والتعويض بسرعة، وانتقلت زوجةً إلى منزل أهل بلاوكريمر. كان أبوه صاحب مطعم ومحامياً، ناس موسرون، ويسمي الناس هذا، على ما أظن، قوة وشطارة. في الحجرة الخلفية المليئة بصور القديسين تمت المشاورات والمفاوضات حول قضايا مقبلة، وتم الاتفاق على أقوال شهود، في قضايا جنائية أيضاً، وفي بعض الأحيان كان يحضر قاضٍ. كان الأمر مدعاة إلى الضحك، تمثيليات هزلية فلاحية بكل معنى الكلمة. لم يتناسب هذا مع التمثيليات الهزلية التي عشتها. على أية حال كان هناك من شحم الخنزير ما فيه الكفاية - وخدعت بالفولكلور، موسيقا آلات نفخ، بخور، رقص وبيرة - وما من أحد خدعني، إلا أنني وقعت في الأحبولة. (يقرع الباب قرعاً عالياً). تفضل؟

(يدخل ايبرهاردكولده؛ هو في بداية الثلاثين، حسن البنية، تسريحة الشعر حلوة، يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً أبيض وينتعل حذاءً أبيض، يوحي بأنه طبيب، لكن المرء يحس بأنه ليس طبيباً.)

اليزابيت بلاوكريمر: لم أطلب أي شيء...

ايبرهارد كولده: لست نادلاً، أنا ...

اليزابيت بلاوكريمر (تقاطعه ضاحكة): أستطيع أن أتصور ما أنت، لكنني لن أقول - ربما جافيت الصواب ولا أريد أن أهينك.

ايبرهارد كولده: مهنتي خبير بالمداواة والطبابة، وليس في هذا ما يهين.

اليزابيت بلاوكريمر: خبير بمداواة نوع معين من الأمراض النسائية، على ما أظن. لا أعاني من هذه الأمراض. أنت شاب لطيف، وأنا في منتصف العقد السادس وأسمح لنفسي بهذه التسمية. تم اختيارك لتهيّىء لي التوافق - لنقل، كي تجعلني سعيدة.

ايبرهارد كولده: أعرف مشاكلك، وجيز لي أن اطلع عليها. أخشى أن تحصري عملي العلاجي في شكل لا يتفق مع طموحاتي ولا مع تدريبي ولا قدراتي أيضاً. في إمكاننا أن نتحدث مثلاً عن ستيفنسون الذي تقدرينه عالي التقدير أو موديلياني الذي أعرف أنك تقدرينه أيضاً.

اليزابيت بلاوكريمر: وعن بروست أيضاً- أو كافكا.

ايبرهارد كولده: طبعاً. وعن طبيعة هذين الكاتبين المتباينة والنقاط المشتركة بينهما أيضاً، فكلاهما كانت لديه، لنقل، ميول قوامها وسوسة قسرية. لكننا نستطيع أن نتنزه ونلعب التنس ونرقص. فأنت تحبين الرقص.

اليزابيت بلاوكريمر: أحببت الرقص - في الماضي يا عزيزي.

ايبرهارد كولده: حديث في المقهى - أو عند طاولة الشرب في البار- برفق وارتياح.

اليزابيت بلاوكريمر: لكنني فرحة مرحة وقلقة مضطربة. وحنو أيضاً؟

ايبرهارد كولده: أجل، إلا شيئاً واحداً، ألاّ تغرمي بي. أنا شخص في الحياة الخاصة فقط، عندي زوجة وطفلان.

اليزابيت بلاوكريمر: هم إذاً نوع من الدواء؟

ايبرهارد كولده: أولى بك أن تقولي وسط.

اليزابيت بلاوكريمر (غاية في الهدوء والاسترخاء): بمعنى أوسع شخص وسيط ، واسطة أو وسيط- أمر غريب. لا منشّط على سبيل المثال Animateur؟

ايبرهارد كولده Anima تعني الروح، وبهذا المعنى أودّ أن أحيي وأحرك. ومما يؤسف له أنّ مفهوم المنشط المحرك صار مبتذلاً على نحو

فظّ مما جعلني أتردد في استخدامه. أما رفيق الروح فستكون له مطالبه العالية جداً.

اليزابيت بلاوكرير: رفيق الجسد سيكون مبتذلاً جداً، أليس كذلك؟

ايبرهارد كولده: لا.

اليزابيت بلاوكرير: ألست مريضاً...

ايبرهارد كولده: لا.

اليزابيت بلاوكرير: أأنت هادىء ومتزن كل الهدوء والاتزان؟

ايبرهارد كولده: أجل، وأرغب في أن أقاسمك هذا الهدوءوأفضي به إليك- أ ترين...

اليزابيت بلاوكرير: اتزاناً؟

ايبرهارد كولده: أجل، انظري - أنا...

اليزابيت بلاوكرير (تذهب إلى النافذة مرة ثانية): هبط المساء ويجب أن أسدل الستائر. (تسحب الستائر وتبدي رأيها في حبال الستائر.) أفضل المواد. (مخاطبة ايبرهارد كولده). اذهب من فضلك - لاتؤاخذني، أنا في غنى عن خدماتك، ولا حاجة بي إلى ستيفنسون ولا إلى بروست أو كافكا أو موديلياني. اقترح عليك: اخرج انسانك، انسان نهاية العمل، الزوج اللطيف لامرأة شابة والأب اللطيف لطفلين حلوين على الأرجح واعشق في أثناء الخدمة الصغيرة بيبر واحببها خارج أوقات العمل - عرّض نفسك لحالة اللاتوازن والاضطراب. فأنا متزنة كل الاتزان، وأنا في سلام مع نفسي - والآن، الآن،هيا اذهب. قول مأثور في الانجيل لا يتمثلونه ولا يقولونه:" طوبى للنساء اللواتي هن عواقر وللنساء اللواتي لم ينجبن ولم يرضعن."كان ينبغي موافاة البابا به.

(ضحك. لحظة صمت. يبدو أنه لم يعد هناك أحد في المكان. ينصرف ايبرهارد كولده. اليزابيت كريمر تذهب إلى ماوراء الستائر الكبيرة، يسمع السامع بعض الأصوات التي يصعب تفسيرها ويسمع اليزابيت بلاوكريمر تصيح:" ليباركك الله أيها الوزير." تدخل السيدة فويلر من الباب ومعها باقة ورد كبيرة ، تنادي بصوت خفيض:"اليزابيت، اليزابيت - قال لي الشاب: إنّك هنا، في غرفتك." تتوجه السيدة فويلر صوب النافذة، تزيح الستائر الضخمة عن النافذة فتجد السيدة بلاوكريمر مشنوقة- تركض صوب الباب وتخرج إلى الممشى صارخة وتلقي بباقة الزهور أرضاً.)

الفصل الثامن

(حديقة أمام فيلا بلاوكريمر تؤدي إليها طريق تخترق المرجة. كما تحيط بالمرجة على اليسار واليمين طرق يحتمل أنها تضاء بمصابيح؛ أزواج - قرابة العشرة أو الخمسة عشر - يدورون حول المرجة وفي أيديهم كؤوس، يمرون بقلب المرجة فيما يشبه رقصة البولونيز ويتوزعون إلى اليسار واليمين ، ويتناهى إلى الأسماع ضحك مخنوق والسؤال المتكرر:" أما زال معزفكم سليماً؟" أو الاثبات:" ما رأت إلا اليوم لتقوم بما قامت به"- وفي صياغة أخرى:" لم أعرف أن حبال الستائر يمكن أن تكون متينة إلى هذا الحد." في كل مرة يخرج زوج من هذه الدورة ويبرز في الواجهة. الزوج الأول: شوندت وبلاوكريمر. في هذا المشهد تتجول كاتارينا ريشتر ولوري شميتس هنا وهناك تحمل كل منهما صينية وتقدمان أشياء بسيطة للأكل ومشروبات.)

باول شوندت (متوتر الاعصاب إلى حد الغضب): كان ينبغي أن تلغي حفلة الاستقبال.

فريتس بلاوكريمر: لم يجئنا النبأ إلا قبل ساعتين. كل شيء بدأ: الشرب والبوفيه والخدمة؛ عزّ عليّ أن أتصل بأحد، ثم حضر بعضهم.

باول شوندت: لافتة على الباب كتب عليها: بسبب مصاب جلل

تلغى حفلة الاستقبال- كانت ستفي بالغرض. ليس عندكم أي احساس بالكرامة. على كل حال كانت زوجتك لمدة عشرين سنة تقريباً، عرفها كثيرون واشتهاها معظمهم. سيعطي هذا الشيء هنا انطباعاً سيئاً.عنوان بالخط العريض:" في اليوم الذي انتحرت فيه زوجته الأولى أقام بلاوكريمر حفلة استقبال تألقت فيه زوجته الثانية." لا تنس: أنت مرهوب الجانب لا محبوباً.

فريتس بلاوكريمر: أعتقد أن القسم الأكبر من الصحافة إلى جانبكم أو في يدكم وتستطيعون أن تمنعوا مثل هذا العنوان بالخط العريض.

باول شوندت: القسم الأكبر من الصحافة لا كل الصحافة، ومثل هذه العناوين لا يريد هيرمان أن يحول دونها. لا تنس ما هددتَ به اريكا، واريكا وجدت إليزابيت في المكان الذي أردت أن تدعوها إليه.

فريتس بلاوكريمر: أنا على يقين أنها شنقت نفسها حين علمت أنني عينت وزيراً.(في عبوس). إنّ هذا يناسب روح الخبث عندها- وفن التمثيل.

باول شوندت: هي ماتت، وعلى نحو غامض يكون الأموات دائماً على صواب، في هذه الحال لا غناء في كلامك. لسوء الحظ كان على اريكا أن تجدها دون غيرها- كان سخفاً إرسال هذا النائك الغبي إليها. ما كان هذا هو الشيء الذي احتاجت إليه.

فريتس بلاوكريمر: أنت تعرف ما كانت تحتاج إليه، إليس كذلك؟ عرفت أيضاً حين ذهبت أنت إلى غرفتها، آنذاك ...

باول شوندت (يزداد مزاجه انقباضاً): أجل، وددت أن أعرفها ، وأردت أن أحبها (في ازدراء)- علام الحديث معك في هذا الموضوع : لم

أفكر قط بنفسي فقط، فكرت بصورة دائمة أيضاً بتلك التي ذهبت إليها. لم أنوِ قط المساس بحياة انسان ولا إراقة دم -أبداً...

فريتس بلاوكريمر: لا، لم ترد هذا أبداً، ومع ذلك حدث هذا أحياناً. ما أردته كان مملكتك التي لا ينازعك فيها منازع. لم يدر في خلدك كم من الممرورين والمجانين والمخدوعين وأنصاف المجانين تخطيت.

باول شوندت: كل إنسان يتخطى هؤلاء، كل من يحالفه النجاح ولوكان رئيس بلدية في مكان مقفر سكانه ألف نسمة. لك أن تضحك: فأنا حزين عليها، على اليزابيت، ولا أحب أن أرى نفسي مضطراً إلى أن أحزن وأبكي على اريكا أيضاً. (ينظر حوله). ليست هنا - ولا هيرمان أيضاً. هل ستذهب إلى الدفن على الأقل؟

فريتس بلاوكريمر: لست أدري. لم يكن هناك من سبيل إلى إنقاذ اليزابيت، صدّقني.

باول شوندت: ظننت أنه كان يمكن شفاؤها، وأنها ستقع في الفخ وتعيش بطريقة ما مع عاشق لطيف - لكن هذا:لا. وددتها، كانت شديدة الجلد ومشاكسة، لم تلن قناتهافي يوم من الأيام، وأندم على الدعابات اللاذعة التي داعبناها بها أحياناً.

فريتس بلاوكريمر: جاء ندمك متأخراً بعض الشيء. كنت آنذاك...

باول شوندت: اللعنة، اشتهيتها، أجل أردت أن أظفر بها، ليس في هذا ما يهين، ربما كانت الطريقة مهينة، أما الواقع فلا. ما من امرأة تستاء لأنّ رجلاً يشتهيها، ستريك الحدود.

لم تشته يوماً اليزابيت، ما أردت إلا هذه البارونة البروتستانتية التي توحي بأنها غريبة مجلوبة، بنت مذهولة مع أم جشعة. ليس لك يد ماهرة جداً في اختيار نسائك. لا تنسَ : لن نحقق فسخاً كنسياً ثانياً.

فريتس بلاوكريمر (غاضباً): ليس في نيتي الانفصال عن ترودي.

باول شوندت: كان لاليزابيت أسلوبها. كانت استقبالاتها فريدة من نوعها، وبعضها لا ينتسى. أما هنا (يشير إلى ماحوله)- الكافيار كومات كومات، والشمبانيا بالهيكتوليترات، تم البحث عنها عشوائياً دون تمييز: هذا الرجل توخيلر ، رجل الادب المعجب بنفسه، الذي يكلم مع صاحبه بروست كل شخص كلاماً فارغاً وغبياً- وهذه العاديات في كل مكان. في هذه الحال يجب أن يتمتع المرء بذوق، لا أن يشتري بشكل عشوائي أي شيء تافه قذر ويضعه في الناحية. وإلى ذلك لا أدري هل ينبغي على كل زوجة وزير أن تستعرض لكل شخص، إيه والله لكل شخص، نهديها اللذين لا عيب فيهما. اللعنة، كان عندك من النساء ما فيه الكفاية، كان عليك أن تتزوج مرة ثانية، وفوق ذلك زواجاً كنسياً أيضاً يجمع الفخفخة والأحبار. طبيعي أننا نحتاج إلى قساوسة بصفتهم زخرفاً ومزخرفين أيضاً، نحتاج إليهم من أجل الجو والمزاج ومن أجل الجيش والتسليح والاقتصاد، على أننا استهلكناهم أيضاً حيث لم تعد هناك حاجة إليهم وسرعان ما أثقلوا علينا. على كل حال لم يعد لهم دور في جلب الأصوات لنا. أما أنت فكان لابدّ لك من مطران لكي يزوجك ترودي.

فريتس بلاوكريمر (محتجاً بشدة): سا ءل نفسك عما إذا كنت لم تتجاوز حدك أحياناً بعض الشيء. ترودي لها خلفية جيدة...

باول شوندت: أجاوز الحد دائماً، يجب مجاوزة الحد وإلا توقف الأمر- المفروض أن تكون تعلمت هذا. تمّ تجاوز الحد حين جعلناك وزيراً. كان الشيء الذي لم يحدثني به قلبي أنكماكلاكما قد تغتران بهذا، وهذا أبعد شيء يمكن أن أتوقعه منك. انظر إلى اريكا: بائعة

أحذية سليلة دكان خردوات بائس في القرية، وتتمتع بأسلوب وذوق أكثر من الملكة الانكليزية بقبعاتها الصغيرة المضحكة. وصاحبتي غريته، هادئة ومخلصة، تقوم بالصفقات وأنا أمارس السياسة- أما صاحبتك ترودي (يريد بلاوكريمر أن يحتج بشدة.) اهدأ أنت: لدي الآن بعض الصور في ملفي، فأنت لم تكن في فرقة الانقضاض ومجرد حامل علم صغير، ولكن قائد وحدة مدافع رشاشة وأسوأ من بعض نماذج فرقة الانقضاض، وتظهرك الصور وأنت توعز بإطلاق النار على الخنازير المساكين الذين يفرون من معسكرات الاعتقال، حطام بشري مهلهل أراد الهرب صوب الامريكان- وأنت ...

فريتس بلاوكريمر (ببرود): تتقدم في السن ولا تدرك أنّ هذا قد لا يضرّ اليوم أي مخلوق. كنت أنا في الثامنة عشرة وقمت بواجبي وأمروني بذلك. أنت بالذات قمت بكل شيء لكي تنتفي من بعد ذلك كل إمكانية لاستعمال هذه الأشياء ضدّ أي انسان.(بصوت خافت). تذكر بلونيوس(بصوت أكثر خفوتاً) والندبة في عنقه التي لم يستطع أحد أن يتميزها، وما من أحد سيستطيع أن يتعرف علي في هذه الصور التي تعرضت للضوء بشكل رديء...

باول شوندت (مدهوشاً): أنت تعرف الصور؟

فريتس بلاوكريمر: أجل، عرضت لي نسخ الصور السلبية- لم تساو قيمتها عندي قرشاً واحداً. وفضلاً عن ذلك:ليس عاراً أن يؤدي شخص في الثامنة عشرة واجبه بشجاعة. (بصوت خافت). لا تنس الندبة ...

باول شوندت: لا، لا، لن انساها. ومع ذلك فأنت لن تصدقني بأنني كنت أفضل لو أنها مازالت حية وعرفت من أمر الندبة. لم تكن نيتي

الموت ولا الدم أبداً، ولن تجدنّ في ملفي أي شيء، أي شيء.

فريتس بلاوكريمر (ينظر إليه ببرود): أمن المحتمل أنك تخدع نفسك؟ هل تعرف من ذا الذي ربما جمع عنك شيئاً ما؟ هل تعرف ما في خزنات بينغرلي الفولاذية؟ أنا لا أعرف. وزوجة بلوتغر - وأنتفيربين؟

باول شوندت: سقت بثرثرتك الخبيثة اللاذعة زوجة بلوتغر إلى الموت حين سألت عن الملفات التي حرقتموها. كان عليك أن تعرف أنها كانت غجرية واحترقت قصة والديها مع ملفات الغجر. ودفعت بالصغيرة في أنتفيربين إلى الجنون، وأجبرتها على الإجهاض عند واحدة مهملة في عملها. أنا، أنا كنت اعترفت بالطفل كما اعترفت بآخرين أيضاً، ثم ملفات كلوسوف، إنها على عمق ٢٨٠م. فضلاً عن أنك أوعزت بارسال هذا المنشّط الغبي إلى غرفة اليزابيت المسكينة. أنا لا أفهم إرنا دومبلر- لمْ يكن هذا ما كانت في حاجة إليه وما افتقدته.

فريتس بلاوكريمر: أنت تعرف تمام المعرفة ما كانت تحتاج إليه وتفتقده.

باول شوندت (ينظر إليه مدهوشاً، بصوت خافت): هناك كلمة غريبة عجيبة، يا عزيزي فريتس، وإذا لم تخني ذاكرتي فإنها الحب.كان ينبغي أن تترك لها ذكرى هذا الشاب الروسي العاشق الذي تعلقت به. كان ينبغي أن تترك لها ذكرى أبيها وأخيها، هذا البارون النازي الذي شنق نفسه في إسطبل الخيول وفوق ذلك أخوها، لكنك أردت على أية حال نبيلة اغتصبت وأبوها أعدمه الروس رمياً بالرصاص، كان عليك أن تترك لها حزنها وذاكرتها، وكانت ستصبح امرأة رائعة فذة، لكنك تركت أمها، هذه العنزة العجوز الرديئة، تساعدك في ذلك أيضاً...

فريتس بلاوكرير: لم تكن هناك إمكانية لإنقاذها، كانت تسير من بيت إلى بيت ومن مقهى إلى مقهى وتحكي قصصاً رهيبة عنك وعني. وحيثما حلت لم تكن هناك إلا الفضائح- كان لابد من إبعادها.

باول شوندت: لكن ليس إلى المكان الذي ترقد فيه الآن: في التابوت. (في عصبية)- لا أريد ضحايا، أريد أن يعيشوا، أريد كل شيء، إلا هذا.

فريتس بلاوكرير: تريد كل شيء، كل شيء، إلا هذا. لكن عليهم أن يطيعوا، أليس كذلك؟ لا تنسَ ميتاً آخر من أموات هذا اليوم: بلوكانسكي. هو أيضاً مات، علمت ذلك حين بدأت الحفلة.

باول شوندت (يهز الرأس): لا، لا أحس أنني مذنب في ذلك. لا بل كنت سأمنعه فترة من الزمن رغم قصة البولونيين هذه. كان على طريقته لايقدر بمال. ليس بلوكانسكي ضحيتي. كان للآخرين أصبع في ذلك. أنت بكل تأكيد- (بصوت خافت) علينا ألا ننسى الشيء الآخر: ألا يوجد له أثر عندكم؟

فريتس بلاوكرير: لا أثر. علينا أن ننتظر إلى أن يظهر في مكان ما.

باول شوندت: والغراف الصغير؟

فريتس بلاوكرير: جاء في موعده، لكن بينغرلي انصرف قبل ذلك بساعتين. لابدّ أنّ أحدهم اتصل بشتوتسلينغ. ويحدثك قلبك من؟

باول شوندت: لا أريد أن أعرف الآن ظناً، في القريب العاجل. لابد من توطين النفس وتركيز الذهن. هل تقصد الشرطة السويسرية...؟

فريتس بلاوكرير: يرى المرء كم بلغت سنك من أنك بدأت تغالي في

الاعتداد بنفسك. لا، لن تساعدنا الشرطة السويسرية. ليس هناك أي شيء ضد بينغرلي. كان في الحبس الاحتياطي وأطلق سراحه؛ أنت، أنت ألححت على إطلاق سراحه مثلما عملت حسابك ألاّ يعاب أحد من بعد ذلك على جريمة حرب. أنا نصحت بالعدول عن إطلاق سراح بينغرلي؛ هناك حيث كان كنّا قد أمنّا جانبه وكان في وسعنا أن نتعبه. في إمكانه أن يرحل بعيداً إلى إيطاليا أو فرنسا.

باول شوندت: في هذه الحال ليس هناك إلا حل واحد يافريتس: ضبط الأعصاب، ومواجهته الآن على الفور قبل أن يظهر في مكان ما. كل الصحف المتعاطفة معنا -وهي الأكثرية- يمكنها أن تأتي بخبر: مزوّر مستندات حر طليق، ويحتمل أنه دخل في خدمة مخابرات معادية. في هذه الحال لن يذكر الروس. ولكن كل واحد يعرف أنهم المقصودون بذلك. سطر إضافي: إنسان يعمل كل شيء من أجل المال - وهذا بالمناسبة صحيح.

فريتس بلاوكريمر: وفي هذا أيضاً تخطىء: لم يعد بينغرلي يجري وراء المال فحسب، في هذه المرة يريد رأسك. لا تقلل من شأنه.

باول شوندت: لن يظفر برأسي. سارع في تبليغ هويلبوك أيضاً وكل أصحابنا الأعفّاء الأطهار الذين لا يعرِفون ولا يريدون أن يعرفوا شيئاً. قوموا بمساعٍ دبلوماسية وابلغوا السفارات، زودوا كل العملاء بالمواد وكل رؤساء التحرير. (بصوت خافت). لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتبين أنه كان يمكن انقاذه"هو". قد يسوء الأمر بالنسبة إلينا بما فيه الكفاية، إلا أننا القذرون على كل حال- فالأعفاء النظفاء يجب أن يبقوا أعفاء نظفاء.

فـريتس بلاوكـريمر: أعلمت أعفّ الاعـفـاء. والحق أنه لم يعـرف أي شيء وارتاع حين نوّهت له أن مـا يـفـضـحـه بينغـرلي يمكن أن يثـبت بأنه حقيقي ويمكن إقامة الدليل عليه.

باول شوندت: لا مبرّر لأن يعرف أية حقيقة، ولا داعي لأن نقولها له. لا تنسَ: الشيء الحقيقي له دائماً رنة الشيء الذي لا يصدّق، الحقيقي هو النقل الحقيقي للشائعات.لا تنسَ: كل ما نادت به اليزابيت كان حقيقياً، ولهذا كانت غير جديرة بالتصديق. ارني الهاتف ...(كلاهما يمضي نحو اليمين. فوبلر وايفا بلينت يبرزان. تلبس ايفا ثوباً فاتح الخضرة مع لؤلؤية من البلور الصخري.)

هيرمان فوبلر: لأجلك فقط جئت إلى هنا بعض الوقت. لم تعد اريكا تتحمل الموقف هنا منذ ... آه، لعلك لم تعرفي بعد ...

ايفا بلينت: أعرف ويقيم هنا حفلة رائعة. يبدو أنه يحتفي بشيء آخر غير تعيينه. (تنتفض.) شيء لا أفهمه أنها تشنق نفسها. هذا شيء لا أفهمه. كان ينبغي أن تلقي بنفسها في الراين أو أن تصعد جبلاً، المرأة المسكينة.

هيرمان فوبلر (يشير إلى ثوب ايفا): لم أجد في حياتي شيئاً لطيفاً كهذا عند سيدة.

ايفا بلينت: ولا عند اريكا أيضاً؟

هيرمان فوبلر: لم ألقَ عندها إلا الخير طوال أربعين سنة. وهاهي الآن مستلقية، تبكي وتصلي وأرادت أن تكون وحدها: لن تتخلص مما رأته، وأنا خائف من أن تؤذي مضيفنا هنا إذا ما التقته.

ايفا بلينت: لا الآخر، وكذلك الرئيس؟

هيرمان فوبلر: لا، من عجب لا. هو- هو طاقة بهيمية لا تغضب بذاتها إلا إذا اقتضى الأمر. وفي هذه الحال أيضاً يفعل ذلك كارهاً، لكنه يفعلها. وهذا هنا (يشير إلى الفيلا)- آه. (يهز الرأس.) صاحبك ارنست غروبش، كما سمعت، ليست حاله على ما يرام. هل أضرت به قضية بلوكانسكي إلى هذا الحد؟

ايفا بلينت: أجل، أخيراً أوشك أن يطيقه وقد استلقى هنا واختنق صوته. لنقل إنّ موت السيدة بلاوكريمر أقضّ مضجعه أيضاً. نومته وغطته بأغطية دافئة وزودته بالشاي والشوربة وببروست الذي يجب أن يقرأه الآن. لا بريشت وحده بصورة دائمة. أخافني موت هذه المرأة. بلغني أنهم حاولوا أن يقتلوا ذكراها- وحزنها على رجل أحبته. ارنست أيضاً يتمسك بذكرياته. إنه مريض جداً.

هيرمان فوبلر: ما التشخيص الطبي؟

ايفا بلينت: هو بالذات شخص المرض، يسميه رعشة الحمى الميتافيزيقية. قد يبدل الحزب. ما دفعه إلى حزبك يسميه جدل الكراهية.

هيرمان فوبلر: تشخيص صائب، وقد ينطبق أيضاً على اريكا. إنها تقرأ في كتاب صلواتها القديم قدم الزمن والذي جاءها هدية قبل خمسين سنة بمناسبة اقتبال القربان المقدس- إلى اللقاء إذاً. (يصافحها).

ايفا بلينت (تمسك بيده): إلى أين؟

هيرمان فوبلر: تريد الآن أن تذهب أولاً إلى روما، وربما جلسنا بعد ذلك مرة ثانية إلى البوفيه عند أوغست كريشين. (يهز الكتفين وينصرف. كارل يحل محله.)

ايفا بلينت: أنت؟ أأنت مدعوّ إلى هنا أم ...

كـارل فـون كـرايل: بل إني مـا زلت على قـائمـة المدعـوين عند بلاوكرير. (هادىء وجاد.)كافيار، شمبانيا، وأحاديث بينما هي ممددة هنا في تابوتها.

ايفا بلينت: أنا خائفة.

كارل فون كرايل: ممّ وممن وعلى من؟

ايفا بلينت: من نفسي وعلى ارنست. بل إنه يفهم ما قمت به أنت آنذاك، وأنا أيضـاً بدأت أفـهم.وهذا يخـيـفني. (بصـوت خفـيض). هذه الليلة، آمل ألا تكون أنت الفاعل؟

كارل فون كرايل: لا، لم أكن أنا الفاعل. ولن أعود إلى فعل ذلك أبداً، أنا نفـسي خـائف. انسي الطلاق أيضـاً، يا ايفـا، انه شيء ثانوي. كـاتارينا لاتريد هذا أيضـاً- إنهـا راغبـة عن الزواج.أتمنى لك طفلاً، يا ايفا ،انجبي طفلاً من ارنست غرويش.

ايفا بلينت: الغريب في الأمر أننا لم ننجب طفلاً. لم يقدّر لنا هذا. لايريد ارنست أطفالاً. إنه مكتئب ومـتشـائم إلى حد كبيـر منذ أن كـان عليـه أن يشـارك في مـشـاهدة كـيـفـيـة هلاك بلوكـانسكي، أجل هلاكـه. ويبحث عن كراهيتـه فلا يجدها. ذعرت حين اعترف لي أنه يكره أيضاً الكنيسة التي كان يؤمها كل يوم أحد على نحو أكثر نشاطاً مني أنا.

كارل فون كرايل: حاولي أن تفهميه. لم تعد الكنيسة تنفع - هنا في هذه البـلاد. شـوندت والآخـرون ومـعـهم ايرفـتلر أيضـاً امـتـصـوها وأفقروها، وقلما احتاجوا إليها في هذه الأيام. أنى لغرويش أن يستمر على كرهه لها؟ ليس أمام المرء إلا أن يحزن. حتى أبي حزن بعد منصب ايرفتلر بلوم، أجل، لم يأخذ كفايته فيما مضى، لم يشبع من القداديس

الكبيرة فيما مضى. هذه المرة تكدر صفوه كلياً، لم أره على هذا النحو من قبل. لست أدري أي شيء جرى له.

ايفا بلينت: لعلها رعشة الحمى الميتافيزيقية؟

كارل فون كرايل (في دهشة): ما الذي جعلك تفكرين بذلك؟ هذا يوحي - يوحي بأنه صحيح، من أين لك هذا؟

ايفا بلينت: من ارنست، وأكد فوبلر لي هذا- هو بالنسبة لاريكا مرض جديد - من يستطيع شفاءه؟

كارل فون كرايل: من؟ يجب أن أذهب الآن، لا أستطيع تحمل هذا هنا. (بصوت خافت.) كان جميلاً أنك رحلت عني. ومع هذا: لن يفرقنا إلا الموت. (يعانق ايفا، ثم ينصرف. تتقدم بعد ذلك آديلهايد كابسبيتر إلى ايفا.)

آديلهايد كابسبيتر (مخاطبة ايفا): منذ وقت غير بعيد كان الجو لطيفاً عندنا في المساء، أليس كذلك؟(بما أن ايفا تلوذ بالصمت.) وجدنا صاحبك غروبش ذكياً جداً.

ايفا بلينت (بأدب، لكن بعنف): كم هو لطيف أنكم وجدتموه ظريفاً، لابل ذكياً. اسمه بالمناسبة ارنست، صحيح أنه صاحبي غروبش وسيبقى كذلك، إلا أنه يجب أن يدعى بالنسبة إليكم السيد غروبش أو ارنست غروبش.

آديلهايد كابسبيتر: أوه، حقيقة إنكم حساسون.

ايفا بلينت: أجل، نحن حساسون، مرهفو الحس لأننا نحس. وبالمناسبة سمع ارنست حين همست إلي: كان على أبي أن يكره نفسه على أن يدعو صاحبك غروبش. وصاحبي غروبش له سمع حاد جداً وألوم نفسي أنني لم انهض فوراً وأنصرف.

آديلهايد كابسبيتر (تنفجر في البكاء): لم يكن هذا هو المقصود - كان ...

ايفا بلينت (تمسكها بذراعها): ما زلت في حاجة إلى أن تتعلمي الكثير يا آديلهايد، وربما وجدت الوقت بين الحين والحين لأعلمك هذا. والشيء الذي يجب أن تتعلميه أيضاً: أن تكوني خبيثة وغبية وقاسية، إذا رأيت أن هذا ضروري _كل شيء إلا التكبر. هذا (تشير من وراء كارل)- تستطيعين أن تسميه غرافا غريب الأطوار - لا بل غرافاً متفسخاً، وإن شئت فله درع تدعى في هذه الحال: النبالة. قد يجرح، ولكن ليس جرحاً عميقاً. تستطيعين أن تسميني دجاجة حساء دللها أب حديث النعمة، قد أجرح، ولكن ليس جرحاً شديداً. لي درع تدعى: الكبرياء. والدرع مبطنة بالمال. أما (في عنف مفاجيء) أما ارنست فليست له درع، ولا كبرياؤه الفكرية تصفّحه. هو متقرّح بالحك، ولم يعد له جلد تقريباً. كدّ وكدح منذ أن تمكن من السير ولا يزال يكد حتى اليوم مثل مجنون، وليست له درع جمالية تدعى في هذه الحال ذوقاً- معدته مريضه من البؤس. ومع ذلك فأنا شكورة: أنّ هذه الملاحظة الغبية جرحته جرحاً عميقاً جداً حيث إنه استرسل في التفكير. وإن استطعت أن تقولي لي لماذا كان على أبيك أن يكره نفسه، لماذا صعب عليه أن يدعوه...

آديلهايد كابسبيتر (مستمرة في البكاء): مازال يعتبر يسارياً...

ايفا بلينت: لا بل إنه يساري، إلا أنه غائب في مجلس النواب الاتحادي وكان حتى أمس مستشار وزير.

آديلهايد كابسبيتر (تمسك عن البكاء): في هذه الحال تعدّينني غبية؟

ايفا بلينت: لا، بل اعتبرك عديمة الحس رغم موسيقاك ورغم التحف الفنية الجميلة فعلاً والتي لا حصر لها في بيتكم. حين يقترب شخص ما منكم تعتمدون على رهافة حسكم - وهذه عند الآخرين حساسية. (بجدية شديدة.) تعلمت شيئا في هذه الليلة بعد الحفلة الموسيقية عندكم، تعلمت شيئاً. عند شخص مثل ارنست، وعند بروليتاري كادح يدعي أنه لايزال يسارياً تحسبون حساباً لانعدام الحساسية- مثلما تقولون عن شعوب حين يموت أبناؤها أفواجاً أفواجاً أنّ لهم علاقة أخرى بالموت. (بصوت أكثر خفوتاً.) ما تعلمته هو مرّ بالنسبة إلي أنا التي تعتد كثيراً بذوقها، وإنه لمرّ أن يتضح لها أنّ الذوق لا يعني أي شيء، أي شيء - إنّ منشأه التذوق. حاولي أن تفهميني. أنتم تتذوقون بيتهوفن، أما ارنست فلا - يبكي حين يسمعه. (تمسك بذراع آديلهايد وتخرج معها. يحل محلهما كرينغل وكارل.)

كرينغل: هل تتذكرني؟ كرينغل - المصرفي. صديق أبيكم.

كارل فون كرايل: أتذكر على نحو غامض مبهم، غير محدد. لا بدّ أن يكون هذا عند أبي - في الواقع أردت الذهاب. كانت ابنتك آنذاك حاضرة، كانت خفيفة الظل على قلبي. أهي هنا؟

كرينغل (بطريقة ملحة وحادة جداً): امنحني دقيقة. كنت آنذاك مستشاراً إدارياً شاباً كبير الأمل وأقنعتك بأن تنظر بعين الاعتبار إلى مسيرتك المهنية الدبلوماسية. (بإلحاح وبحدة شديدة.) احتجنا آنذاك إلى قوى شابة تقدمية.

كارل فون كرايل: لم أعد شاباً، وبأموال السفارة تعاملت بشيء من التقدم.

كرينغل: أعرف أنها حماقة، لم تعد حماقة الشباب، إلا أنها مغتفرة إلى حد ما، لأنك أقمت علاقات وثيقة بالسيدة. يمكن أن تغتفر الحماقات. على كل حال تصرفت بإيثار رغم ارتباطك العابر بالسيدة - وجازفت، ونحن في حاجة إلى ناس عندهم الاستعداد للمجازفة.

كارل فون كرايل: أنت لا ترغب في أن تراني شخصاً ردّ له اعتباره وأعيد إليه نشاطه.

كرينغل: حماقتك الخاصة، وتعرف ما أعني، أظن أنهم لم يروا في ذلك العنصر الروحي، الشيء الذي له قداسته فيه- الشيء الطقسي تقريباً. (ينظر كرايل إليه مدهوشاً.) والاختلاسات المالية في الخدمة، كان يمكن العفو عنها، كان هذا تجاوزاً مؤقتاً لحدود الاختصاص. كانت المسألة مسألة حياة بشر، أليس كذلك؟ وتصرفت تصرفاً انسانياً عفوياً. وكان في استطاعة رئيسك أن يوافق على هذا لاحقاً. لكن بموجب فعلك الشعائري كان هناك آنذاك ناس لم يفهموك وأرادوا أن يغضبوا عليك. وكثيراً ما يضطر مدرائي إلى اتخاذ قرارات سريعة يمكن أن تظهر موضع خلاف أو تساؤل. وأوافق عليها لاحقاً ولولم استصوبها. دفعت أنت لسيدة شابة استطعنا الاعجاب بفتنتها على الصور ثمن تذكرة طائرة إلى كوبا وأعطيتها فوق ذلك بعض المال. إذاً لم يكن فعلك من الناحية السياسية من غير اتجاه، أما أنا (يصمت حائراً، يتلعثم ويتردد في الكلام)- أردت أن أدعوك في الواقع لتفعل بمعزفي ما فعلت بمعزفك. مازال عندي معزفي، وأنا المصرفي الكبير قبل الأخير الذي لايزال يملك معزفاً غالي الثمن، وقبل أن يقع ضحية هذا الضيف الرهيب الذي يزورنا جميعاً، أود أن أضعه تحت تصرفك لعمل فني - لقاء أجر بالطبع - وبمناسبة خاصة.

كارل فون كرايل (متشككاً): لست مفكك بيانوهات مثل الضيف الرهيب. كنت مكسّر بيانوهات - هل ينبغي عليّ أن أفكّ أم أكسّر؟ ربما استفدت من الأجر.

كرينغل: أول ما خطر ببالي هو التفكيك- لا التحطيم، سيكون هذا في نظري غاية في البربرية. لا داعي لأن نتفاوض حول الأجر. ستستلم شيكاً موقعاً على بياض، وما من أحد إلا كاتب حسابي الخاص سيعلم كم سحبت. حتى أنا ليس في نيتي أن أعرف ذلك. إنّ آلة موسيقية، وحتى بيانو غالي الثمن عزف عليه باخ باحتمال يقارب اليقين - أن تفك هذا- (متأثر خالص التأثر)- أرى في ذلك عملاً لأسمى الروحانيات ونوعاً من الاعتراض السماوي على تضليل الموسيقا والترف والجوع والعطش وكل بؤس وكل شكل من أشكال المادية. سألت عن ابنتي وقلت، كانت خفيفة الظل على قلبك وسألت عما إذا كانت هنا. لا، ليست هنا، وما اقترحته عليك بصفة حفلة موسيقية كان يجب أن يكون حفلة موسيقية بمناسبة الوداع- من أجل ابنتي هيلدي. (يصمت بضع لحظات). فعلت من أجلها ومعها كل شيء يفعله المرء هكذا مع أولاده حين يحبهم وأنا أحبها. مدرسة، دراسة، نالت إجازة الدكتوراه في العلوم الزراعية، وفيما بعد في الاقتصاد أيضاً، وحضرت الاستقبالات وحفلات الرقص والحفلات، وبعد موت زوجتي نظمت مثل ربة منزل الطعام والاستقبالات عندنا، كانت دائمة الحضور حين كنت أدعو أصدقائي ورفاقي في العمل. أنت تعرف بم ماتت زوجتي؟ بمرض الخوف والمخيلة وانعدام الشعور... لم تحتمل أن ترى المال، وكانت تفكر بصورة دائمة بذهب أسنان المقتولين... وأينما ذهبت وحيثما سارت هل كانت

ستـرى إلا المال؟ رأيت في هيلدي من يخلفني، فنحن مـصـرف عـائلي قديم- والآن لم تعد تحضر منذ أشهـر الاستقبالات ولا حفلات الرقص ولاغيرها. حين عرضت عليها أن تبدأ عندي مساعدة لي في أول الأمر، ومن بعد ذلك بوكالة، أتدري ماذا قالت؟ " الموت في نيكاراغوا أفضل من العيش هنا؟" وترحل إذاً، إلى هناك. تبادلنا طوال أشهـر حججاً وتكلمت معها ليالي عدة ودائماً من دون خصام تقريباً، كل منا يحب الآخر، والمرة تلو المرة، وبعد كل الحجج كان جوابها:" بابا، لا، الموت في نيكارغوا أفضل من العيش هنا. هذا القرار هو نتيجة دراساتي، والمشاعر لم تأت إلا فيما بعد.

كارل فون كرايل: لست أدري هل ينبغي أن أرثي لحالك أم أهنئك. في ظل هذه الظروف سأرفض أنا أيضاً المهمة ولن آخذ أي أجر لقاء ذلك. كما أشك أيضاً فيما إذا كانت ابنتك ستحس بالتدمير الرمزي لموضوع قيم بأنه هدية وداع.

كرينغل: لكنني أود أن أظهر لها حبي، وليس فقط أحاسيسي الطيبة. سأعطيها المال على أية حال. لا أستطيع أن أزعم أنني أفهمها، فأنا أكنّ لها الاحترام، لا الحب فقط ولا الأحاسيس الطيبة. (في جمود). أريد أن أبدي لها هذا، أريد ن أظهره، وظننت أنك ...

كارل فون كرايل (جاداً): حين أسمعك تتكلم بهذه الطريقة استحسن لو أنك فككت معزفك بنفسك. لا أن تحطمه - فأنا على أية حال لن أكون قادراً على التفكيك والقيام بهذا العمل المتقن. اقتراحي:أن تدعو لحفلة موسيقية منزلية وتطبع برنامجاً ويأتي الضيوف لابسين لباس الاحتفال كما في عرس، وتفكك أنت معزفك قطعة قطعة بينما ينقر

عـازف البـيـانـو أو عـازفـة البـيـانـو اللذان كـان ينبـغي أن يـحـيـيـا الحـفلة الموسيقية بيتهوفن وشوبان وموتزارت على الجدار نقراً دقيقاً مضبوطاً مطابقاً للنوتة الموسيقية. وفي الامكان جلوسه أو جلوسها إلى طاولةعارية من كل شيء ونقر النوتة الموسيقية عليها. سيكون هذا تظاهرة حين تعلن أمام ضيوفك بعد الحفلة الموسيقية فرار ابنتك.

كرينغل: لست فناناً!

كارل فون كرايل: وأنا أيضاً لست فناناً، أنا رجل قانون. إذا احتجت إلى تعليمات وإرشادات عملية فأستوضح من صانع بيانو عن التفاصيل الجراحية لمعزف كبير. أعني النقاط الأساسية لمعزف، أي تركيبه. ولا يفوتك أنه لا يجوز أن يتشظى، كل شيء يجب أن يكون نظيفاً. ومن المحتمل أنك لن تحتاج إلا إلى مفك براغي وكلاّب صغير متين.

كرينغل: كلاّب صغير، ما هذا؟

كارل فون كرايل: كلاّب أو كلاّب صغير يطلق على إحدى أدوات العمل اليدوي التي تعود إلى المخل أو العتلة. (يحدث حركة يد مناسبة). وفي بعض الأحيان يستعمل أطباء الأسنان أدوات شبيهة بالكلاب، ويمكن تسميتها رافعة صغيرة، ولا يجوز أن يتقشر الورنيش - يسمي المرء هذا هيبة المادة. مواضع كثيرة في المعزف ملتحمة بفرزات وسنات وغير مثبتة ببراغي - ويجب حلّ الفرزات وتحريرالسنات برفق.

كرينغل: هل عندك مثل هذا الكلاّب؟

كارل فون كرايل: لا، كنت أكسر واشتغلت بالفأس الضخمة. وبالمناسبة أتصور لو عرف قصدك هذا الذي تسميه الضيف الرهيب -

فقد يدفعه هذا إلى أن يتخلى عن فعلته السخيفة الغبية. (بحرارة). عليك أن تفعل هذا بيديك، ياسيد كرينغل، قد يوحي هذا بالخلاص ويقلل من التوترات، وربما فهمه الناس أنه إشارة ميتافيزيقية وعلامة معادية للمادية: وداعٌ من مواد الموسيقا وأدواتها، برفع هذه إلى التجريد السماوي، وإن صح التعبير تحريرها من الاذن. سأوضح هذا لابنتك.

كرينغل: ممتع. هل لي أن أتأكد من نصيحتك؟ أفكار جديرة بالاهتمام. إذاً لم تشتغل بهذا الكلاّب على الاطلاق؟

كارل فون كرايل: لا. كانت الفأس أداتي. تجاوزني الضيف الرهيب. لابدّ أنه درس بنى المعزف بدقة. فهو بعيد عن العفوية إلى حد ما. يخطط ويتصرف عن وعي، عقل بارد يعمل هنا.

كرينغل: أأنت معجب به؟

كارل فون كرايل: لا، أحاول فقط أن أتصور ما يمكن أن يحركه.

كرينغل: أتقصد عند مصرفيين كبار دون غيرهم؟

كارل فون كرايل: أجل، يجب أن تكون هناك علاقة لم تستبن حتى الآن، وأغلب الظن أنّ ابنتك عرفتها. وأنا لم أكن على أية حال مصرفياً كبيراً. العلاقة بين الموسيقا والمعازف والمال، المال مادة يجب تحديدها ميتافيزيقياً، تم تحويلها من جديد إلى الشيء الذي صنعت منه: دموع، عمل عرق، دم (متأملاً). سيقتضي هذا أيضاً التعبير عنه في أثناء عرضك.

كرينغل: هل أستطيع أن أحسب حساباً لأن تقوم أنت على الأقل بنوع من الاخراج؟

كارل فون كرايل: أجل.

كرينغل: تعال لنشرب معاً كأساً أخرى. (بصوت أخف). المكان هناسوقي ومبتذل بعض الشيء، ألا تجده هكذا؟ الكثير الكثير من الكافيار والشمبانيا والصدور العارية. (كلاهما يحمل كأساً بيده ويتابع الكلام، يخرجان إلى ناحية اليمين. فريتس بلاوكريمر وهالبيركام يتقدمان إلى الأمام مضطربين)

فريتس بلاوكريمر (منفعلاً): لم أدعُهُ. جاء على غير توقّع. ماذا نفعل به - بالشفام؟

هالبيركام: يجب أن نعامل الشفام بمنتهى الأدب، فهو أهم من السفير وأهم من وزير الخارجية؛ في إمكانه أن يساعدنا في أن نجد بينغرلي وأن ننتشل إيرلي دوق بيربين من ورطته - وفضلاً عن ذلك: لاتنسَ أسهم هيفن-هينت التي لن يظفر المرء بها إلا عن طريقه.

فريتس بلاوكريمر: أعرف هذا. وما يكدّر خاطري هو رغباته النسوية. يريد دائماً نساء عفيفات. لا بغاياولا مضيفات ولا بائعات هوى يطلبن على الهاتف ولا موديلات. يجب أن يكنّ متزوجات ومستقيمات- وكذلك نساء جميلات.

هالبيركام: الظاهر أنه لم يفهم أنهن لن يبقين عفيفات في اللحظة التي تكون له معهن علاقة غرامية.

فريتس بلاوكريمر: لا يفهم هذا فحسب، إنها غايته أيضاً. يريد أن يجعلهن فاحشات. لابد أنه مرّ بتجربة مرّة مع نساء عفيفات محتشمات. ويجب أن تكون بغيته حسناء أيضاً وألا تكون دون الخامسة والثلاثين. يريدها ناضجة وعفيفة. حاولنا في المرة السابقة أن نخدعه بواحدة من تلك الفتيات. يا إلهي، كم غضب!

هالبيركام: يقال إنه هو نفسه ضحك على واحدة. يجب أن يدرك أننا لا نستطيع أن ننجز له هذا.

فريتس بلاوكريمر: يتزلف في الوقت الحاضر إلى غرويش من أجل ايفا. هذا هو طرازه تماماً؛ حسناء شارفت على الأربعين، مع أنها على جانب من الغنج. إذا علم أنها دوقة ستصيبه جنة ويصبح ملحاحاً وستكون عندنا في هذه الحال فضيحة ونحن آخر من يحتاج إلى ذلك.

هالبيركام: ستصفعه هذه، وإذا علم أنه كانت لها علاقة مع كوبيّ سيكون هذا أيضاً سياسياً. وبلومر الصغيرة التي كانت صاحبته ذات مرة لا نستطيع أن نقدمها له لأنها لم تعد عفيفة. والآن فإنّ صاحبتك ترودي هي فعلاً حسناء، وباعتبارها زوجة وزير فهي في ذاتها عفيفة (يبتسم بشماتة) وربما كانت أحبّ إليه من امرأة سياسي يساري محافظ.

فريتس بلاوكريمر (في خبث): المفروض أن أصفعك الآن -لكنني لن أفعل هذا علناً.

هالبيركام: فليبتعد عن هذه الدوقة! ستسبب له نكداً وأذى- عليك أن تدس ترودي بينهما - هيا، ادعه ليبيت في شقتكم الصغيرة الخاصة بالضيوف، وإلا اغتصب النادلات اللواتي ستكون إحداهن بالمناسبة غاية في العفة. والأخرى لست واثقاً منها كل الثقة، تلك كانت عشيرة عمر بلوكانسكي الأخيرة. (كلاهما يخرج).

(شفام وترودي بلاوكريمر يتقدمان إلى الأمام).

ترودي بلاوكريمر: آمل ألا يسؤوك حين أسميك متملقاً - إنما متملق جذاب.

شفام (ليس من دون جاذبية): أيتها السيدة، المرة تلو المرة يستهان

بجاذبية المرأة الألمانية، دائماً وأبداً. الاسبانيات، كما تعرفين، مفرطات في الاحتشام وهن في الوقت نفسه شهوانيات، والانكليزيات يستطعن أن يكنّ حلوات ساحرات، لكن مامن أحد يعرف أبداً أين ينتهي الحد عندهن بين النبل والابتذال المفاجئ. ويوحي سحر الفرنسيات بأنه متصنع ولو أنه كان طبيعياً. وحضرتك امرأة ألمانية - لم أكتشف إلا متأخراً المرأة الألمانية مابعد الحرب، روحها ورشاقتها، وعذراً منك - حسبتها المتحررة تحرراً جمهورياً. ألمانيا الجديدة أنجبت امرأة ألمانية جديدة- من كان يعتقد أن هذا ممكن؟ آمل أن يقوم زوجك بسفرات كثيرة إلى الخارج حيث أستطيع أن استمتع باللذة في صحبتك مراراً وتكراراً. طبيعتك الحرة الصريحة ستفيد سياسته ومركزه.

ترودي بلاوكريمر: ستكون ضيفنا لعدة أيام. آمل أن تتاح لي الفرصة غير مرة أن أسمع حكمك على تحفنا.

شفام: تبدو لي أنها كلها أصلية، ما عدا تركيبها وتعيين المكان، فهذا ليس دائماً مناسباً ومقنعاً. ولحسن الحظ لست جزءاً من هذه التحف.

ترودي بلاوكريمر (تخرج مبتسمة): والآن، ستدهش لو علمت أية تحفة أثرية أنا.

شفام : للتحقق من ذلك لا بدّ من تقرير خبير- وأنا خبير- وجاد أيضاً.

الفصل التاسع

(يخلو المشهد. يبقى في الواجهة وقوفاً: كاتارينا ريشتر وإلى جانبها كارل فون كرايل، من ناحية الشمال صاحبها توخيلر. كلاهما جالس على العشب، تقدم لوري لهما القهوة. تتناول كاتارينا نقوداً من جيب وزرتها، تعدها وتدسها في محفظة نقود كبيرة خاصة بالنادلات وضعتها على الكتف. تخلع الوزرة وتلقي بها إلى الخلف.)

كارل فون كرايل (مخاطباً لوري): كم معك؟

لوري: واحد وثلاثون ماركاً وعشرون بفينيكاً.

كاتارينا ريشتر: سبعة وخمسون ضيفاً - ومعي بقشيش أربعة وعشرون ماركاً وستون بفينيكاً، ومع لوري أكثر: واحد وثلاثون ماركاً وعشرون بفينيكاً. المجموع خمسة وخمسون ماركاً وثمانون بفينيكاً، أقل من مارك لكل ضيف. من كارل (تشير إليه) حصلت على خمسة ماركات ومن هذا (تشير إلى توخيلر) حصلت على ماركين. لا أريد أن أشكو: بمعدل مارك واحد لكل رأس، ليس هذا بقليل، كان هناك أقل. وبالمناسبة آخر بقشيش لي: كان في عملي لأني صفعت هذا الرجل الذي يسمونه الشفام. وبصفتي نادلة وساقية يجب أن يسمع المرء أشياء من هذا القبيل ويتحملها، قلّ أن يكون هناك شيء أكثر غباءً من السكارى،

ويصغي الناس إليهم ويستمعون وسرعان ما ينسون الشيء الذي قالوه. أقول لنفسي دائماً شأن هذا شأنك حين تفرغين في المرحاض: هيا تخلصي منه. الشيء المفاجئ هو: كلما كانوا أكثر ذكاء في صحوتهم كانوا أكثر غباء في سكرهم. كبتوا حساسيتهم زمناً طويلاً وأجهضوا انفعالاتهم. وهاهم يتقيؤون البلغم. شعورهم يعابثهم دائماً، هم أذكياء كفاية لكي يعرفوا عقدهم وينكشون في أنوفهم علناً- ويهذرون مثلما يهذرون عادة عند المومسات. كثيرات من المومسات قلن لي: أسوأ ما في الأمر حين يهذرون ويثرثرون؛ الشيء الآخر بغيض يمجه الذوق، أما الهذر والثرثرة! طبعاً هناك سكارى هادئون لطفاء يعكفون بهدوء على همهم وغمهم، فيما يشبه الصمت، ويطلبون لهم سيارة أجرة ويساعدونهم في الصعود إليها ثم ينصرفون إلى البيت.

لسوء الحظ أنني درست علم النفس أيضاً عند هذا. (تشير إلى توخيلر.) إنسان فطين، لا بل مثقف، علم نفس أدبي، بروست وبريشت والأخوان مان(توماس وهاينريش !) وهوفمانزتال- يطيب له الحديث ويلقي محاضرات، وهو ناقد ثقافي، ويخيب الناس أمله، ولهذا يقبع حيث هو محسوراً ذلك أنه ما من أحد هنا يهتم لما يرغب في قوله، بل يهتم لاسمه فقط. يتمتع بالشهرة وهو بطبيعة الحال فخور بها، إلا أنه يود أن يكون جزءاً من القضية - قضية الأدب - وما زال يتجاهل وينكر ما حاولت مراراً أن أجعله يرسخ في ذهنه؛ وهو أنّ المسألة هنا ليست إلا مسألة سياسية وصفقات وأنها ليست إلا زخرفاً مثل الاسقف الالتزامي أو الجنرال الذي يدعونه.

أرثي لحاله بصدق، إلا أنه يخطىء: هنا اللقيمات مطلوبة، لا اللقم، فكل حديث معه يتحول إلى محاضرة، يبدأ بمقدمة طويلة وينطلق انطلاقة

خاطئة ويقفز بعد ذلك فوق حفرة عرضها خمسون سينتميتراً. يجب الاحتراس من أن يقطعوا عليه الكلام في وقت مبكر بما فيه الكفاية، وإلا اندفع بمحاضرة كاملة عن توماس مان، وفي معظم الأحيان بمحاضرة أيضاً قرأها المرء في موضع ما. وله هنا دور، إلا أنه لا يعرفه. مثله مثل الاسقف الالتزامي الذي يريد أن يطلق هنا مواعظ أخلاقية. الجنرال يعرف دوره: ذهبٌ على البدلة العسكرية، وإذا أمكن قليل من اللون الأحمر أيضاً، وابتسام. مازال الاسقف يرى أن الناس يجلون ويحترمون فيه الكنيسة، والمسألة في أثناء ذلك ليست إلا مسألة ياقته البنفسجية. في المشهد الثقافي الهزيل هنا يوحي توخيلر بأنه طبيعي مثل عصفور جنة، وعندما ترافقه شاعرة يكون على الرحب والسعة بصورة خاصة. استخف ظله، ظل ابن القس الضيق الصدر، فبصفة أستاذ هو رائع، ووراء زجاج نظارته يتجمع الحزن الآن، الأرجح أنني سأكتب عنده أطروحة الدكتوراه ، عن دور المال في مؤلفات دوستويفسكي وبلزاك. وأجد في هذا الموضوع انتقالاً إلى مادة المصارف، لا بل أستطيع أن أقحم العالم الثالث أيضاً في ذلك.

هاهو يقبع وحيداً بعد أن هجرته الشاعرة - فقد هربت مع عقيد جريء-، يقبع في بدلته المتكسرة وبربطة عنقه، ربطة إنسان عادي، ويشتت ذهنه ويبدده من غير طائل. من أين له أن يصرف غريته شوندت عن سارتر الذي لم يحاول أحد قط أن يوهمه إياه. لا تعرف عن سارتر إلا أنّ أظافره كانت قذرة. ولايهمها إلا سوق المبنى القديم وأطفالها. وزوجة بلاوكريرِ الثانية لم تكن أبداً في خطر لتدرك الأبعاد الميتافيزيقية عند فوكنر أو لتستسلم لها؛ فلا تهتم إلا بالخزف والببغاوات والعاديات ، حتى ولا تلميحاً تهتم بغوركي الذي أراد أن

يصرفها عنه أيضاً. لمعت عيناها حين ذكر عرضاً حوانيت العاديات الموسكوفية التي يظهر أنها تحتوي أيضاً على خزف من عهد القيصر. وسألته على الفور عما إذا كان في الامكان الحصول على سلطانية المرقة من ملك كاتارينا الثانية. أنا على يقين أنّ موظفاً في السفارة أو السفير نفسه ، كما يتفق هذا مع مركز بلاوكريمر، سيتلقى أمراً فورياً بالبحث عن الخزف، لا بل إنه لمرجح أن تكون برقية في الطريق. وعندما يريد توخيلر أن يطلع بلاوكريمر على روحانيته الباليه المعاصرة لا يخفي هذا مللّه لأنه يفكر في توريد الأسلحة إلى غواتيمالا. ربما كان المصرفي كرينغل محدِّثاً أفضل؛ فعيناه برقتا حين أراد أن يعرف منه بعض التفاصيل عن بيكيت. المصرفيون بعامة هم الأكثر حساسية؛ وهذا اللطيف كرينغل عرض عليّ عملاً على الفور في مصرفه حين طردني بلاوكريمر وأعلن لي أنه سيسيء إلى سمعتي في كل مكان بأنني بغيض ولا فائدة ترجى مني. تجاربي مع المصرفيين إيجابية بلا حدود، وقلما يسكرون ، وإذا ما سكروا سكروا في هدوء، فهم كتومون ومهذبون ويتكلمون، إذا خلا الجو لهم، عن الصفقات أقل مما يتكلم السياسيون- يتكلمون ساعات عن الفن. فهم الأكثر ثقافة ، وأرى ياكارل(تخاطبه) أنّ عليك أن تقبل عرض كرينغل لأننا في حاجة إلى المال. والغيظ كل الغيظ لا لسبب إلا لأنني صفعت ذلك الذي يسمونه الشفام (الاسفنجة) فسقطت السيجارة من الفم وأحرقت نارها حذاءه الملمع فراح يبعث رائحة كريهة وانكسرت كأس الشمبانيا، وفضلاً عن ذلك تزحزحت النظارة من موضعها، وبدا للحظات غبياً إلى حد ما. وحين يمد شخص ما يده إلى ملابسي أهوي ضرباً عليه ولو كان رئيس وزراء، فأنا في هذا حساسة للغاية وانزعج، فأنا له لا لأحد سواه (تشير إلى كارل)، أعز

الناس، له ولابني. ولو فرض عليّ أن أصير عاهرة تطلب على الهاتف لأرسلت إلى السادة بطاقة زيارة مع ذكر أوقات المقابلة ونص قصير إضافي: الثرثرة ممنوعة. ثمّ (تنحني على كارل وتمسد شعره) لم يستوقفه الأمر أيضاً، ومدّ يده أيضاً إلى حدّ أنّ نظارة الشفام سقطت أرضاً وتحطمت. عندها راح يتلمس بعض الوقت مثل أعمى هنا وهناك، ويبحثون الآن عن نظاراتي لأنّ نظارته الاحتياطية لم تكن معه ولا يستطيع أن يرى نهدي زوجة بلاوكريمر الثانية.

ومن ثم أبعدوننا عن القصر، لم يعودوا في حاجة إلينا، ربما احتاجوا إليه. (تشير إلى توخيلر). ما عليك إلا أن تسأل عما إذا كان سيترك مجالاً للاستعانة به وهو الذي كان يجب أن يعرف أنّ الغرور أثر جانبي للغباء. وللبرهان على هذا حلل مجمل الأدب العالمي وتوصل إلى الجميع، العظماء والأذكياء العقلاء الذين يسقطون حين يستسلمون للغرور. كان عليه أن يتحدث مرة من المرات بشكل أفضل عن بيكيت أمام مصرفيين مجتمعين: فهؤلاء ينصتون، وهم في حقيقة الأمر محبون للاطلاع. الآن نوصله أولاً إلى البيت ونواسيه على ندمه ونحن نشرب فنجان قهوة.

فيما مضى كان الجو هنا مثيراً في بعض الأحيان ، فبعد انصراف الضيوف كان بعضهم يبقى جالساً هنا على العشب في إحدى ليالي الصيف. عندها كان المرء يرى ناساً معروفين من التلفاز ،كان يراهم يتقلصون إذا ما نظر إليهم عن كثب. وكانت بصورة خاصة ليالي وأي ليالٍ حين كان يتقيأ كل من هالبيركام وغرويش أمام الآخر منبته البروليتاري. فأم هالبيركام كانت عارضةً مترملة تنقلت على القرى ومعها دوارة ذات مقاعد معلقة. وكان مهمة هالبيركام أن يدوّر ذراع التدوير ويجمع النقود، وفي المساء كانت الأم توسعه ضرباً مستخرجة من

جيبه قطعة نقود من فئة الخمسة البفنيكات حاول أن يلطشها. تدوير ذراع التدوير ولم النقود ومطر خريفي في قرى فرنكفونيا العليا - وكم اشتروا بقايا خمر من خدام خلطوا البقايا من أباريق ودوارق وزجاجات- وشحذوا بقايا أطعمة في مطابخ المطعم. وبدأ غرويش مرة أخرى بمسكنه الشعبي الفوبرتالي، بأبيه الأكسح، وتجادلا عما إذا كانت بروليتاريا الريف أسوأ من بروليتاريا المدينة. ولم يسألاني أنا الابنة غير الشرعية لنادلة غير شرعية، كيف نمت في حجرات تحت السقف قذرة وانتظرت أمي، لا جائعة ولا مرتعشة من البرد، إذ إنها كانت أغطية دافئة دائماً- ولم يسألاني كم كنت أفرح حين كانت أمي تجيء أخيراً وتفرغ البقشيش على منضدة صغيرة وتعده، وكان مسموحاً لي أن أفرز القطع النقدية: قروش من فئة البفنيك الواحد ومن فئة البفنيكين ومن فئة خمسة البفنيكات، وقلما كان هناك شيء فضي. وكنا نخرج على الفور ماهو فضي ونضعه جانباً: كان هذا من أجل جواربي أولاً ثم من أجل كتبي وملابسي. وما كنا لنستطيع أن نتجول ببنطلونات جينز مهدّبة وقمصان مرتقة- هذا هو ترف بنات المصرفيين اللواتي يستطعن أن يقدن السيارات بأقدام حافية ويسمحن لأنفسهن بأن يتركن شعوراً مخصّلة لأنّ كل إنسان يعرف من هنّ. وتلك(تشير إلى لوري)- تسكن الآن عندنا، سأصنع منها شيئاً ما، وأوصتنا بها ايفا، سنرسلها إلى المدرسة. وعليها أن ترتقي وأن تتعلم الشيء الذي لم يعد الآخرون يرغبون في تعلمه. لن يهدأ لي بال إلى أن تنال شهادة الدكتوراه - ينبغي ألا تنسى شيئاً. والآن إلى البيت: قهوة وشاي وخبز طري وزبدة وبيض. (تجذب كارل و توخيلر من يديهما فتوقفهما، ويمسك توخيلر بذراع لوري. كاتارينا تواصل الكلام): انتما كلاكما، ستتناسبان بعضكما بعضاً على نحو لابأس به.

الفصل العاشر

(الشرفة الأرضية الواسعة المسقوفة الخاصة بآل فويلر كما في الفصل الأول. الدنيا أظلمت، في الزاوية اليسرى أو اليمنى مصباح مضيء ذو حامل على الأرض، وبين الحين والآخر يومض إلى هذا الجانب من ضفة الراين اليمنى ضوء سيارة. اريكا فويلر لابسة برنس الحمام وملتفة بأغطية ومستلقية على أريكة. إلى جانبها يجلس هيرمان فويلر على مقعد وثير.)

هيرمان فويلر: أليس من الأحسن لك أن تستلقي على السرير؟

اريكا فويلر (بصوت ضعيف): لا، الرجاء أن تتركني في مكاني. أخاف من الستائر في غرفتي. أخاف حين أسحبها جانباً، ويتدلّى أحدهم هناك متأرجحاً . ويلاه، يا هيرمان، سيبقى هذا ماثلاً أمام ناظري إلى الأبد: الوجه الكالح المشوّه واللسان المتدلي. ما زلت أعرف كيف جاءت إلينا إلى هولزبولتسينهايم، جاءت شابة فكهة سليطة اللسان وعلى شيء من الذهول. لم تبلغ العشرين من عمرها، واستنامت إلى زوايا بصور قديسين وفولكلور. لم تحك شيئاً عن الاغتصاب. (تحسّ برعشة). وبين الحين والآخر كانت تحكي عن هؤلاء المشنوقين، عن أبيها وأخيها، وعن اللسان المتدلي من الحلق.

هيرمان فويلر (بصوت خافت): طلبت التحقق من ذلك. ما من كلمة كان فيها كذب، كان كل شيء صحيحاً، صدقت في قولها، وكذلك علاقتها بهذا الضابط الروسي: روسي كان آنذاك في برلين أيضاً كما روت لي.

اريكا فويلر: أخاف أن يعثروا على بينغرلي أيضاً في مكان ما وراء إحدى الستائر. سأطلب إزالة الستائر من الغرف كلها.

هيرمان فويلر: لا تحملي همّ بينغرلي- ليس هماً من هذا القبيل.

اريكا فويلر: سويسرا صغيرة.

هيرمان فويلر: ليس موجوداً في سويسرا. (بصوت شديد الخفوت): موجود هنا في مكان لا أحد يبحث فيه عنه.

اريكا فويلر: تعرف مكانه؟

هيرمان فويلر: سيتسلم وسيقلع بسفينته مع الريح ويرسو بهدوء في أحد المرافىء ويختفي. (يلتفت صوب اريكا). إنه لجنون، لكنك قدّمت عن غير قصد خدمة كبيرة لشوندت بأن اتصلت بشتوتسلينغ هاتفياً. أجل، إنه لجنون: فلا بينغرلي سيتفوق الآن ويكون السباق، بل شوندت. فالنيران تطلق على بينغرلي من كل الجهات قبل أن تتاح له الفرصة ليبدأ باطلاق النار. لا تنسي الصحف ووسائل الاعلام التي تمتثل لكلمة شوندت، في هذه الحال سيشارك أخبث الصحفيين أيضاً، لن تتصوري أي قلب صغير رقيق وطني تنطوي عليه صدورهم، عندئذٍ يهتز قلب كهذا مثل أوراق الورود في ريح بحر متوسط: بينغرلي مخادع، مزوّر وخائن، حتى قبل أن يظهر في مكان ما. في هذه الحال لن تفيده أفضل الوثائق. ومن ذا الذي سيتفحصها؟ صدقيني (يمسك يد اريكا).

صدقيني: إنه لأفضل هكذا، فما أراد إلا المال وحصل عليه. تصنَّع الحقيقة فأضرَّ ها التصنع، فهو والحمد لله وغد لا بطل ولا شهيد. وهذه الحقيقة التي كان عليه أن يبيعها لن يصدقها أحد. وفي هذه الحال يمكنهم أن يفتتحوا محاكم ويؤسسوا هيئات. ويستطيع مثاليون أن يلتفوا حوله: لاشيء سيجدي نفعاً، المال دافعه الأساسي يظهر في كل مكان. وأعتقد أننا لن نسمع عنه شيئاً بعد الآن، ولن تكون هناك محاكم ولا هيئات، فهو لزج للغاية - لا خوف: لا شيء يهدده من الخارج. ولست أدري ما الشيء الذي يهدده من الداخل، من نفسه، فأنا لم أفهمه قط الفهم الصحيح.

اريكا فوبلر: كان جائعاً مثلكم، ولم يشبع قط. دفع بكل شيء إلى جوفه: الشوربه والبيض المقلي والخبز - و البيوت فيما بعد والعقارات والأسهم، وربما النساء أيضاً، لا أدري. لكنه لم يشبع - وإنه لا يشبع. وأنا مكانك ما كنت لأرتاح هكذا.

هيرمان فوبلر: في هذه المسألة التي منَّى نفسه بضربة كبيرة فيها لم يكن منه إلا أن أعلن شبعه. ومن المحتمل أن يظهر نهمه من جديد في مكان ما. ربما في ناحيتنا.

اريكا فوبلر: هل تعتقد أنَّ شوندت قد يقبله من جديد؟

هيرمان فوبلر: طبعاً سيقبله. أردت أن تساعدي بينغرلي فساعدت شوندت.وقد يظهر في الأفق ومعه الراية البيضاء. خسر المعركة، وقد يكسب المعركة القادمة. أغفلت شيئاً ما، ذلك أنه يلاحظ كل شيء ويرى كل مواطن تقريباً الضعف وأوجه النقص عند الآخرين. قد يكون الرجل المناسب لإسقاط بلاوكرير - في نحو عام...

اريكا فويلر: كنت موجوداً هناك. كانت عنده حفلة في اليوم الذي عثر فيه على زوجته ميتة واللسان بارز - وأنت لا تذهب إلى هناك إلا لكي تراها. فهل رأيتها؟

هيرمان فويلر: أجل، وسرّني أنني رأيتها. فهي بعدك أقلّ النساء اللواتي أعرفهن استهتاراً. فهي تسكن خارج نطاق شهوتي الممكنة - وأسرّ بها، وهي، كما تعلمين، أمل في حياة أخرى جديدة هنا. أريدها أن تبقى هنا وفضلاً عن ذلك (يضحك) لي شغل مع زوجها.

اريكا فويلر: ذلك العقار على الراين - لن تحصل عليه. وسيكون هذا خسارة: ياالجمال هذه الخربة - ويا لجمال تهدمها.

هيرمان فويلر: تتكلمين مثلها وأفهمكما. طبيعي أنّه يجب عليّ أن أعمل كل شيء بتكليف من موكّلي ومن كابسبيتر أيضاً لكي أحصل على هذا العقار، ولسوف أسرّ حين أحصل عليه. أتمنى للصبي حياة طويلة ومعنى ملحاً. فأنا سأضعف أمام مال كثير إلى هذا الحد لتمثال العار الذي يسمع المرء فيه مساءً صفير الفتيات الوقحات التافهات- مغطى بالطحالب ومتداعٍ. هي على صواب: يجب أن تكون التماثيل غالية الثمن، ومع ذلك سأعجز عن مقاومة المال - هل تستطيعين ذلك؟

اريكا فويلر: لا تعرّضني لغواية ليست هي بغواية. هذا العقار ليس ملكاً لي، ولو أني تصورت أنه يخصني الآن هنا لقلت لنفسي: لا، لن تحصل عليه. أتصور أنّ هناك شيئاً ركيكاً في أسلوب الحمراء بإطلالة على الموقع الذي سال فيه دم التنين. عندي ما يكفي للأكل ولا أرتعش برداً، عندي بيت - لا، حري بي في هذه الحال أن أترك الفتيات

الصفيقات أن يغنين من أجل بضعة ملايين. صاحبتك ايفا على صواب: التماثيل الحقيقية غالية، والمفروض أن تكون تماثيل العار غالية غلاءً خاصاً. كما أنه هو الذي بناها وولد أبناؤه وأحفاده هناك كان أيضاً مصرفياً، والمفروض أن يحظى المصرفيون بهذا التمثال. تصور: الحفارات تتقدم- في يوم واحد أزيل كل شيء، قرن من الذكريات. لا، لن تحصل عليه حتى لو كنت أفقر مما أنا عليه. يخيل إليّ أنني سأبيع شواهد قبر والدي من أجل وجبة عدس.

هيرمان فويلر (يتنهد): أعرف اللواتي بعن خاتم زواجهن من أجل قطعة خبز.

اريكا فويلر: وأعرف الذين سرقوا بوقاحة وبلا ذرة تأنيب ضمير وانحنوا ليلتقطوا أعقاب السجائر. أحدهم يجلس بجانبي.

هيرمان فويلر: أجل، أجل- لم أنس هذا. ربما كان هذا بداية سيئة لأن أنخرط في السياسة بمثل هذه الشراهة، مع شخص رأى هذا الجوع ولم يعان هو نفسه جوعاً قط، وأقصد شوندت. فمزرعة أبيه الكبرى لم تعرف جوعاً، وكان هو معتمد رواتب ضباط الجيش ومدير مستودع تمويني كبير في ألمانيا، هذا ما توصلت إليه الآن. في وقتها زحف الجياع والشرهون إليه وأعطاهم، ليس من دون مشاركة وجدانية - فقد رأى ألسنتهم الممدودة وأيديهم المرتجفة ولم يكن بخيلاً. (بصوت أكثر خفوتاً أيضاً). وأغلب الظن أنه لم يحتقرهم - اكتشف قوة الجياع وطاقتهم الرهيبة وطبيعتهم التي لا تشبع ويستطبع أن يصنع بها سياسة. ومع هذا كان عطوفاً.

اريكا فويلر: ثلاثة موتى في يوم واحد: اليزابيت وبلوكانسكي - ويقال إنّ امرأة شابة في أنتفيربين نزفت حتى الموت نتيجة إجهاض.

هيرمان فويلر: لا يمكنك أن تعتبريه السبب في موت بلوكانسكي. لا بل كان سيحتفظ بهذا لأنه كان ما لا يستطيعه بلاوكريمر: شعبياً ومحبوباً. كما أنّ اليزابيت ليست ضحيته. ما حدث لهذه المرأة الشابة في أنتفيربين لم يتوضح بعد - وأغلب الظن أنه سيطلب إسقاط بلاوكريمر لأجلها.

هيرمان فويلر: عن طريق بينغرلي -كيف؟

هيرمان فويلر: هذا محتمل. في مدة أقصاها أربعة عشر يوماً ستظهر الراية البيضاء، إلا أنّ (يتردد)- شيئاً مزعجاً ينتظرنا: علينا أن نطرد كاتارينا.

اريكا فويلر: لأنها صفعت الشفام(الاسفنجة) وسددت صفعة عنيفة إلى كارل أيضاً. كانت هذه في النهاية أخباراً سارة. ولا تنس أمراً آخر: أننا سنستبقي هذه الفتاة. إني استخف ظلها. وفضلاً عن ذلك هي في حاجة إلى النقود.

هيرمان فويلر: لست أدري - ظننت أنك تريدين الرحيل من هنا؟

اريكا فويلر: إلى أين؟ إلى الوطن ثانية؟ أصبحت لا أطيق المكان. كل شيء لايزال هنا أسوأ وأكثر لزوجة، لا بل يتم إخفاء الانتحارات والتغطية عليها. لا، كل شيء إلا حفلة الرماة وحفلة تدشين كنيسة ونادٍ خيري لسيدات مسيحيات. لا، ربما سافرت ذات مرة إلى روما، لكنني أعرف الآن أنني أرغب في العودة فوراً - إلى الراين، أجل إلى الراين. فهذا يجري فعلاً، هناك تحت.(تشير إلى تحت). ويوجد هنا كارل

وصاحبتك ايفا التي أعلنها صاحبة لي أيضاً. وهناك غرويش هذا الغول السليط اللسان، وربما استطعت أن أنصرف ذات يوم إلى معزفي. لم ألمسه منذ أن حدث هذا عند كابسبيتر - لم أعد أستطيع أن ألمسه، كان هذا مثل سحر. كل شيء إلا العودة إلى الوطن، ربما إلى روما من أجل العودة ثانية - لا. وهذه الفتاة كاتارينا باقية.

هيرمان فوبلر: لست أدري إذا كنا نستطيع استبقاءها. أنت تعرفين الشفام. يستطيع أن يتحمل كل شيء - أما الفضيحة العلنية فلا. إنه يدمر كل من يفضحه ويندد به علناً، وكلاهما مدّ يده علناً، على شرفة بلاوكريمر: كاتارينا وكارل.

اريكا فوبلر: وأنا صددته أيضاً ذات مرة بطريقة جريئة.

هيرمان فوبلر: لم يكن هذا علناً، ولم يغفر لك ولا لي أيضاً.

اريكا فوبلر: سأستبقي كاتارينا. أية إساءة يريد أن يسيء بها إلينا، أية إساءة يستطيع أن يسيء بها إلينا؟

هيرمان فوبلر: لا يستطيع أن يفعل شيئاً بصورة مباشرة. يطيل التفكير ثم يضرب ضربته في زاوية أو في جانب لم تفكري به قط - وإذا اقتضى الأمر نمائم لا تستطيعين حيالها شيئاً. كان الوحيد الذي أشاع أمري مع غولبن. تذكرين: كان لقمة لكل الذين لم تناسبهم نزاهتي. كان هو ذلك الذي حصل على صورة هذه الكوبية التي كان لكارل علاقة غرامية معها وأعطاها المال. سيجد شيئاً ما.

اريكا فوبلر: ماذا؟

هيرمان فوبلر: لا أدري ماذا؟ قبل كل شيء سيتعرض لكارل، ومن ثم لسرقة كاتارينا والمظاهرات التي شاركت فيها والحجارة التي قذفتها.

وسيطلب تأويل علاقتي بايفا وعلاقتك بكارل بطريقة قذرة.

اريكا فوبلر: تقول سيطلب؟

هيرمان فوبلر: له أزلامه الذين يهيئون شيئاً من هذا القبيل.

اريكا فوبلر: سيقوم بذلك حتى لو طردنا كاتارينا. (تتنهد). فليفعلها-وفي كل الأحوال سيقوم بذلك إذا ما أراد ذلك. فلنستبق كاتارينا إذاً. وفي نهاية المطاف لم تتعرض قط للعقاب. هذه الأشياء التافهة فقط.

هيرمان فوبلر: لست واثقاً إلى ذلك الحد من كارل.

اريكا فوبلر: هل تعتقد ...؟

هيرمان فوبلر: لا أحد يعرف كيف كسب ماله، ويكسب بعض المال، ليس من عندي فحسب. فهو متورط في قضية غامضة.

اريكا فوبلر: ولا أنت قادر على اكتشاف ذلك؟

هيرمان فوبلر: ولا أنا. فله في كل الوظائف رفاقه الذين يدافعون عنه وينزهونه عن المآخذ ولا يهملونه.

اريكا فوبلر: لنفرح برفاقه وننتظر. لم تحدثني بعد عن القداس الكبير.

هيرمان فوبلر: لقد ظفرت ببغيتك يا اريكا. (تنظر إليه نظرة تساؤل). كان جميلا كما عهدناه دائماً: قام شوندت بمهمة مساعد قسيس في القداس ، استغربت حين توجه الجميع لاقتبال القربان. ظفرت ببغيتك. لا لأني أحس بأنّني أقل إثماً منهم ولا لأنني أحس بأنني مسيحي أكثر منهم - ولا هذا أيضاً. (ينهض). أخافتني الفكرة أننا، لا أنا ولا أنت ولا كارل ولا ايفا يمكن أن نكون المسيحيين، بل هم. (يبقى

واقفاً أمام الكنبة). وأخيراً، وهذا ما خطر ببالي، إذ حين أنعمت النظر إلى الكاردينال وأصغيت إليه وراقبته - كانوا هم دائماً أولئك الذين حددوا ماذا يجب أن تكون المسيحية، في كل زمان ومكان. وأنت، أنا أقل منك، والآخرون كلهم ومنهم غرويش الممرور المستاء، أنتم على خطأ، لا هم. قلب عقلي وقلبي ومعدتي، وعزّ علي تحمّل هذا ولم استطع الانتظار حتى ينتهي هذا القداس الكبير الجميل. هذا ما توصلت إليه يا اريكا- فقد اعتراني دوار في أثناء ذلك. طبيعي أنهم افتقدوك، إلا أنها لم تكن فضيحة. أعلنوا أنك مريضة مع أنك لم ترغبي في ذلك. كان أسفاً أكثر من كونه سخطاً، وطبيعي أنّ التلفزيون والإذاعة كانا موجودين وغروف وبلايلر، كما تنبأت أنت. ما كان الواعظ ليطاق، وبدا لي الكاردينال مثل يرقة. آه يا اريكا، هذا ما كان لك، ولست أدري إذا كان القداس جميلاً. حين أتذكر والديّ أخاف وأقلق- ذكرى طفولتي والمدرسة و الجامعة وكل شيء، أنى لي أن أعبّر التعبير الجميل، كل شيء قمنا به بعد الحرب. لقد ظفرت ببغيتك. لا تسأليني عما توصلت أنت إليه.

اريكا فوبلر (تمسك بيده): كان أبي وأمي متدينين أيضاً، وكانت لي طفولة متدينة، وكنت في المدرسة عند راهبات متدينات أتذكرهن بامتنان. حاولن أن يشرحن لي هناء الشهوانية ومخاطرها. طبيعي أنه ليس هناك أي عزاء. انتهى الأمر، ما من صوت، حتى ولا كاردينال رفع صوته ضد القنابل والصواريخ، ولا واحد. ولا أنت أيضاً. وتعجب لسلب هذا العزاء منك، هذا الجمال الذي لا تشوبه شائبة وما كان لوعظ معسول أن يفسده عليك فيما مضى.

لست أنا من توصل إلى هذا ياهيرمان، بل أنتم توصلتم إليه وأنا معكم- دائماً وبلا تردد، بزخرفة كنسية. حدثني قلبي بذلك حين صوروني مع أساقفة في مؤتمرات و صوروا إرفتلربلوم مع راهبات ورهبان. لم أشعر قط بالارتياح التام، ولكن بما هو كاف. فالأمر يمسني ويمسني جداً، وعرفت ما فعلت حين بقيت هنا صباح هذا اليوم. والأمر يمسّك أكثر لأنك كنت على يقين مطلق بأن هذا يمكن فصله عن ذاك. وعليكم أيضاً ، علينا جميعاً أن نحطم كل شيء. والآن نندفع راكضين مثل المجانين وراء كل عازبة حبلى لكأنها تحمل المسيح في بطنها. وحملن هذا في البطن أيضاً حين كن عرضة لاحتقاركم ولعنكم وقبل أن تأخذوا في مطاردتهن. هذا ما أوضحته لي كاتارينا اليوم: كانت أمها أماً غير متزوجة، وهي نفسها أمّ غير متزوجة أيضاً. إعلان القداسة المتأخر لأمهات غير متزوجات يخلنه امتهاناً، وهو امتهان أيضاً. وهللتم في غباء وبلاهة وبلا تبصر مثل الدجاج للصواريخ ، أنت أيضاً - لا أنا، وأنا لا أغتر بشيء. أنتم أخليتم البيت وتستغربون الآن أنه لم يعد فيه سكان ولا أثاث.

قناع قلت أنت، وأحسنت التعبير - الآن حان الوقت لإزالة القناع. يؤسفني أنّ فتاةً مثل كاتارينا تمتعض حين تسمع عن الكنيسة مجرد سماع- يؤسفني هذا. إلا أنني أراها تركع مع ابنها إلى جانب كارل وهي امرأة أكبر سناً في هدأة لا يمكن كشفها ولا ينبغي كشفها. وفي النهاية إنه لموجود ذلك الذي كتب هنا في الرمل. لماذا كان لابد من إحداث مثل هذه الضجة، لماذا كان لابد من تنظيم كل شيء هكذا؟ وما زلت أشك في أنك على صواب، ولا أعتقد أنهم على حق ونحن على ضلال. لا أعتقد - أنه موجود.

كانت أمي تذهب مرتين كل يوم إلى الكنيسة إذا تيسّر لها ذلك وكانت سعيدة كلما استطاعت أن توهمنا بوجود بعض قطع البيض في حساء المساء. كان أبي يسب ويلعن كلما جاء تجار الجملة لكي يحاسبوا ويقبضوا المال، كانت أمي تتوسل إليه ألا يسب ويلعن. كلاهما كان خشناً صدوداً، قاسياً إلى حد ما، أما السيد البارون فقد جلس هنا في أثناء القداس في محبسه الخاص فوق، ليس بعيداً عن المحراب وكان يومىء إلينا بين الحين والآخر. كان هو، كما علمت فيما بعد، كان هو من حرض تاجر الجملة الذي ضيّق الخناق على أبي بأسعاره وشروط الدفع عنده - كان هو الرجل الذي كان يرحب بأبي في الاستقبالات بلطف فيه عجرفة. كان أبي يسميه سكاك قروش لم يعرف قلبه الرحمة ولم يمنح قط تخفيضاً أو تأجيلاً.

والتحق أخي بالجيش لأنه صار في مقدوره أن يأكل هنا أكلاً يشبعه. لم يصغ إلى ما كان يقوله أبي عن هتلر - لم يكن تهمه السياسة. كان يحلم بالنبيذ الفرنسي الأحمر الرخيص وبالفراريج، وأرجو أن يكون حظي أيضاً بعشيقة. فالشيء الذي كان عليه أن يؤديه في الجيش لم يكن صعباً صعوبة العمل الذي كان يقوم به عند فلاحه الذي رعى له على أرض فقيرة بعض البقرات وزرع بعض الشعير، كان أخي مرحاً، وصار في الجيش مرحاً؛ نبيذ أحمر وفراريج ولعله وجد امرأة. ثم مات - صعب عليه أن يدرك أنّ هناك مثل هؤلاء الذين كانوا يتذمرون من الأكل. مات - سقط عند آفرانشيه - ماذا يعني يا هيرمان - سقط...

هيرمان فوبلر: معرفتي بذلك ناقصة، تجنبت مكاتب الكتبة وكان لي خط نظيف مقروء ودرست بعض الفصول الدراسية. كنت جباناً، لم

أرغب في أن أكـون بطلاً أو أصـبح بطلاً، بقـيت دائمـاً في المؤخـرة، لكن بعـضـهم حكى طبـعـاً. السـقـوط، هذا يعني الصـراخ واللعن يا اريكا. وأحيـاناً أيضـاً الصلاة. وأنت تعرفين أنه حين بلغ الأمر مبلغ الجد فـررت من الجندية.

اريكا فويلر: كان أكثر بسالة مما لو أنك بقيت. لم تكن في حاجة إلى أن تقع في الأسر لأنّ شوندت كفلك. حماك في وقت مبكر، فقد كان في حاجة إليك.

هيرمـان فويلر: أحبني، هو أحبني ، أمـا الآخرون من مثل بلاوكريمر وهالبيـركام وبينغرلي، فقد احتـاج أليـهم. أحبني، وأسأل نفسي أنه لم يطاردك إلا ليختبرك لأنه كان يحبني. ونجحت في الاختبار، لكنني خفت مع أني كنت أعـرفك. كـان يطارد كل امـرأة تقـريبـاً. وتلقى بعض الصفعات، إلا أنه لم يحقد قط، خطورته طاقة بهيـمية يحاول أن يحقق بها أهدافه.

(يدخل شـوندت إلى الشرفـة الأرضيـة بلا صـوت تقـريباً. يرتعش كلاهما عند رؤيته.)

باول شـوندت (ضـاحكاً): يقـتـضي الموقف هنا اقـتـبـاس شـاهد من الإنجيل: لا تخافوا فأنا الفاعل. تتكلمان عني، خيل إلي أنني سمعت اسمي. لابد من السؤال الآن أيكما كان المتكلم. ولو أني أجهل أن اريكا هي الفاعلة.

اريكا فويلر: أجل، عرفت شتوتسلينغ حين كان يأتي إلينا في بعض الأحيـان طالبـاً جائعـاً ولاجئـاً لكي يذاكـر مع هيـرمـان. كـان آنذاك في الثـامنة عشـرة لاجئـاً يرتعش برداً بصورة دائمـة، كان يدفيء يديه على

موقدي قبل أن يقدم له حساؤه. لا بل كان يقدم له في بعض الأحيان بيض مقلي ...

باول شوندت: البيض الذي كنت آتيكم به ...(يضحك).

اريكا فوبلر: أجل، البيض الذي كنت تأتي به إلينا. وفي بعض الأحيان كنت أتبرع له ببعض السجاير وكنت أدس له في محفظته قطعة خبز. كان مؤثراً في النفس وكان أشبه بالضائع في وسط السوق السوداء والتهريب. أجل، اتصلت به هاتفياً من دون أن أعلم هيرمان بأي شيء، ومع ذلك عرف أنني سأقوم بذلك. لبست ثيابي من بعد ذلك وطلبت سيارة أجرة وسافرت إلى هناك. تعرف إلى أين.

باول شوندت (محزوناً متضايقاً): أجل، أعرف إلى أين. وحين أتذكر هذا أود لو أرمي بنفسي من هنا إلى تحت.(يتوجه صوب الدرابزين). كم عمق المكان هنا؟

هيرمان فوبلر: أربعة أمتار وثمانون سنتيمتراً - سيكون هذا كافياً. لكنك لن تفعل هذا. وأنا أيضاً لن أقدم على هذا العمل. كلنا أبرياء، ولم نرد ذلك، أليس كذلك؟ ما أردنا أن تنتحر السيدة بلوتغر، وما حدث في أنتفيربين لم نتمنّه، لم نرد ما حدث للسيدة اليزابيت بلاوكرير- ولا موت بلوكانسكي تمنيناه. أردنا بلاوكرير فقط وهالبركام الأعظم - ثم الشفام.

باول شوندت (مازال واقفاً عند الدرابزين): ماذا لو أنك دفعتني إلى تحت وألقيت بنفسك من بعد ذلك! انتحار مزدوج. سيصدقه الجميع نظراً للشائعات التي ستعصف بنا الآن.(في هدوء وجدّ ينظر نظرة متأملة إلى الظلام و الراين، بدأ يبكي وبات بكاؤه مسموعاً).

هيرمان فوبلر: يصعب علي أن أقاوم دموعك.

باول شـوندت: لم تفـهـمـوني قط. أجل، أردت كـلا الأمـرين، المال والسلطة، ولم أرد الدم قط، رأيت في الحرب ما يكفي من الدماء. كنت مسؤولاً عن تموين اثني عشر مستشفى عسكرياً ورأيت ما رأيت:رأيت المشـوهين والجـرحى وذوي الأطوار الغـريبـة - وفي المعـسكر عـرض علي الأمريكان مراكز سياسية لأنني ألقيت دروساً تناهض الفاشية.

وأنت ياهيرمان كنت أول من اصطحبته في هذه السفرة. كنت النزيه الذكي المخطط الذي لا يستغنى عنه في الإعداد لارتكاب جريمة من وراء المكتب. أسـألك: من أعـظم ذنبـاً ومسـؤوليـة ، أركـان حـرب الجـيش أم الجنرال الذي يجب أن يقـود المعـركـة؟ بالخـرائط وأعـلام التـحـديد كنت الاستـراتيـجي الذي بنى منظمـتنا. وكـان بلاوكريمر النـازي العـتـيق الذي احتجت إليـه لأنه ربما كـان قابلاً للابتـزاز. وكان هالبيـركام عدواً للنازية، كـان كلاهمـا صغـيراً جداً في السن حيث إنّ الناس يمكن أن يؤاخذوهما على هذا أو ذاك، وبينغرلي كان الكلب الجائع المتشرد الذي كـان سيـفعل كل شيء لقاء طرف من قطعة نقانق. والآن ...(ينتحب).

هيـرمـان فـوبلـر: الحق أن الولولـة لا تليق بـك. أمس هنأك الشـفـام بمناسبة عشرة آلاف سهم لك في الهيـفن- هينت التي ارتفعت قيـمتـها ٣٠٪. قـابلت هذا بابتـسـامـة سـاخـرة شـامـتـة، بعـد مـوت اليـزابيت بلاوكريمر وبعد النفوق الحقيـر الذي نفقه بلوكـانسكي وبعدما حدث في أنتفيربن ، أياً كان الشيء الذي وقع هناك .

باول شوندت: فـي معظم الأحيـان تنسـون شيـئاً مبـتـذلاً جداً - هو أنني إنسان أيضاً. لي زوجة وأنا أحبها، ولي ابنتان أنا متعلق بهما أشد

التعلق ولي أربعة حفداء. هؤلاء هم الذين يمنعونني من أن أرمي بنفسي إلى تحت - لا أنتم الذين تجلسون هنا وتحملقون في الراين وتمزحون. (صمت). لست بقاتل ولو أني كنت متورطاً في موت بعض الناس. لست المتسبب في موت بلوكانسكي ولا أحمل وزر موت اليزابيت بلاوكريمر.

وأنتفيريين - لسوف تنصفونني حين تعرفون ما كان ومن كان... وسترون أنها مسألة عويصة ومعقدة جداً. ذعرت لموت انجيليكا بلوتغر. أجل، أعترف أني سعدت لارتفاع قيمة أسهمي. أنا من طينة أرضية وأفكر بأسرتي - آه، ما جدوى تأنيبكم لي. (يستدير ملتفتاً إليهما كليهما). صدقاني، ليس أحب إليّ من أن أضع نهاية لكل شيء.

هيرمان فوبلر: على أية حال عملت حسابك بأن يصير بلاوكريمر وزيراً. هو يحكم وأنت تسيطر عليه - هذا مبدؤك.

باول شوندت (متعباً): كان هذا فيما مضى. يكشر لي عن أنيابه ويبيّن لي حدودي. ذنبكم ليس رهيباً في نظري. هل اعتقدت أنك على الهاتف ومن وراء المكتب وفي المؤتمرات الهادئة، بهدوء ولكن على نحو محدد الهدف، ستمرق بيدين نظيفتين؟ أتريد أن تجلس مع أريكا على الشرفة وتشكو من رداءة العالم وتكتب مذكراتك وتتهامس مع ايفا الفاتنة على نحو افلاطوني على مقاعد الحديقة العامة أو أن تعود إلى العزف معها عزفاً ثنائياً على المعزف. ولم يعد هناك وجود لأجهزة الهاتف الأربعة أو الخمسة التي تستطيع أن تخبط عليها خبطك على معزف كبير؟ وأن تضع نهاية نظيفة لحياة نظيفة بالقداس في الصباح وسلسلة الصلوات في المساء؟ أنت؟ لم تولد متقاعداً، غزلت الخيوط في

كل بلدان أوروبا وما وراء البحار. خارطاتك وخططك. وتغرز دبوساً في كل مكان تمّ الاستيلاء عليه ولا تعرف هل عثر في مكان ما في بوليفيا أو اسبانيا أو حيثما وسعت الشبكة على شخص انغرزت سكين في جوفه أو رصاصة في الظهر لأنك أنت غرزت الدبوس في الخارطة وحركّت العمليات وأثرت غيرة، ونزاعاً على السلطة وجشعاً، ولم ترد هذه الأمور قط ولن تعرف عنها شيئاً، مع أنك أنت سببت ذلك بافتتاح المكاتب وبالمال الذي لا نعرف أي شيء سيصنع به، هل تشرى به أسلحة أم أنه سيغيب في بيوت الدعارة و أوكار القمار أم سيستخدم للغرض الذي حددته أنت، كل شيء إكراماً لله أو إكراماً لجرمانيا، أم أنه سينفق ببساطة على الشرب؟ شيك، رسالة، مخابرة هاتفية، لا علم لك بما تسببه وما سببته.

مخابرة هاتفية واحدة يا اريكا ويكون سندك القديم الطيب قد دفع غالياً ثمن البيضات المقليات التي هي من عندي(يقهقه)، ولم تحمي إلا بينغرلي من الرعاية العنيفة بعض الشيء من قبل ايرلي غراف بيربين. وبالمناسبة فإنّ الشيء الذي أوضحه لك هيرمان بكل تأكيد ، ثبت أنه الحل الأفضل لنا: أول ضرب بالمدافع بلا مقابل، والصحافة يا عزيزي هيرمان، من كان أول الذين خطرت ببالهم الفكرة الرائعة البسيطة، فكرة السيطرة على الصحافة ومن ثم على الاذاعة المرئية؟ أنا لم تخطر الفكرة ببالي. من فكر آنذاك أنّ هذه الصحف الصغيرة المزعجة قد تصبح ذات أهمية؟ من؟ أجل. من؟ رجلنا الصغير الفطن الجالس إلى مكتبه - تنبأ ما لم أتنبأه أنا. أينبغي أن يعيش بينغرلي هذا ويرتعش، أردنا فقط أن يكون في أمان، وهاهو الآن في أمنه الراعش المدين به إلى ذكرى بضع

بيضات مقليات وبضع سجاير، ذكرى مليئة بالشوق والحنين إلى الماضي.

لكن هل تعلمين يا اريكا أي شيء سببت أنت علاوة على ذلك؟(اريكا ترفع نظرها مذعورة).. حادثاً يكاد أن يكون مميتاً. يكاد أن يكون يا عزيزتي. أراد بيربين رغم هذا أن يضبطه وانطلق يجري، وصدمه من الأمام سائق دراجة نارية: لحسن الحظ لم يصب إلا إصابة خفيفة، ومن فوقه عربة بيربين. وفق خطتنا كان هذا سيجري على نحو مغاير، بطريقة أهدأ وأقل دماً.(بصوت خافت منفعل). يسعدني من أجلك أنّ الأمر لم يأت على نحو أسوأ.

هيرمان فوبلر: نجحت في أن تخيفني الخوف من كل حركة ومن كل عمل و من كل مخابرة هاتفية حتى لو أنّ مخابرتي اقتصرت على طلب نبيذ ...

باول شوندت: أجل، وهم يرسلون إليك طلبك مع صبي على دراجة عادية أو بخارية ويصاب في الطريق. لا أحد يعرف أي شيء يسببه ولو اكتفى بأن يدعو عمته إلى فنجان قهوة. لا أقول هذا لكي أجعلكم شركاء في الجرم فحسب، بل أنا خائف أيضاً من نفسي. (بصوت أكثر خفوتاً). كان يمكن أن يكون هؤلاء جميعاً على قيد الحياة: انجيليكا بلوتغر واليزابيت - كنا ثقلاء الحركة إلى حد كبير، وكانت عائقاً له. حتى بلوكانسكي كان يمكن أن يحيا في تفاهته المنحرفة. وليس من داعٍ لأن أسقط خلفه. سيختنق في وظيفته لأنه لا يرغب في أن يتخلى عن أية وظيفة من وظائفه المتبقية: نائب برلمان اقليمي، مندوب مجلس إدارة مركز، مدير دائرة، عضو رئاسة مجلس تخطيط، مستشار شرطة الاقليم، اتحاد السدود، مجلس إدارة لدى صندوق توفير المركز والمستشفيات -

وفضلاً عن ذلك الحزب. (يضحك). سيختنق بذلك لأن يده لن تصل إلى ما فيه الكفاية. أتريد أن تتركني وحدي مع هؤلاء يا هيرمان؟

هيرمان فويلر: وأنت حضرتك هل سبق أن حصلت على مافيه الكفاية ؟ (ينهض ويسوي الغطاء حول اريكا مرة أخرى وعلى نحو أوثق.) هل ستفعل كل شيء لكي تجعله وزيراً ولكي يختنق بذلك؟ لم أناد قط بالبراءة ولم أعرف دائماً ما كنت أسببه، لكنني عرفت دائما ما كنت أفعله - ليس في الوظيفة فحسب. هنا، وبهاتين اليدين أغرقت ملفات كلوسوف، وبهاتين اليدين أحرقت ملفات بلوتغر - نزهة صيدبالصنارة ونار قنص ومطاردة قدّم هالبيركام حولها رقصة الهنود. لكن، يا باول، اريكا حكت لي ذلك صبيحة هذا اليوم، كفاية - كفاية - قالت هذا قبل أن ترى اليزابيت ميتة - بوجه متقلص ولسان متدل. لا، لايمكنك أن تلصق بها تهمة سائق الدراجة النارية المجروح ولا أن تحملها إياه مثله مثل سيارة بيربين المعجونة. أنت أمرت بهذه النشاطات وخططتم لادخال بينغرلي، ولولا هذا ما كانت اريكا اضطرت إلى الاتصال الهاتفي. أي شيء، أي شيء كان سيحدث لو أن كل شيء سار وفق خطتكم؟ لو أن بينغرلي دافع عن نفسه لرمي بالرصاص؟ عليك أن تساوي بين ما حدث وما كان سيحدث. فكر بما كان يمكن أن يحدث لو أن بينغرلي قاوم- ومقاومته محتملة.

دعنا من هذا - لا تخوّف اريكا ولا ترهبها. إني لأتردد كل صباح حين يسألني سائقي عن وجهة سيرنا: إلى اليسار مروراً بشارع هومبولدت أم إلى اليمين مروراً بشارع فيلهيلم. كل صباح هذه الشكوك لأنني أتساءل: ماذا يمكن أن يحدث هناك أو ماذا يمكن أن يحدث هنا

لأنني اخترت أحد الأمرين. فلا نستطيع أن نحيا من غير أن نختار هذا الامر أو ذاك! كل قطعة خبز آكلها آخذها من شخص لا أعرفه. والحليب الذي أشربه أدين به للمواد الغذائية التي تعني في مكان ما خبزاً وعصيدة أو رغيف خبز. حتى النبيذ الذي نشربه ليس ملكاً لنا - بالأسمدة التي يحتاج اليها قد تنمو حبوب في مكان ما. وحين أرفع سماعة هاتفي، إحدى السماعات الأربع، أو أدير القرص لكي أؤنب شخصاً يستحق التأنيب لا أعرف إن كان سيضرب امرأته ام أطفاله في المساء بسبب ذلك أو سيسكر أو يركب سيارته غاضباً ويسبب حادثاً. حكم علينا بالعمل: أعرف ما أفعل ولا أعرف ما أسببه. ربما أعرف ما يسببه هو، الرجل الغامض وحده الذي يحطم ليلاً في هدأة تامة وبشاشة معازف المصرفيين ويكدسها تكديساً مرتباً حطباً للحرق أمام الموقد.

باول شوندت: أغلب الظن أنه ذلك الذي أدخلتم صديقته إلى المنزل مخالفين نصيحتي. سيكون لزاماً عليكم أن تتخلوا عن هذه السيدة الشابة الحازمة.

اريكا فوبلر: لا، لن نتخلى عنها. انها فطنة وشاطرة وفضلاً عن ذلك تحتاج إلى المال - لن أتخلى عنها.

باول شوندت: صفع الشفام أمام الملأ أمر لم يقدم عليه أحد بعد. ربما لاتعرفين يا اريكا ما قد يسببه - هو، هو (يتلعثم)- فأنا حياله أمير حكايات، صبي يتيم.

هيرمان فوبلر: حصل على غنيمته وأغلب الظن أنه سيكون غداً باكراً أكثر هدوءاً لأنه انتصر في مثل هذه الحال. لا بل إنه استعاد نظارتيه. أعرف ماذا يمكن أن يسببه: يستطيع أن يلغي مهمة بولكر-

هوم-بريساتسكي، وهذا يعني حجم معاملات لاتقل عن مليار. لكنه لن يقدم على هذا أيضاً لأنه متأكد من عمولته ولا يعرف إن كان سيحصل عليها في مكان ما. بل في إمكانه أن يعثر على بينغرلي ويشجعه على قول ما في نفسه. يمكنه أن يهيئنا، هكذا يجيد المرء التعبير. فقد تأتى له في مكان ما أن يدبر في الخفاء ثورات وفتناً.

اريكا فويلر: سيقوم بذلك بسبب محاولة تقرّب فاشلة - سيدمر شركات ويحرك شركاء صحافة، والأرجح أنه سيستخدم ارهابيين ويدفع لهم لأن امرأة شابة حازمة صفعته - ولأن صديقها آزرها؟ ألهذا السبب؟

باول شوندت: لهذا السبب أيضاً. فهو حساس في مسائل نسائية ومعجب بنفسه. لكن الأهم في نظره أن يطيع المرء. إنه لا يتحمل العصيان. أنصحك بأن تتركي الصغيرة تهرب. أقول لك: حتى كابسبيتر الذي يرتجف منه كثيرون جداً يرتجف أمامه.

هيرمان فويلر: لحسن الحظ أنهم ألهوه عن ايفا. وأعتقد أنه لو تعدى عليها بالضرب لخنقته. حين أتصور أنّ غروبش كان سيضرب ضربته على نحو أشد من كارل. كانت ردة فعل هالبيركام ذكية وعرض زوجة بلاوكريمر الثانية للأكل الرديء - وبنجاح كما يظهر. المفروض ألا نخاف كثيراً، فلن يسلط أضواءه على كل زاوية حيث الفتاة لا تزال تعمل.

باول شوندت: لستم كل زاوية ولا حانة على قارعة شارع يسمح فيها تقديم النقانق والبيرة أيضاً. ينتظر منك يا هيرمان الولاء. أغلب الظن أنه كان سيطيب له أن يترك إحدى الكونتيسات تصفعه، وفي هذه الحال كان سيتمكن من الحديث: أنّ كونتيسة صفعته - لكن أن تصفعه خادمة

مطعم؟ أحذركم، فقد لا أستطيع أن أساعدكم أمامه إلا بشق النفس.

اريكا فوبلر: عندما يصغي المرء إليك بهذه الطريقة يساوره تردد. فكل شيء يوحي بأنه معقول وإنساني إلى حد كبير - لكأنك قلق علينا حقيقة.

باول شوندت (في غاية الاستياء): هكذا يوحي ؟ هكذا يوحي ؟ أنا قلق عليكم بحق. حتى لو أني قمت بمحاولات تقرّب منك - أهي إهانة عندما اشتهي امرأة؟

اريكا فوبلر: ربما في نظر زوجها، أليس كذلك؟

باول شوندت: ولا هذا أيضاً لأنه يأتيه الاثبات كم هي مشتهاة، وحين يصمدن - وقد صمدت اريكا - أقول لكم أيضاً أنّ هناك نساء، ونساء متزوجات أيضاً، يشعرن بالاهانة عندما لا يحاول الانسان معهن، لا بل هناك أزواج يجدون الأمر مهانة حين لا يحاول أحدهم مع زوجاتهم. الحق أنني قلق عليكم أنتم رجال البراءة - وأنتم تعيشون في وسط العالم، في وسط العربدة والضجيج ولا تعرفون ما يجري.

هيرمان فوبلر: لست من نوع هؤلاء الرجال الذين تصفهم. سنحتفظ بكاتارينا - لا تهددنا قبل أن نتلقى تهديداً من الشفام نفسه. لا تطالعني بما أنت قادر عليه. أعرف ما أنت مقتدر عليه. اذهب الآن ودعنا وشأننا - اريكا مريضة، وهي خائفة ومتعبة.

باول شوندت: لم يسبق أن طردتماني، ولا في الساعة الرابعة صباحاً. إنها المرة الأولى(يبقى لحظة من الزمن واقفاً)- المرة الأولى - كم مرة واسيت نفسي إلى مائدتكم ... (ينصرف).

هيرمان فوبلر: هيا الآن إلى السرير، سيبرد الجو.

اريكا فـويلر: ليس قـبل أن ترخي السـتـائر. انتـبـه حين تتـسلق السلم. (يمضي فـويلر.) يهـدئني المرة تلو المرة كلمـا وقف هنا أو جلس أو تكلم، كل شيء يوحي بأنه طبيعي ومقنع إلى حد كبير. المرة تلو المرة.

الفصل الحادي عشر

(غرفة كبيرة في داخل منزل فوبلر، أثاث مريح، غير مترف. اريكا فوبلر مستلقية على اريكة بجانب المعزف حين تفتح كاتارينا ريشتر الباب وتسمح لهاينريش فون كرايل بالدخول.)

هاينريش فون كرايل (يتقدم من اريكا ويقبل يدها): يؤسفني أنه كان علي أن أدعو للاجتماع هنا. أردتك ان تكوني حاضرة ولأنك لم تتمكني من مغادرة البيت...

اريكا فوبلر: حسن، لا ضير في ذلك. يحلو لي أن يأتيني ضيوف، وأهلاً وسهلاً بكل من دعوت.

هاينريش فون كرايل: جئت قبل الموعد لأنني أود أن أناقش معك شيئاً خاصاً جداً، شيئاً حساساً أثر فيّ أمس وأثارني وبلبل أفكاري. (يجلس على كرسي بجانب الأريكة، يتردد في القول ويتلعثم.) أنا - أنا لست أدري كيف أبدأ - الخجل - تربينا على ألا نتكلم عن مثل هذه الأشياء - أعني الأمور الدينية. كان كل شيء بدهياً إلى حد كبير، طبعاً النقد والمسبات و(يهز كتفيه) وما إلى ذلك. فكرت طويلاً بالشخص الذي أستطيع أن أتحدث معه في هذه الأمور وأستطيع أن أشرح له الموضوع. أنت الانسان الوحيد الذي خطر ببالي. أكاد لا

أعرفك، التقيتك بضع مرات قبل سنوات عند ابني، وفي استقبالات، وطبيعي أنني أعرف هيرمان فوبلر من الحزب. لكن بعد كل ما سمعته عنك فكرت(ينهض منفعلاً ويمشي بضع خطوات)- أرجوك ألا تضحكي - لكن لا، لو أني خفت من أن تضحكي لما جئت إليك، اعذريني. أنا- ومنذ أن استطعت أن أتذكر، طاب لي أن أؤم الصلاة العامة. لم يكن هناك ما يجبرني على ذلك، ولئن كان هذا واجباً إلا أنني لم أحسه فرضاً. وفي أثناء الحرب وفيما بعد كان هذا عزاء أكبر - وضرورة. لكن منذ البارحة ...

اريكا فوبلر: منذ البارحة طرأ تغير عند هيرمان أيضاً، كان مثلك محطماً إن صح التعبير...

هاينريش فون كرايل: وأنت، لم تذهبي إلى هناك، لم تكوني أمس مريضة كما سمعت.

اريكا فوبلر: تنصتّ من جديد حين تقابلوا هنا - أنت تعرف من... أرقت الليل كله - تذكرت الأموات: أخي وأبي والأربعين سنة بعد الحرب - تذكرت كل الصلوات الاحتفالية التي شاركت فيها - دائماً في الصف الأول، ودائماً في الواجهة، أود أن أقول في المقدمة أو لافتة للنظر، لنقل إنه نوع من السيدات ذوات المقام الثاني اللواتي يمثلن أحياناً السيدة الأولى. استمتعت بذلك، كانت حالي أشبه بحالك، وطاب لي دائماً أن أذهب إلى الكنيسة، و أن أذهب في كثير من الحالات إلى العبادات المسائية. لكن أمس اعتراني خوف من أن ادخل في الدور الممثل اللافت للنظر لأنه كان علي أن اجلس أمس في الموضع المفضل كما يقال. خفت من أن يحدث لي ما حدث لك ولهيرمان من بعد ذلك. ما كانت أعصابي

ستتحمل هذا أيضاً، أغلب الظن أنني كنت سأبدأ في الصراخ أو شيء من هذا القبيل.

هاينريش فون كرايل: صعب علي أن أبقى حتى النهاية، ولم آت إلا حين أوشك الوعظ على الانتهاء. لم أجلس في الواجهة، في المكان الذي كان محجوزاً لي، بقيت واقفاً في الخلف، كنت أؤثر هذا دائماً على كل حال، فجأة - أو أنه لم يكن أمراً مفاجئاً إلى هذا الحد، أحسست: أن الكنيسة خاوية - وأنا أيضاً كنت فارغاً. قوات الأمن كانت تبعد في الخارج بعض الشباب الذين أرادوا الدخول، ربما كانت الكنيسة ستمتلىء بهم، إلا أنهم أبعدوهم وردوا الذين لم يكونوا مدعوّين على أعقابهم، وأقرباء القسيس أيضاً. تركوني أدخل: كانت معي بطاقتي. أسألك يا عزيزتي اريكا فوبلر أي قداس هو هذا؟

اريكا فوبلر: قداس أمن يا عزيزي الغراف، قداس أمن. وأغلب الظن أن موظفي أمن كانوا من مساعدي القس في القدّاس... هل كان رقم ٣ أيضاً من بين الحاضرين؟

هاينريش فون كرايل: رقم ٣ - من هو هذا؟

اريكا فوبلر: اقترب مني أكثر. لا أستطيع إلا الهمس بذلك همساً خافتاً، خافتاً جداً. (يقترب هاينريش فون كرايل أكثر ويضع أذنه على فمها، وتهمس.)

هاينريش فون كرايل: لا، لم أره. لا أستطيع أن أصدق أنه يصول ويجول هنا.

اريكا فوبلر: في إمكانك أن تصدق هذا.

هاينريش فون كرايل: أهو ... أعني هل هو كاثوليكي؟

اريكا فوبلر: وما المانع من أن يكون كاثوليكياً؟ ففيه كل مقومات الزخرف، ويبدو جميلا - وما الذي يمنعه من الذهاب إلى الصلوات الاحتفالية ولو أنه ليس كاثوليكياً؟ إنها، إن صح التعبير، جلبة لا داعي لها - في هذه الحال سيكون في إمكان السفير الروسي أن يشارك أيضاً. (يزداد صوتها خفوتاً). أعرف لماذا أنت قلق إلى هذا الحد: لم يكن حاضراً ذلك الذي تبحث عنه. طردوه وفي التحول أيضاً لم يأت، لا لأنهم كانوا خطاة إلى حد كبير وفاسدين حتى العظم - ليس هذا بجديد. ولا لأنهم لم يحسوا بأنهم أثمة خطاة: يرتشون ويهللون للصواريخ، يقدسون ويحبون الموت حتى درجة العبادة. هذا كله ليس جديداً. الجديد : أنهم لا يحسون بالذنب ولا بأي إثم. وأولئك الذين سيدهنون قدميه بالدهان ينتحرون ويمطون اللسان لهم في الموت، فهم قساة القلوب وحديثهم الدائم عن انعدام العواطف وعن القسر والموضوعية. فقد طرحوا في الأسواق الزيت النفيس الذي قد يدهن المرء قدميه به ووصلوا به إلى سوق المال- أساقفة مملون وكرادلة جامدون - طردوه وأقاموا قداديس أمن أبعد عنها الذين يجعلون من أحد القداديس قداساً. في هذه الحال ليس لنا مكان يا عزيزي الغراف، لا في الداخل ولا في الخارج.

هاينريش فون كرايل: إلى أين إذاً؟ (في يأس). لا يسعني العيش هكذا، أنا خائف، سأجنّ. ربما أنا مجنون.

اريكا فوبلر: إلى أين؟ الأرجح إلى حيث، إلى حيث ذهبت زوجتك التي سمعت عنها الكثير الكثير. أمّ كارل، وإن صحّ ما فهمته، نزلت إلى الراين حين ظهر ارفتلر-بلوم عندك مع جماعته. أي شيء رأته في وجهه وعلى وجوه رفقته - متى كان هذا؟ أظن في عام ١٩٥١ حين كان

كارل في الخامسة من عمره، أليس كذلك؟ (يومىء هاينريش فون كرايل بالايجاب). كان هيرمان لا يزال آنذاك مدير دائرة واستمتعنا بذلك كثيراً، منزل كبير وتدفئة دائمة وأكل دائم. كنت آنذاك في الواحدة والثلاثين وكنت مشغوفة بالرقص، كنت أنتظر بسرور القداديس الكبيرة.

هاينريش فون كرايل: بدا لي في بعض الأحيان كأنّ القداديس تتجاوب مع آراء الحزب أكثر من الحزب نفسه. (متأملاً). لم أتضايق فحسب، لا، وماكان علي أن أغضب فحسب، بل أن أمعن في التفكير أيضاً حين امتنع كارل عن الالتحاق بالجيش وبدلاً من ذلك آثرأن يطعم معتوهين حين توقف عن الذهاب إلى القداس- حين حطم معزفه - كنت، كنت - والآن حلّ في نفسي الفراغ الذي يستعصي على الحزن أن يملأه، ياعزيزتي اريكا، ليس هو الفراغ فحسب الذي تسببه الفخفخة والأبهة، (يهز الرأس) وليس فراغ الشيء الاستعراضي لهذه القداديس فحسب، كما تقولون، قداديس الأمن - لم أعد أجد هذا في أي مكان آخر أيضاً. صباح هذا اليوم ذهبت إلى الكنيسة إلى قداس هادىء سريع. قلت في نفسي ستجده من جديد حيث يقبع خمسة وستة أو ثمانية على أقل تقدير جنباً إلى جنب وحيث يقيم قسيس متعب مجهد قداساً على نحو هادىء. لم أجده هناك أيضاً من جديد، واليوم أيضاً أنا في حاجة ماسة إليه. فقد حدث أمر مزعج وينتظرني قرار لا أستطيع أن اتخذه وحدي. لا أستطيع ذلك، ولهذا طلبت من الجميع الحضور: فقد عرضوا علي أن أخلف هويلبوك(ينظر إلى اريكا متخوفاً)- يريد أن يستقيل.

اريكا فوبلر: إنه شوندت يا عزيزي الغراف، يا إلهي، يا إلهي - ايها الرقم ٤ المقدس. طبيعي هو الوحيد الذي خطرت بباله هذه الفكرة،

وربما كـان هيرمـان الطيب أيضاً ذلك الذي يريد أن ينقـذ الحكومـة من جديد. (تنهض ناظرة إلى هاينريش فون كرايل نظرة فاحصة . وعلى حين تسترسل في الكلام يدخلون الغرفة فرادى وثنى كل من كارل وكاتارينا وايفا وغروبش ولوري شميتس. تستمر اريكا قائلة:)الطول حسب تقديري ١٧٤ سم، فوق الوسط إلى حد ما، أشيب الشعر، وجه حسّنه ألم ثلاثين عاماً على وفاة زوجته، ماضٍ لا غبار عليه، ولا بفينيغ واحد بكسب غير مشروع، أيها الغراف، إضافة إلى ذلك كاثوليكي. هل هناك لطخة لا نعرفها؟سمّها على نحو مبكر بما فيه الكفاية قبل أن يستخدمها شوندت ضدك، (يجلس الداخلون الجدد، وآخرون - مثل كارل وكاتارينا - يستندون إلى المعزف.)

هاينريش فون كرايل: المزعج هو أنه ليس هناك ما ينبغي أن ألوم نفسي عليه وهذا أمر يخيفني. ربما كان هذا (يشير إلى كارل) سيعيب علي، إلا أنه في الثامنة والثلاثين وهو وحده مسؤول عن حماقاته. أحبه، وإن كان الحفيد الذي أنجبه هو وولدته هي (يشير إلى كاتارينا) لا يحمل اسمي. ثروتي نمت من الأرض ونزلت من السماء مثل عملة نجمية: المراعي غير الخصبة - وكانت كثيرة تلك التي كنا نملكها قروناً من الزمن وأجرناها لكلاب معدمين - لم يكن الذنب ذنبي ولم أكن صاحب الفضل في أنها أصبحت فجأة ذات قيمة إلى حد كبير، لأنه أقيمت عليها محطات توليد طاقة كهربائية وثكنات ومبانٍ سكنية ومراكز تجارية.- صنعوا من الأرض عقارات. أحس بالذنب من غير أن أقترف ذنباً، والاثم الوحيد الذي اقترفته لا يكلف شيئاً، الحزن لموت مارتا ومجرى العالم، مجرى الأمور. لست حزيناً على ابني الذي أعرض عن

كل شيء كان غالياً في نظري: الغرب والكنيسة والتقليد. المهم أنه لم يدر ظهره للقانون ولا للشيء الذي لم أعد أجده، أنا فارغ مثل شخص تركوه كل شيء، وأخاف من كل شيء قد يتسرب إلى داخل هذا الفراغ. وها أنت أول من أسأله يا اريكا: أينبغي عليّ أم لا؟ ما زال لدي من الوقت ست ساعات.

اريكا فوبلر: من سيكون البديل؟

هاينريش فون كرايل: ديمبلر - سيقبل بلا تردد، لكن الاختيار الأول سيقع علي.

اريكا فوبلر: أوه، يالهم من شياطين! ديمبلر: اللطيف الرقيق الذي يستطيع أن يبتسم ويفتر ضاحكاً، المشعوذ الصغير اللطيف الذي يجمع بين النشاط وخفة الظل. كل شيء هو: راقص جيد وتقي ورع ***بمعنى*** الكلمة. ولربما اكتشف الحل الوسط، يعرف تمام المعرفة أنه حين يطلب ١٠٠ لا يحصل إلا على ٤٢، ثم يعطونه ٤٣,٥٠ ويهلل لأنه يعرف أنهم كانوا سيعطونه ٤٨ أيضاً، لابل إنه حسب حساباً لذلك - وأنهم، هم لديهم ما يدعوهم إلى الاغتباط بالنجاح. ديمبلر! أي خاطر - لا، يا عزيزي الغراف، تنازل لديمبلر عن دورك. هو شاب ودون الثامنة والأربعين، نشيط وخفيف الظل وكاثوليكي (تضحك) - لطيف، لطيف، لا بل جذاب. شوندت وغد يعرف أنه رجل في الرجال - وديمبلر واحد لايعرف أنه رجل في الرجال. (تهز الرأس). سيكونان تضليلاً خيالياً وتصنعاً لوقائع كاذبة...

هاينريش فون كرايل (يلتفت إلى لوري الجالسة على كرسي): وأنت يا عزيزتي. رجتني كنّتي ايفا أن أقحمك في القضية أيضاً مع أنها لم تعرف بعد لماذا أنا في حاجة إلى نصيحتك. أتعرفين هويلبوك؟

لوري شميتس: أجل. خفيف الظل، لكن (تهز الكتفين) حتى لو كان خفيف الظل فلا يعني لي أي شيء.

هاينريش فون كرايل: ولو صرت خلفاً لهويلبوك؟

لوري شميتس (تبتسم): خفة ظل أكبر، ولربما كان لي مغنم من ذلك، فأنت أبو كارل الذي أسكن عنده.

هاينريش فون كرايل: لن أستطيع أن أحقق لك أية منافع، ولا لكارل أيضاً الذي لن يرغب في أية مغانم. أتفكرين في مغانمك فقط؟

لوري شميتس (مترددة): لي أصدقاء أيضاً وأنا متعلقة بهم ولي أيضاً مشاعري. ما كنت سأبقى إلى الأبد عند بلوكانسكي، مع أنه كان طيباً معي وأعطاني المال والثياب. وكان في وسعي أن أعطي أبوي شيئاً من ذلك، وذات مرة ساعدني في أن أحمي أخي من عقوبة شديدة: الشروع في سرقة مصرف - اقترف الحماقة الوحيدة التي يمكن أن يقترفها شخص ما: أنه تركهم يقبضون عليه. بلوكانسكي استجلب له محامياً كلف مالاً كثيراً وخرج أخي من القضية بسلام، لابل وضع تحت الاختبار.

هاينريش فون كرايل (يصغي مدهوشاً): المسألة إذاً هي مسألة ألا يضبط الانسان في الجرم المشهود؟ لا من أجل - لا من أجل - (يتلعثم).

لوري شميتس: هل تعني لا من أجل القانون والنظام؟ لا، ليس هذا هو الموضوع. المسألة هي مسألة الحيازة على شيء يملكه الآخرون، وللحصول على ذلك يجب على المرء القيام بأمور لا تجعلهم يضبطونه بالجرم المشهود. إنني أقرأ صحفاً أيضاً، أيها الغراف، وأشاهد التلفاز

وأستمع إلى الاذاعة. حين يلقى القبض على شخص لم يكن هناك ما يدعوه إلى القيام بعمل غير مشروع - أقصد أصحاب مئات الالوف والملايين - حين أقرأ كيف يعانون في يوم من الأيام من مرض قلب شديد ثم يمثلون في اليوم الثاني أمام القضاء متهللي الوجه وقد لوحتهم الشمس: أبرياء مشرقي الوجه وأراهم وهم يقفون أمام المحكمة ويمثلون أمام لجان: مشرقي الوجه ولطفاء يضحكون - هل ينبغي عليّ في هذه الحال، أنا لا أحد سواي، أن أتمسك بالقوانين وأؤمن بالنظام؟ لم أعمل قط عملاً غير مشروع، حتى إني لم أسرق شيئاً تافهاً خوفاً من أن أضبط. نحن، نحن لا نستطيع أن نكون متهللي الوجوه مثلما يمثل المنتصرون أمام القضاء، فقد حكم علينا قبل أن يتم النطق بالحكم.

نشأت في دهاليز فاسدة خاصة ببيوت انتقالية وعملت بالكيمياء في القسم الذي يتقيأ فيه المرء في الصباح الباكر. حين كنت في السابعة عشرة دفعني أحدهم في طريق الرذيلة، عندئذ تعرفت إلى بلوكانسكي واحتواني في بيته. أجل، كان - كيف يسمي الناس هذا - أجل، ربما كان فاسداً، ومع هذا أحبني إلى درجة لا أستطيع أن أشرحها. فاسد؟ ماهذا؟ بل إنّ بلوكانسكي أرسلني إلى جهات حيث إني عقدت على الأقل صفقة محترمة؛ وبسيارته الرسمية تركني أسافر إلى هناك، وكان هذا - أنى لي أن أسميه، كان مخالفاً للنزاهة. أراد أن يوصي لي بشيء في وصيته، ثم مات، وها إنّ أمه القرفة أولّي تلتهم كل شيء وزوجته التي تبدو لطيفة كل اللطف. قانون ونظام! (تضحك). هناك شيء واحد: الوفاء والحب، لا الايمان. سأفعل أي شيء من أجل أخي الصغير - كل شيء، ولو صار مجرماً. قانون ونظام، أيها السيد الغراف، ليس لدينا

المال الكافي لهذا الترف ، حتى الذين لديهم المال الكافي لهذا الترف لن يقدروا عليه: وسواء أكان هويلبوك أم أنت - فظلك خفيف علي، وليكن هذا ولو لم يجرّ علي مغانم - إذاً: تفضل. في الحقيقة لا يهمني الأمر إلا كما يهمني من سيصبح البابا أو كائن من يكون في هذا النادي. سأتعلم أولاً وأريد أن أعمل وأدرس. ربما استطعت فيما بعد أن أقرّ وأقبل بالقانون والنظام. استميحك العذر، إلا أنك بدأت بالقانون والنظام. في هذه اللحظة أستطيع القيام بذلك لأنّ هذين هناك (تشير إلى كارل وكاتارينا) لطيفان معي وأنا أحبهما. أقرأ وأرى وأسمع - وتحت كل شهادة استلمتها، وتحت أردأ شهادة أيضاً كتب دائماً: ليست غبية. سأكون مصونة حسنة السلوك ما دمت قادرة على ذلك.

هاينريش فون كرايل (يصغي فاغر الفم ويهز الرأس): قولي يا صغيرتي العزيزة ألست كاثوليكية أيضاً؟

لوري شميتس: أجل، كاثوليكية. لي رجاء : لا تنادني بصغيرتي العزيزة، الرجاء ألا تقول لي هذا. كان الجميع ينادونني هكذا، المعلمون والقساوسة والمشرفة الاجتماعية والعاملة الاجتماعية والسيدات المحسنات المتصدقات اللواتي كن يجلبن لنا أحياناً طروداً و دسسن لي في الجيب، حين أصبحت في الرابعة عشرة ، علبة حبوب منع الحمل لأنهن عرفن أننا نعيش حياة فجور، كما كنّ يسمينها. وجاء زمن بدأت أكرههن فيه، ولا سيما واحدة كنت أشاهدها أحياناً في التلفاز، وهي من الحزب، وأغلب الظن أنها صديقتك أيضاً، امرأة بمثل هذا الحسن والأناقة، لم تعد شابة - أنيقة. حين قلت لها ذات مرة إنّه سيطيب لي أن أكون أنيقة حسنة الهندام مثلها ذعرت وقالت: لم يكن سوء قصد من

المسيح. وأخرى أرادت أن تزج بي في دير. الرجاء ألا تعود إلى مناداتي بصغيرتي العزيزة - اسمي لوري، وفي وسعك أن تخاطبني بالكاف. لا، الرجاء، رجائي ألا تأتيني بالدين. فهو لأولئك الذين يبتسمون أمام المحكمة. أصحاب الملايين.

هاينريش فون كرايل (يصغي مذعوراً، يهز الرأس ويتحول إلى غروبش وهو خجل أشد الخجل): وحضرتكم أيها السيد غروبش، حضرتكم؟ أينبعي عليّ أم لا؟

ارنست غروبش: يجب عليك إذا ما سألتني. يجب عليك. هذه هي الدولة الوحيدة التي هي لنا، وليس لنا غيرها ولا أفضل منها أيضاً. صنعتنا و صنعناها. استقال هويلبوك لأنه، كما أسمع، لم يعد يستطيع أن يتحمل القاذورات كلها. يجب عليكم أنتم أن تتحملوا القذارات وتقللوا منها. طفولتي وشبابي لم يكونا أليمين مثل طفولة لوري وشبابها ولم يكونا أفضل بكثير. وأنا مثل لوري أكره كل ما يدل على الكنيسة، ومع هذا أذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد. أجل، هذا جنون. وأنا مجنون - والأكثر جنوناً أنني الآن وفي الوقت الذي أحتاج فيه أحياناً إلى الذهاب إلى الكنيسة لم أعد أذهب. أنا متسلّق أراد أن يتسلّق ولم يكن ليستغني عن الكنيسة في أثناء ذلك - كرهت بلوكانسكي - أريد أن أصنع دولة قد تدرك فيها لوري أنه لشيء جميل، أجل إنه لجميل أن تراعى القوانين، حتى لو أنّ آخرين مسّوها من غير حياء ومن دون أن ينالهم عقاب. ضرورة الشرح أن القانون قانوننا لا قانون أولئك. لم يستطع هويلبوك أن يتحمل القاذورات التي تبرز الآن وتنبثق من القنوات القديمة. أنتم، أيها الغراف، عليكم أن تتحملوا هذه

الرائحة الكريهة. لا تخلِ الميدان لديمبلر. ليس بفاسد، إلا أنّ له أنفاً حساساً جداً. مثله مثل مراقب المعرض الذي يجب أن يعمل ومعه زجاجة عطر أمام أنفه لكي لا يضطر إلى شم العرق والبراز والبول، هذه الرائحة الكريهة التي تنساب إليه من تحت. ليس خوفي إلا من أنني لا أستطيع أن أكتشف عيباً فيك.

هاينريش فون كرايل: رحلت زوجتي عنا - لم أستطع ابقاءها.

ارنست غروبش: في هذه الحال يجب أن تزيل كل ما دفع بزوجتك إلى الانتحار، ما رأته على وجه ارفتلر-بلوم ووجوه رفقائه وما يمكن أن تراه أنت على وجه ديمبلر، الثقة التي تبتسم بشماتة والتي تراها أيضاً على وجوه أولئك الذين تقرأ لوري عنهم في الجرائد، الوجوه التي تراها هي وتسمعها والتي لا تشجع لوري على أن تقيم وزناً لأي قانون. ربما كان حرياً بك أن تمنح زوجتك الثقة التي أتوقعها أنا منك أنّ السادة لن يبقوا سادتنا إلى الأبد. تصويتي إذاً: بلا قيد أو شرط، أجل، يجب أن تقوم بذلك.

(يلتفت هاينريش فون كرايل إلى ايفا صامتاً).

ايفا بلينت: بدأت أفهم وأدرك ما يمكن أن تكون السياسة عليه. لم أفهم قط، ظننت أنّ هذا لعب، لعب من أجل اللعب بعيداً عن أي تأثير. لم أكن قط مستهترة، إنما رعناء. هذه الليلة بدأت أفهم أن غروبش، عزيزي ارنست، عزيزي غروبش ولأنه متهكم وساخر يقصد أنه يستطيع أن يفعل شيئاً. الآن استطيع أن أتخلى عن هويلبوك، أما أنت، مازلت حماي، أبا زوجي، فكيف ستتخلص أنت من شوندت، مثل بلاوكريمر والشفام الذي يهددنا أكثر من الآخرين معاً. أي سلطة تلك التي يتمتع بها الشفام ...

كـارل فـون كـرايل: يمكننا أن نتـخلص من الشـفـام. أطلق حـراس بلاوكريمر النار عليه وأصابوه، كان ذلك عند الفجر حين أراد أن يتسلل إلى زوجة بلاوكريمر الثانية. بقي غامضاً لماذا لم يعبر البوابة التي كان من الممكن أن تبقى مفتوحة له. هل كانت له خواطر رومانتيكية بأن يتسلل في الفجر من خلال الشجيرات إلى امرأة يظهر أنه يعشقها؟ كل شيء غامض. المؤكد أنه تسلل من الخلف عبر الحديقة وتم الاتصال هاتفياً عدة مرات، لا بل سلطت عليه أضواء كاشفة، وتابع الزحف رغم أنهم هددوه باطلاق النار.

لاأدري، لدي الانطباع أنه أراد ن يعرض نفسه للخطر. وأنتم تعلمون بما شعر رجال الحراسة والأمن: فقد ملوا حياة التسكع التي دامت أشهراً، وتوترت أعصابهم توتراً مفرطاً، ومنذ وقت غير بعيد تسبب توتر الأعصاب في أن أطلق أحدهم النار على ساق أحد زملائه. وها إنّ شخصاً يزحف مسافة ثمانين متراً و نحو مئة متر عبر الحديقة صوب فيلا بلاوكريمر. من الممكن أنهم لم يعرفوه، ومن الممكن أيضاً أنّ شخصاً أطلق النار رغم أنه تعرف عليه. لم يكن الشفام محبوباً على الاطلاق.

ارنست غرويش: من أين تعرف هذا؟

كارل فون كرايل (مبتسماً): لي ناسي ولي معلوماتي. أغلب الظن أنه لن يتمَّ الاعلان إلا مساء هذا اليوم، لذا أرجو التزام الكتمان، ما أريده هو ألا تخشى ايفا أحداً قد لا يكون هناك ما يدعو إلى الخوف منه بعد الآن.من المحتمل أن يبقى على قيد الحياة.

هاينريش فون كرايل: ولماذ كان على شخص مثله أن يعرّض نفسه لمثل هذا الخطر؟

كارل فون كرايل: لوعة الحب.

ارنست غروبش: الشفام ولوعة الحب؟

كارل فون كرايل: ولم لا؟ الشفام رومانتيكي؟ لم لا؟

ايفا بلينت: حسن، قد نرتاح منه، وربما لن أحزن عليه شديد الحزن مع أن الواجب يقضي بأن أحزن. ولكن من ذا الذي سيخلصنا منه؟ من؟ الشرطة، رجل أمن، وعلاوة على ذلك خطأ.على أننا لن نتخلص منه عن طريق السياسة. (كلهم، ولا سيما غروبش، ينظرون إليها مدهوشين). أجل، يا غروبش، تعلمت هذا. ألا تريدون أن تحسبوا حساباً إلى أن رجال الشرطة ربما أطلقوا النار بالمصادفة على شوندت وبلاوكريمر وأياً كانت الاسماء؟ أتريدون أن تتمنوا هذا؟ لا، يا حمي، لا يجوز أن تصبح خلفاً لهويلبوك، لن تكون إلا صورة مذبح، ستكون، ستكون نوعاً من محطم للأصنام يجري وراءه شيء رهيب ويتوارى. هيا تكلمي يا كاتارينا ...

كاتارينا ريشتر: لا أريد أن أتمحل الأعذار وأتوارى من جديد وراء الخادمة التي كان يجب أن تصير فضولية غير متكتمة لكي تحكي بأية طريقة رأتكم كلكم وتعرفت إليكم. وبصفتي خادمة فأنا لم أركم، ياحمي الزائف العزيز، إلا هادئاً جاداً دائماً وحزيناً أيضاً، وكنتم تنصرفون دائماً قبل أن تبدأ حفلة السكر الكبيرة - ودائماً ببقشيش محترم. ولكن بصفة واحدة أخرى هي أنا أقول: يجب أن تفعل ذلك. لم تكن طفولتي بائسة، وكنت دائماً آمنة موفورة وشبعانة وأردت الارتقاء، وارتقيت. لم يكن القانون والنظام بغريبين عليّ. كانت كبرياء أمي ألا تقترف إثماً أبداً، على حد قولها، والحق أنها شهدت ما يكفي من القاذورات والفساد. وامتدت يدي مرة أخرى إلى الخزينة وأخذت ما كان حقاً لي. سموها

سرقة، وأنت أصررت على أنه: كان حقي. كان أبي لطيفاً، لكنه كان فقيراً، كان غرافاً فقيراً، كانت امنيته أن يتبناني وأن يتزوج أمي. ولو لم يكن غرافاً لتزوجته. أجد هذا ظلماً (تضحك) فالحاملون لقب الغراف هم أيضاً بشر، ومع ذلك لا أريد أن أتزوج هذا الغراف(تشير إلى كارل). هذا هو الشيء الوحيد الذي قد يجعلني أتردد؛ اللقب الذي تحمله. قد يصبح خطيراً لأنه قد يغطي على الجميع الذين يثيرون مثل هذه التصورات، إلا أنها لا تليق بهم. فأنت الذي هو أنت- أنت رجل قد يتمكن من أن يقربني من القانون والنظام أكثر مما أنا عليه الآن.

كارل فون كرايل (يبتعد عن المعزف ويتقدم ويعانق أباه): في كلتا الصفتين، صفة الابن والمواطن، أقول لا. بصفتي مواطناً أقول نعم: تبدو حسن المظهر، وأنت غاية في الطيبة، واللقب الذي تحمله هو أقرب ما يكون إلى الخطر على الحياة: غراف ديمقراطي!(يهز الرأس). لا. لا يمكن أن تكون أو تصبح حكومة جيدة بحيث تستطيع أن تقوم على خدمتها بصفة لوح دعاية. وباعتباري ابناً أقول لك: لن تقدر على تحمل الأمور، لا تنس أنك في السبعين ولست خطيباً مصقعاً ولا ممثلاً جيداً. في أثناء كل خطبة يجب أن تلقيها ستكون مضطراً إلى أن تتعذب وتكذب.

هاينريش فون كرايل (يبتسم): أنت تنسى الشيء الموجود بسيارتي، الشيء الذي يمكنك أن تحصل عليه بدون مشقة.

كارل فون كرايل (يبتسم): وتعرف أنني سأكون مطالباً بأن أضع يدي عليه بطريقة غير مشروعة، وأنا تعاقدت على اللاشرعية في هذا الأمر، وتعرف حسن إدراكي للواجب. لا، على ديمبلرأن يقوم بهذا، إنه الشخص المناسب تماماً: ماكر ولكنه ليس وغداً. (بصوت أخفض). عليك

أن تستقبل بلونيوس بأدب، لا تنس هذا، ليس هو فحسب. سيكون - لست أدري ماذا سيكون.

هاينريش فون كرايل (مخاطباً اريكا): إلى أين ينبغي أن أمضي؟ هل ستنزلين في الراين؟

اريكا فوبلر: لا، سأجلس على الراين. إنه الوحيد الذي يمكن أن أسميه وطناً. (بصوت أخفض). اصبر على نفسك، (بصوت أخفض) وعليه أيضاً. دع ديمبلر يقوم بذلك. (تنهض وترتدي معطفها الصباحي وتتجه صوب المعزف، تجلس وترفع اليدين وتسدلهما ثانية): لا أستطيع. من ذا الذي يفك هذا السحر الذي حل على هذا الجهاز؟ (تنظر إلى كارل). أنت؟

كارل فون كرايل: لا، لا أستطيع، لم يعد في مقدوري أن أعزف على المعزف، يعز علي أن أسمعه.

اريكا فوبلر (تنظر من حولها إلى هاينريش فون كرايل): هل تستطيع العزف؟

هاينريش فون كرايل: لم أتعلمه قط.

اريكا فوبلر: أما من أحد هنا يستطيع أن يرفع السحر، أما من أحد؟ ايفا ... (ايفا تهز الرأس وغروبش أيضاً يشير بالنفي).

لوري شميتس (تتقدم): أي سحر؟ أستطيع أن أخبط قليلاً على البيانو إذا كان هذا كافياً لكم.

اريكا فوبلر: هل تعلمت هذا؟

لوري شميتس: لا بشكل صحيح. عملت ذات مرة في مطعم وكانت هناك واحدة استطاعت أن تعزف، وكان عندنا هناك معزف قديم.

علمتني شيئاً - هل لي أن أعزف؟ أخشى ألا تكون موسيقا اعتدتموها. هل أعزف؟ (اريكا تومىء. تجلس لوري إلى المعزف وتعزف أغنية من الاغنيات العاطفية الشائعة. تتوقف حين يدخل بينغرلي الذي شارف على الستين، إنه متوسط القامة وله وجه لطيف، يحمل محفظة في اليد. اريكا وهاينريش فون كرايل ينظران إليه وقد جمدا. يضع المحفظة على المعزف ويتوجه إلى اريكا، يريد أن يقبل يدها التي تسحبها منه هازة الرأس.)

بينغرلي: أردت أن أشكرك يا اريكا، لا على الشوربة فحسب، بل أيضاً على الخبز والبيض المقلي والسجاير - بعد أربعين عاماً والطعم مازال على لساني وفي سقف حنكي، كما أشكرك أيضاً على ما فعلته من أجلي عند شتوتسلينغ. لم ينته الأمر كما تصورت: أثبتت الحرية أنها لاحرية. كنت أكثر من أسير في نزل صغير هناك على الحدود السويسرية. دمرتني الصحافة والاذاعة والتلفزيون، هنارفعت يدي واستسلمت. أظهرت ندماً واعترفت بأخطائي. خطيئتك ياعزيزتي اريكا كانت: نواياك النبيلة لم تطابق عندي الدوافع النبيلة التي لم يكن لها وجود عندي. ومع هذا أشكرك.

اريكا فوبلر: أجئت الآن بأمر من شوندت؟

بينغرلي: أجل. (يتناول المحفظة من على المعزف ويناولها إلى كارل فون كرايل). في إمكانك أن تتصور ما فيها.

كارل فون كرايل: أجل. الادلة المادية لنشاطاتي المشروعة وغير المشروعة. والايصالات أيضاً؟

بينغرلي: الإيصالات كلها. أما الادلة المادية فليست كلها، عشرة فقط. الادلة المادية الأولى كانت فعلاً للروس، وأخذها معه أو بتعبير

أوضح اختفت معه. والعشرة الأخيرة كانت بالنسبة إليه وهمية، ليس غير. (مخاطباً هاينريش فون كرايل). وبهذا أزيل من الطريق كل شيء يمكن أن يستخدم ضدك بسبب ابنك. أنت تعرف أي طلب يقرن السيد شوندت بهذة الهدية؟

هاينريش فون كرايل: يمكنك أن تأخذ المحفظة معك ثانية. لا أقبل أية هدايا من شوندت. لا تشعرني بأنني مسؤول عما فعله كارل. ما زال هناك بعض الأشياء الغامضة في ماضي كارل، (يهز الرأس) كما أنّ هذه الأمور ليست تلك التي تحول بيني وبين قبول الطلب.

كارل فون كرايل (يأخذ المحفظة): أنا أقبلها واحتفظ بها. وفيما يتعلق بالأمور الغامضة - فليس هناك من اتهام، لا اثباتات ولا اعترافات. وبالمناسبة سأقبل عرض كرينغل. وبهذا أعلن كل شيء بأنه عمل فني، والفن حرّ يا أبتاه.

هاينريش فون كرايل: قبل أن أموت من الضحك يا عزيزي كارل - الفن حر إذا حصل على الحرية أو حصل على مادته من خلال مشجعي الفن. مادتك كانت ثمينة ولم تعط طوعاًواختياراً. جميل أنه ليس هناك اثباتات وليس هناك ادعاء - لكن دعنا من هذا. أود الآن أن أجيز لنفسي الضحك، والأفضل معك يا اريكا، إذ لا أحد سوانا يعرف من هو بينغرلي.

كارل فون كرايل: أنا أعرف.

هاينريش فون كرايل: وهل ستشاركنا ضحكنا الآن؟

كارل فون كرايل: لا، يطيب لي أن أضحك، أما هذه المرة فلا. لا أستطيع أن أضحك من ذلك.

هاينريش فون كرايل: وأنت يا اريكا؟

اريكا فويلر: لا،(تضع يدها على قلبها وتتنهد) لا، أنا أيضاً لا يأتيني الضحك ما دمت لا أعرف ما إذا كنت ستقوم بذلك أم لا.

هاينريش فون كرايل: لن أقوم بذلك، ظننت أن هذا واضح، وإن شئت أن تعرفي من أقنعني أكثر فقد كان السيدة الشابة هناك(يشير إلى لوري) التي لا أريد أن اسميها بعد الآن طفلتي العزيزة. لقد أقنعتني. وسيقوم ديمبلر بذلك وبالمناسبة: فالشفام يرق قلبه لكم ويستجيب لكم.(ينفجر في ضحكة لا معنى لها ويغادر المكان. يتبعه الجميع بأنظارهم مذعورين، يأخذ كارل المحفظة ويلحق به.)

الفصل الثاني عشر

كرينغل (يقف في مكان واسع فارغ ليس فيه إلا معزفه، في اليد اليمنى فأس وفي اليسرى سيجارة): لن تقام الحفلة الموسيقية، ألغي العرض الخلاق، لن يهمني تحطيم هذا الشيء. لكن لماذا؟ (يرمي الفأس). طارت هيلدي وأوصلتها إلى المطار، قبلتني واحتضنتني وقالت لي كم تحبني - وكم تتأسف. مالم تعرفه ولن تعرفه أبداً هو هذا الشيء هنا. (يتناول تذكرة طائرة من الجيب ويرميها على المعزف قرب الفأس)- كنت حجزت مقعداً لي بجانبها وغيرت رأيي في آخر لحظة. ما عساي أن أفعل في كوبا أو في نيكاراغوا مع أني لا أعرف أيضاً ما عساي أن أفعل هنا. نجح كابسبيتر وأنا استسلمت، وسيتولى المصرف كما تولى مصارف كثيرة، مرات كثيرة حين بدأ النقل الجبري لمؤسسات يهودية إلى حيازة آرية لقاء عشر قيمة المحل. بطريقة مشروعة. كان لا يزال ينقصه مصرف عائلي قديم بخلفية جيدة وماض نظيف. مصرفنا. والآن صار يملكه. آنذاك وحين صودرت عندنا الثروات اليهودية هربت: إلى الجيش. تركنا كل شيء للمفوض الحكومي، وصرت آمر صرف. لم يجردونا من ملكيتنا، بل خضعت للحراسة، في مكان ما وبطريقة ما - ودائماً من وراء الكواليس - كان له حضوره الدائم. كان حاضراً دائماً في كل

مناسبة: عند الكنيسة وعند الدولة والأعمال المصرفية. انسان تقي ورع ذو جاذبية تكاد لا تقاوم. وهم مدينون أيضاً لجاذبيته التي لا تقاوم، في شرعية اللاشرعي دائماً نظيف، ذلك أن سويسرة قبلت ذهبهم. السلب هو دائماً شرعي للمنتصر. اقترفت أخطاء كبيرة: لم أرغب في أن تكون لي أية علاقة بالذهب منذ أن رفضت أنّا، زوجتي المحبوبة، أن تقبل مني مجوهرات. قالت:" هل تعرف تمام المعرفة أنّ مصدره ليس ذهب أسنان القتلى أو ما أخذوه منهم قبل أن يقتلوهم؟" منذ ذلك الحين لم أشتغل بالذهب - ونفضت يدي من أسهم هيفن-هينت التي عرضها علي الشفام.

منذ أن استقال هويلبوك وخلفه ديمبلر دفعوني ببطء ولكن بصورة مستمرة إلى حافة الدمار والهلاك. شائعات. شائعات تدمر مصرفاً مثل مصرفنا؛ وتهامس الناس بالعجز عن الدفع، وحين سحب المزيد من الزبائن ثرواتهم سرعان ما وصلنا إلى حافة العجز عن الدفع. ساعدني كابسبيتر. ساعدني مرتين أو ثلاث مرات بلطف وأريحية إلى- كما أظن - أن منعه الشفام وهدده. أخيراً كان لابد من أن أنقذ ثروات زبائننا، وهي عند كابسبيتر في أمان. لم يعد في وسعي أن أضمن أمنها. عنده كل شيء مضمون في أمان. تبقى الشركة، أنا الآن في مجلس الادارة وأتلقى راتب مدير. القول المأثور الذي أوجده أحد الامريكان هو:" أن تشتري مصرفاً اكثر أماناً من أن تنهبه." هذه هي الطريقة، وأنا لست كفوءاً لها. الأسلوب الأضمن والمشروع كلياً لتنهب مصرفاً هو أن تشتريه بعد التضييق عليه ومحاصرته. إنه الاسلوب الجديد لعملية النقل القسري للمؤسسات اليهودية إلى حيازة آرية. وأنا

سعيد أن زبائني يتمتعون الآن بالأمان الذي لم أعد أستطيع تقديمه لهم. (يتناول الفأس مرة أخرى). لا. (يضعه من جديد). إلا أني أفهم كارل: أراد أن يصيب المال في القلب ، لكن(يهز الرأس) لا قلب للمال ولا يمكن المساس به. سيزدهر مصرفنا بإدارة كابسبيتر وسيضارب في صفقات الذهب ويأخذ من أسهم هيفن-هينت ما يستطيع الحصول عليه. المصارف الكثيرة التي ستؤول ما يستطيع الحصول عليه. المصارف الكثيرة التي ستؤول إليه لن ينقلها نقلاً قسرياً إلى حيازة آرية ولن يجعلها أوروبيةً وأمريكيةً.إنه عبقري. وأنا، أنا ما زلت أفكر بذهب الأسنان. في أية بورصة يتم التعامل به؟ بمثل هذه الأفكار كنت مصرفياً رديئاً ولم أكن أباً رديئاً، كانت لي زوجة صالحة أحببتها وكرهت المجالس منذ أن شاهدت صور غرف الغاز. لم تدخل تحت دوش حتى آخر حياتها وكانت تقول دائماً:" ما أدراني أي شيء قد يخرج من هناك ومن وضعه." لا، لم تكن مجنونة، ولكنني لا أعرف حتى اليوم هل كان انتحاراً حين استلقت في الفراش ذات يوم ولم تنهض من بعد ذلك. من الناحية العضوية صحيحة الجسم، وكذلك من الناحية النفسية. نصحني كابسبيتر بأن أرسلها إلى كولبولين، هناك كانوا سيصرفون عنها وساوس ذهب الأسنان ويطردون عنها خوفها من الدوش. لكنني لم أرغب في أن أدعهم يصرفون أي شيء عنها. الطرد والابعاد كان يجب أن يحدث في مكان آخر: شيرماخر وريشتر وهوخليشنر وكابسبيتر أيضاً كان يجب طردهم. حين بدأ التعويض الذي يمكن أن يسمى أيضاً التخلص من آثار نقل المؤسسات اليهودية إلى حيازة آرية اكتشف أنه كان محامياً أيضاً - ومن جديد حضر، ومن جديد بطريقة مشروعة. ومن جديد حضر أيضاً من سمى نفسه الآن بلونيوس. سميناه تسمية أخرى وعرفناه على وجه آخر،

الشيء المخيف: أنه أصبح ديمقراطياً وصار يتصرف تصرفاً مشروعاً، واعتناقه لدين جديد مشروع. لا بل يقال إنه صار تقياً ورعاً. من ذا الذي يأبى أن يمسك الفأس؟ قالت لي هيلدي:" الموت في نيكاراغوا أفضل من العيش هنا." جلست أياماً إلى سرير أمها، لم تحزن حين ماتت، اكتفت بالقول:" ها قد تمّ خلاصها." خلاص؟ لم أخرج بشيء من المسيحية، طبيعي أنني ذهبت إلى كل صلواتهم وقداديسهم الاحتفالية. لم أجد هناك شيئاً، سأواصل الذهاب إلى هناك، في نهاية المطاف يدخل هذا في عداد واجباتي بصفة مدير إفطار. على أنه كان هناك شخص ، إنّ هناك شخصاً أصدقه. شخصا كان في نظري المسيحي: إنه صديقي القديم هاينريش كرايل - كان إيمانه موثوقاً به، وهو، هو لا يريد أن يكون أحداً بعد الآن. أين أجد شخصاً جديداً؟

(كارل وهاينريش فون كرايل يبرزان معاً، كارل يحمل حقيبة سفر ثقيلة يضعها منشرح الصدر بجانب المعزف.)

كارل: نوى في الواقع أن ينزل إلى الراين بصدرية رصاصية وكتل رصاصية في الجيب. هل تعرف ما الذي حال بينه وبين ذلك؟

هاينريش فون كرايل (ضاحكاً): أولاً الأمل في جنازة رسمية ، ولو أن كارل وعدني أيضاً بأن يأتي بي عند موتي إلى فوق حيث أنتمي ويترك القس يدفنني بحضور دائرة الكنيسة - إلا أن شوندت وبلاوكريم كانا سيدبران صلاة جناز رسمية مهيبة مع منصة نعش، وربما كان بعضهم سيظنون أنني مسجّى في داخلها. وأظن أنّ بلاوكريم قادر على أن يجعلهم يدفنون منصة النعش الفارغة وأن يوعز باستخراج جثتي.
المزعج: حزنهم سيكون حقيقياً. لا، فخطر جنازة رسمية كان جسيماً

عليّ. لكن الشيء الآخر، الشيء الحاسم: أنني قلت في نفسي الحياة أفضل من الموت، وقد أجد الشيء الذي افتقدته. أردت أن أرمي النرد لكي أحدد الجهات الأصلية التي سأتحرك فيها، على أن النرد يصل إلى ست والجهات الأصلية أربع. عندها صعدت إلى السطح، وفي ساعة سكنت فيها الريح أدرت دوارة الرياح غير مرة وحركتها ومنيت النفس: الجنوب أم الشرق - لكنها بقيت واقفة باتجاه الشمال، سأذهب إلى هناك، إلى الكفرة. وهذا الرصاص أهديك إياه - رصاص في البداية، رصاص في النهاية. وكارل هنا، لن يمازحني أي مزاح رمزي. دعوني أمضي الآن من غير دموع، ستصل أخباري إليكم وسنلتقي مرة أخرى. (يعانقهما كليهما ويخرج من الغرفة ثم يعود بعيد ذلك.) هل تعزف لي يا كارل بمناسبة الوداع بعض الايقاعات لبيتهوفن؟

(يجلس كارل إلى المعزف ويعزف افتتاحية سوناته لبيتهوفن، يقاطعه هاينريش فون كرايل بحركة من يده، يأخذ الفأس من على المعزف.) الأفضل أن آخذ هذه معي وأرميها في نهر الراين. (يغادر الغرفة.)

كرينغل: سنراه ثانية. (يضحك) ذلك أن شخصاً يقدم على الانتحار لكي لا تجرى له جنازة رسمية- هذا يناسبه، أعرفه منذ زمن طويل. (يصمت بضع لحظات). يؤسفني جداً أنني لا أستطيع أن أقنع كابسبيتر بأن يتبنى صاحبتكم كاتارينا؛ الحق أن ملفها صعب قبوله بالنسبة لشخص مثله. ماذا ستفعل؟

كارل: لي وظيفة. اتخذني غروبش مساعداً له. إلى جانب ذلك أقوم ببعض الأعمال لفوبلر. سنتغلب على الصعوبات. توقفت كاتارينا عند فوبلر بمحض اختيارها.

كرينغل: لن ترحل إذاً؟

كارل: لا. تقول بلدها كوبا هنا وكذلك بلدها نيكاراغوا. لوري وأسرتها. وفضلاً عن ذلك تم قبول أطروحتها. عند الشفام الآن صورة إضافية. صورة عاشق رومانتيكي. يستمتع بالعكازتين اللتين يعرج بهما هنا وهناك. إنه محطم قلوب حقيقي. سيصبح بينغرلي سكرتيراً عند بلاوكرير. تم ترتيب كل شيء.

كرينغل: يعرج الآن مثل شهيد الحب الحقيقي في أروقة الوزارات. ما كان ينقصه بعد إلا العكازتان كعتاد. ويسافر إلى نيويورك و موسكو. ويحتمل أنه أودع في سويسره لسادة الكرملين مجموعة من الهيفن هينت. وأبوك، ياكارل، أثقل عليه تشبيه الشاب الغني دائماً. وبالنسبة لمصرفي لا يصح إلا التشبيه الآخر: الخماسي يسمى أيضاً بالخماسي (quinque alia quinque) حتى لهذا لم أصلح. يسرني أنك وكاتارينا ستبقيان هنا. لن تلقى أية متاعب مع ديمبلر. يعتبرك مجنوناً ويريدك زينة في وسط السأم والملل.

كارل: لن أكون زخرفاً ولا مهندس ديكور بعد الآن. سأسبب له الملل في حال أن وقعت عيناي عليه مرة أخرى. بلاوكرير وبينغرلي سيحلان معاً محل شوندت، وستصبح الحال أكثر مللاً. فليختنقوا بذلك. سأتحاشى أن أتكلم في أي وقت كان عن شيء من مثل قلب المال الذي أردت تحطيمه بالدعابات السخيفة. بالنسبة إلى ديمبلر شيء عقلاني، شيء غير عضوي - وأنّى يكون للمال عضو؟ لا. سأكون قانونياً جافاً يستطيع غرويش أن يستخدمه. ونيكاراغوانا هي لوري وعشيرتها

بأسرها التي تحتاج دائماً إلى محام. آمل ألا تقلق على ابنتك: ستعيش هناك ولن تموت.

كرينغل: هل ستزورني بين الحين والآخر وتعزف لي قليلاً من الموسيقا، ربما تصطحب اريكا أيضاً. بطبيعة الحال تستطيع اريكا أن تأتي معك. أليس كذلك؟

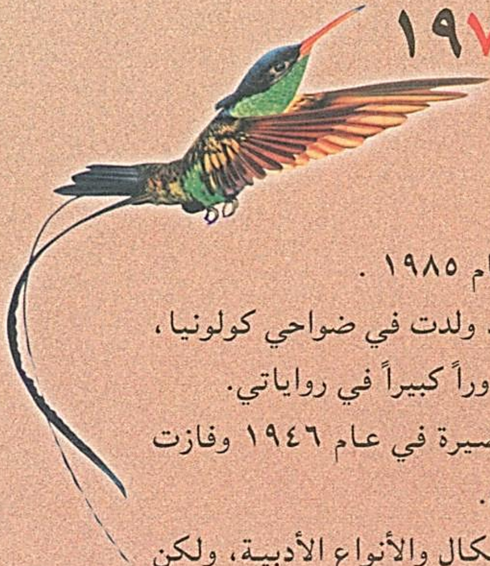
كارل: أجل، ما قمت به تجاه أبي قد أقوم به تجاهك أيضاً. (يمسك حقيبة السفر). هل لي أن آخذ الرصاص معي؟

كرينغل: لا، دعه هنا. في البداية، وكان هذا في منزل يوهانيس، كان هناك رصاص كثير، وفي النهاية يجب أن يكون رصاص. هذا يطابق وجودي الرصاصي.

تمت

هاينريش بول

نوبل ١٩٧٢



- ولد عام ١٩١٧ وتوفي عام ١٩٨٥ .
- يقول بول عن نفسه: «لقد ولدت في ضواحي كولونيا، واعتقد أن الضواحي تلعب دوراً كبيراً في رواياتي.
- نشر بول أول قصصه القصيرة في عام ١٩٤٦ وفازت إحداها بجائزة «جماعة ٤٧».
- جرب بول العديد من الأشكال والأنواع الأدبية، ولكن معظم النقاد متفقون على أنه حقق أفضل أعماله في القصة القصيرة.
- من رواياته المنشورة «لم يقل كلمة واحدة» عام ١٩٥٣، و«بيت بلا حراس» عام ١٩٥٤، و«خبز الأعوام السابقة» عام ١٩٥٥.
- يُبرّز الكاتب في أعماله سخف الحرب بكل صورها وأشكالها، ومحنة الأخلاق التي دفعت البعض إلى خلق الفاشية، تشهد بهذا كل أعماله.
- ومن أعماله الأخرى «صمت الدكتور موركس» و«بلياردو في التاسعة والنصف» وكلاهما من الأدب الساخر.

علي مولا

ISBN:2-84305-680-X
9 782843 056802